الامين
الخليفة المفترى عليه

د. عبد المنعم رشاد

موفق سالم نوري



وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ٢٠٠٠

تصميم الغلاف
جنان عدنان

السعر ٧٥٠ دينار

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة

الامين

الخليفة المفترى عليه

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ٢٠٠١



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة الشؤون الثقافية العامة
العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الامين
الخليفة المفترى عليه

نظرة في طبيعة الصراع بين الأمين والمأمون

الدكتور
عبد المنعم رشاد

موفق سالم نوري

الطبعة الاولى بغداد - ٢٠٠١

المقدمــة

حظي موضوع الخلاف بين الاخوين، الامين والمأمون، بأهتمام بالغ من مؤرخينا المحدثين والقدماء . فقدم المحدثون العديد من الدراسات في هذا الموضوع في حين اورد القدماء منهم الكثير من الروايات والاخبار حول اسباب الخلاف وتطوراته المتلاحقة في جوانبهـا السياسية والعسكرية ، ولابد للباحث في هذا الموضوع ان لا ينسى ان « التاريخ يكتبه المنتصر » وعليه فإن الكثير من هذه الروايات والاخبار مثلت وجهة نظر الصف المعادي للأمين بالدرجة الرئيسة من اجل وضع اللوم عليه في اشعال نار الحرب الاهلية ، فكان كبش الفداء في هذه الاخبار . ولم تكتف الروايات بذلك بل سعت الى نعته بشتى النعوت الشائنة التي تجعل اقصائه عن الخلافة امراً ضرورياً الى حد كبير ، فهو في هذه الروايات اخرق قليل الحيلة ، ضعيف الرأي ، مهتم بتوافه الامور ، فساهمت هذه الدعاية التي وضع خطوطها الرئيسة كل من الفضل بن سهل وطاهر بن الحسين في تشويه صورة الامين تشويهاً بالغاً ، فاظهرته بمظهر المسؤول عما لحق بالخلافة وبالعراق وبغداد من مآسٍ وحروب في حين تنصلوا هم عن مسؤولية هذه الاعمال جميعاً . بل انهم تمكنوا من تبرير مقتله ايضاً .

لهذا كان امامنا مهمتان صعبتان ، تمثلت الاولى في تقديم صورة واضحة قدر المستطاع ومبسطة للقاريء العام عن شخصية الامين وعصره . اما الثانية فهي عملية تتمثل بغربلة هذا الحشد الكبير من الروايات المفرطة في تحاملها على الامين ، لاعطاء صورة قريبة الى الواقع ـ بحسب تصورنا ـ لعصر من عصور تاريخنا المهمة : ولمرحلة وخليفة شوهت الدعاية المضادة صورتهما . نتمنى ان يكون جهدنا المتواضع هذا اسهامة في ابراز حقيقة هاتين الصورتين .

الفصل الاول

نظرة في خلفيات الصراع

١ ـ نظرة عامة في ولاية العهد

لا يقصد من البحث في هذا الجانب تقرير اسس وقواعد خاصة بنظام ولاية العهد في الدولة العربية الاسلامية ، فذلك شأن آخر ، بل الهدف منه تتبع التأثيرات السياسية الخاصة بنظام ولاية العهد في وضع الدولة العام ، والتعرف على جوانب من جذور المشكلة موضوع البحث .

ان موضوع انتقال السلطة السياسية من شخص الى اخر في الدولة تعد المشكلة السياسية الاولى التي واجهت المجتمع العربي الاسلامي في اليوم الاول لوفاة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، ولولا ضبط النفس وقوة المباديء التي كانت في اوج تأثيرها في ذلك الوقت ، لتسببت هذه المشكلة في تخريب المجتمع والدولة ، وعلى الرغم من ان وفاة الرسول الكريم كانت فرصة لتبدي بعض القبائل نزعاتها السياسية وطموحها في السلطة ، فإن حزم الخليفة الاول ابي بكر الصديق رضي الله عنه مكنه من تحجيم هذه الازمة ، ومنع امتداد تأثيراتها الى مفاصل أخرى في المجتمع والدولة .

وبصرف النظر عن التباين الذي شهدته هذه المرحلة ـ صدر الاسلام ـ في طريقة انتقال السلطة من خليفة الى آخر ـ وليس هذا مجال بحثه الآن ـ فإنها كانت تصب عموماً في عملية الانتخاب التي تقوم بها الصفوة او اهل الحل والعقد في مجتمع المدينة . وهي عملية كان يحكمها الوازع الديني ، كما قال ابن خلدون[١] اي ان قوة المباديء الدينية الراسخة في النفوس هي التي حددت طبيعة المرشح لمنصب الخلافة في نظر افراد المجتمع .

وكان قيام الدولة الاموية تعبيراً عن اهمية القوة والدهاء السياسي في الوصول الى السلطة وتاكيداً لهما .[٢] وشهدت هذه المرحلة تغيراً في الخصائص السياسية .

---

١ ـ ابن خلدون ، المقدمة (بيروت : دات) ١ / ٢١١ .

٢ ـ فاروق عمر ، العباسيون الاوائل (بيروت ، ١٩٧٠) ٢ / ٢٠١ .

فيرى معاوية انه اول من استحدث الملك في الاسلام.[٣]

ولتقرير مبدأ التوريث الذي بدأ به معاوية بن ابي سفيان . كما اشار ابن خلدون فان وصول الخليفة الى هذا المنصب لم يكن بالاستناد الى الوازع الديني هذه المرة ، بل اعتمد الوازع « السلطاني والعصباني » تاكيداً لمبدأ التوريث ، وذلك لضعف الوازع الديني.[٤] وفي الحقيقة فان ذلك يعود الى رغبة السلطة الاموية في التمسك بالسلطة والحكم داخل هذه الاسرة والحرص على عدم انتقالها الى اشخاص من خارجها . حيث انتهى عصر ما يمكن ان نسميه بالديمقراطية الذي ساد في صدر الاسلام . وأصبح نظام الحكم ملكياً وان احتفظ الشخص الاول في الحكم لنفسه بلقب الخليفة وأمير المؤمنين وغيرها من الالقاب ، وبالبيعة وسيلة للتعبير عن رضا وقناعة الخاصة والعامة بالخليفة الجديد .

اما في عصر الخلافة العباسية ، فان اشتداد المنافسة بين الاسرة العباسية والاسرة العلوية على السلطة ، واشتدادها داخل الاسرة العباسية نفسها.[٥] تسبب في التمسك الشديد بالسلطة داخل الاسرة الحاكمة حصراً . فادى ذلك الى ان تكون الخلافة وراثية تماماً.[٦] وادى هذا الاصرار على التمسك بالسلطة الى تولية العهد الى من هم صغار السن مثل الأمين والمأمون . وقد يترتب على مثل هذه الحال العديد من المشاكل السياسية والاجتماعية وخيمة العواقب .

واذا كانت الرغبة في الحفاظ على السلطة بيد الخليفة وابنائه من بعده تعود الى جانب غريزي في طبع الانسان ، فان الاصرار على هذه الرغبة في عصر الخلافة العباسية سبب من المشاكل ماهدد بتفتيت هذه الاسرة نفسها . كما سبب واحدة من اخطر الحروب الأهلية التي واجهت الدولة العباسية . ونقدم هنا عرضاً سريعاً لبعض جوانب هذه المشكلة :

---

٣ ـ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي (بيروت : دات) ٢ / ٢٢٧ ، وللمؤلف نفسه ، مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق : وليم ملورد (بيروت : ١٩٦٢) ١٨ .

٤ ـ ابن خلدون ، المقدمة ، ٢ / ٢١١ .

٥ ـ فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، ٢ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦

٦ ـ صبحي الصالح ، النظم الاسلامية (بيروت : ١٩٨٠) ٢٦٩ ، شحادة الناطور واخرون ، النظم الاسلامية (اربد : ١٩٨٨) ٧٤ .

تبدأ المشكلة من حرص الخليفة على ان تبقى السلطة في يد ابنائه من بعده ، فيبادر الى ان يولي العهد من بعده الى اثنين او ثلاثة من ابنائه . وعندما يتولى الخلافة ولي العهد الاول ، فإنه غالباً ما ينساق الى الرغبة نفسها في الحفاظ على السلطة لدى ابنائه من بعده . فيعمل على اقصاء اخوته من ولاية العهد واحلال ابنائه بدلًا منهم . وتتكرر المشكلة نفسها في كل مرة يتولى فيها الخلافة خليفة جديد . ولا بد ان نشير هنا الى ان التاثيرات السياسية لافراد الحاشية وتياراتها تسهم هي الاخرى في تعميق هذه المشكلة ، وليس الرغبة الغريزية فقط.

في عام ١٣٦ هـ / ٧٥٣ ـ ٧٥٤ م عقد ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي ، الخليفة العباسي الاول العهد بالخلافة من بعده لاخيه أبي جعفر المنصور ولعيسى بن موسى بن محمد ابن علي من بعده . وكتب العهد بذلك ، وختم عليه باختام افراد الاسرة العباسية .[٧] ان اختيار اكثر من ولي للعهد لتولي الخلافة ، يعد السمة شبه المطلقة التي ميزت الخلافة العباسية . وكان ذلك يتقاطع مع الرغبة الغريزية الذاتية في الحفاظ على السلطة بيد الابناء ، قدر تعلق الامر باولياء العهد انفسهم ، ولكنه يعبر من ناحية اخرى عن نوازع القلق التي انتابت الخلفاء العباسيين على مصير السلطة ، ورغبتهم في الاطمئنان على عدم قيام مشاكل سياسية خاصة بالخلافة . لكن عبر في الوقت نفسه عن نظرة غير منطقية تجاه هذه المسألة ، فخليفة محكوم عليه بالموت يسعى الى فرض سياسته على خليفة لا يزال حياً ، متجاوزاً على كل قناعاته ورغباته السياسية الخاصة به ، المتولدة عن ظروف عصره وحكمه هو ـ اي الخليفة الجديد ـ لذا فإنه عندما يجد نفسه امام واقع مفروض عليه ، فإنه يسعى الى عدم الرضوخ له ، فيعمل على تغيير هذا الواقع بارادته حتى يؤكد سلطته المطلقة ويحررها من سلطة الاب المتوفى .

وعلى هذا الاساس سعى الخليفة المنصور ، بعد ان وطد أركان حكمه الى خلع ولي العهد الثاني عيسى بن موسى ليحل ابنه المهدي بدلًا منه . وبدأت العملية بسعي قادة الدولة ورجالاتها ـ ولا سيما المحيطين بالمهدي منهم ـ لدى الخليفة المنصور لاقناعه بتصيير المهدي ولياً للعهد من بعده . فكتب المنصور الى عيسى بن موسى وهو في الكوفة بالامر . غير ان هذا الاخير رفض الفكرة كلها معتلًا بالمخاطر

---

٧ ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم (بيروت : د / ت) ٧ / ٤٧٠ .

الناجمة عن نكث العهود ونقض الايمان وما يترتب على ذلك مستقبلاً من مشاكل سياسية.[٨] اما المنصور فانه لاجل هذه الغاية ، اتبع كل اساليب التهديد والاغراء والاحتيال ، التي تعبر عن طبيعة تلك المرحلة.[٩] حتى كان عام ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م وفيها خُلع عيسى بن موسى وبويع محمد المهدي[١٠] اما الثمن الذي تقاضاه عيسى بن موسى عن خلعه فكان عشرة ملايين درهم ، ومليون درهم اخرى قسمت بين ابنائه.[١١]

عند وفاة المنصور كان موسى بن المهدي حاضراً فأخذ البيعة بالخلافة لابيه وبولاية العهد من بعده لعيسى بن موسى.[١٢] وربما احس عيسى بالندم على ما بدر منه من تأخير نفسه في ولاية العهد ، فرفض البيعة للمهدي ، لكنه اضطر للمبايعة تحت تهديد السيف[١٣] . اما المهدي فقد وجد نفسه امام نفس المشكلة عند توليه الخلافة ، فما أن مر عام واحد على توليه الخلافة حتى ارسل وزيره لمناظرة عيسى في التخلي نهائياً عن ولاية العهد لابنه موسى الهادي.[١٤] ونشط من اجل ذلك بعض افراد الاسرة العباسية وقادة الجيش ايضاً . ولا يستبعد ان يكون ذلك بتحريض من الخليفة نفسه وتحت الضغط والتهديد والاغراء اجاب عيسى بن موسى الى خلع نفسه ، مقابل مليون درهم هذه المرة او ضعفها مع بعض القطائع.[١٥] ثم بايع المهدي لابنيه موسى الهادي وهارون الرشيد من بعده.[١٦]

---

٨ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

٩ ـ لمزيد من التفاصيل انظر : الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٩ ـ ٢٥ .

١٠ ـ ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار (دمشق : ١٩٦٨) ، ٢ / ٦٥٤ ، الازدي ، تاريخ الموصل ، تحقيق : د . علي حبيبة (القاهرة : ١٩٦٧) ٢٠٠

١١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٥ ، الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين (القاهرة : ١٩٣٨) ١٢٦ ـ ١٢٧ .

١٢ ـ الازدي ، تاريخ ، ٢٣٢

١٣ ـ الطبري ، تاريخ ،

١٤ ـ الجهشياري ، تاريخ ، ٨ / ١٢١ ـ ١٢٢ ، الجهشياري ، الوزراء ، ١٤٥ ـ ١٤٦ .

١٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ١٢١ ـ ١٢٢ ، الجهشياري ، الوزراء ، ١٤٥ ـ ١٤٦ .

١٦ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٣٩٥ ، الجهشياري ، الوزراء ، ١٥٠ .

غير ان ذلك لم يعنِ نهاية المشكلة . فالخليفة المهدي وقع هذه المرة تحت تأثير زوجته الخيزران ورغباتها السياسية حيث كانت تفضل هارون على الهادي[١٧] . ففي عام ١٦٩ هـ/ ٧٨٦ م وبينما كان الهادي في جرجان لاخماد بعض التمردات في خراسان ، جاءته الرسل تحمل رغبة ابيه في التنازل عن ولاية العهد لاخيه هارون على أن يكون هو بعده ، لكنه ابى ان يقبل ذلك ، في المحاولة الثانية اضطر الى ضرب رسول ابيه المهدي . فقرر الاخير التوجه شخصياً لملاقاة ابنه وفرض الامر عليه .[١٨] ومن الغريب ان موضوع سفره هذا تقرر فجأة وخلال اقل من اربع وعشرين ساعة . اذ كان قد وعد علي بن يقطين ، احد اعوانه ، ان يتغدى عنده في الغد ، الا انه وقبل حلول موعد الغداء كان كل شيء قد اعد للرُحيل ، وحين ذكّر علي الخليفة المهدي بالغداء طلب اليه ان يحمله معه الى النهروان المعسكر الذي سينطلق منه .[١٩] وفجأة ودون سابق انذار توفي المهدي في ظروف غامضة ، فهو لم يكن يشكو من شيء . ثم ان اختلاف الروايات في تفسير موت الخليفة .[٢٠] كل هذا يدعو الى اثارة الشكوك والشبهات في المحيطين به ، فربما كان ضحية للنزعات السياسية المتباينة بين المحيطين به .

في عام ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ - ٧٨٦ م تولى الهادي الخلافة، على اثر وفاة والده[٢١] وفي كل الاحوال فانه ليس يسيراً على الخليفة الجديد ان يتجاهل او يتناسى ان والده اراد ان يقدم هارون اخاه عليه . فخلال سنة واحدة قضاها الهادي في الحكم ، كانت الصراعات السياسية على اوجها ، ولما كان عليه ان يثبت مقدرته السياسية في الادارة والحكم ، لذا فانه عمل بجدية للحد من نفوذ امه الخيزران وتدخلها في شؤون الدولة ، حتى باتت احد محاور التكتلات السياسية انذاك ، ففرض عليها الاقامة الجبرية في بيتها .[٢٢] ثم سعى بعد ذلك الى اقصاء هارون عن ولاية

---

١٧ - فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، ٢/ ٢٢١ - ٢٢٢ .

١٨ - الطبري ، تاريخ ، ٨/١٦٨ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول (بيروت : ١٩٥٨) ١٢٦ .

١٩ - الطبري ، تاريخ ، ٨/١٦٨ .

٢٠ - السابق ، ٨/ ١٦٨ - ١٧٠ .

٢١ - السابق ، ٨/ ١٦٨ .

٢٢ - السابق ، ٨/ ٢٠٦ .

العهد ليحل ابنه جعفر بدلًا منه .

وحث القادة على التحرك نحو هذه الغاية ، وكان منهم يزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وعلي بن عيسى بن ماهان ، حتى لم يجرأ احد على القاء السلام على هارون .[٢٣] ثم كتب الهادي الى عماله في الولايات كافة بالقدوم الى بغداد لاعلان خلع هارون والبيعة لجعفر .[٢٤] وكان قد طلب مراراً الى يحيى بن خالد البرمكي ان يمهد لذلك .[٢٥] وكاد هارون الرشيد ان يتنازل عن ولاية العهد لولا مدافعة يحيى بن خالد له عن ذلك ، وحثه له على التمسك بحقه في ولاية العهد .[٢٦] ويبدو ان الهادي قد بايع فعلًا لابنه جعفر على الرغم من رفض هارون التنازل .[٢٧] ذلك لأنه حال وفاة الهادي هجم حزيمة بن خازم على جعفر وأجبره على التنازل عن الخلافة امام الناس .[٢٨]

ان الموت المفاجيء للهادي ، لا يخلو هو الآخر من شكوك موجهة الى الخيزران بالذات . بل ان العديد من الروايات صرحت بالدور المباشر الذي لعبته الخيزران في قتل الهادي والتخلص منه .[٢٩] اما خوفاً على هارون منه .[٣٠] لانه كان قد بيت النية على قتله والتخلص منه .[٣١] او لأنه حدّ من نفوذها وقيد نشاطها السياسي

---

٢٣ ـ السابق ، ٨/ ٢٠٧ .

٢٤ ـ الازدي ، تاريخ ، ٢٥٩ .

٢٥ ـ التنوخي ، الفرج بعد الشدة (القاهرة : ١٩٣٨) ١/ ٥٣ .

٢٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٠٧ ، الجهشياري ، الوزراء ، ١٦٩ .

٢٧ ـ الازدي ، تاريخ ، ٢٦١ .

٢٨ ـ السابق ، ٢٦١ ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، تحقيق : دي خوية ، طبعة مصورة باوفسيت مكتبة المثنى في بغداد عن طبعة ليدن ١٨٦٩ ، ٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١ ، ابن العبيري ، مختصر ، ١٢٩ .

٢٩ ـ الطبري ، ٨/ ٢٠٦ ، ابن العبري ، مختصر ، ١٢٨ ، ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر (القاهرة : دات) ٢/ ١٢ .

٣٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٠٦ ، الازدي ، تاريخ ، ٢٥٩ .

٣١ ـ الازدي ، تاريخ ، ٢٦١

فتخلصت منه.[٣٢]

وفي مثل هذه الاحوال، فإنه يتم اللجوء الى الاساطير لتبرير مقتل الشخصيات المهمة. وتكون الرؤيا عادة مجالًا خصباً لاختلاق امثال هذه الاساطير. فقبيل وفاة المهدي بأيام قليلة رأى في منامه ان شخصاً ما ينبئه بوفاته بأبيات من الشعر.[٣٣] وكذا الحال في مقتل الهادي، فإن المهدي رأى رؤيا دللت على قصر عمر وخلافة الهادي وطول حياة وحكم الرشيد.[٣٤] وهو ما سيحصل مع الأمين لاحقاً ايضاً، ان الهدف من اختلاق مثل هذه الاساطير، إظهار وفاة الاشخاص المعينين على انه قدر الهي محتوم، وقد أُخبروا بقدرهم هذا بهذه الطريقة، وذلك لترويض مشاعر الذين ربما سيستنكرون الوفاة غير الطبيعية وغير المتوقعة في مثل الحالات السابقة، بدغدغة المشاعر الدينية المتعلقة بالقدر الالهي المحتوم.

تولى الرشيد الخلافة في عام ١٧٠ هـ/ ٧٨٦ - ٧٨٧ م في اليوم نفسه الذي توفي فيه الهادي، وكان له من العمر احدى وعشرون او ثنتان وعشرون سنة.[٣٥] لتبدأ صفحة اكثر مأساوية فيما يخص النتائج المترتبة على ولاية العهد.

٢ - تولية الأمين والمأمون العهد

في البدء لابد من تقديم نظرة سريعة عن طبيعة عصر الرشيد، لان طبيعة الاجراءات الخاصة بولاية العهد، هي وليدة هذا العصر ولا يمكن عزلها عنه، عاش الرشيد حياة مترفة قبل توليه الخلافة، وجعل منه هذا شخصية يسهل التأثير فيها، ولا سيما من مربيه يحيى البرمكي وأمه الخيزران. وكان ايضاً حاد المزاج سريع التقلب بين الثورة العارمة والرقة المتناهية.[٣٦] كما ان الظروف الصعبة التي عاشها في خلافة اخيه الهادي، وضياع شخصيته بين البرامكة وامه الخيزران وحِدَّةِ

---

٣٢ - ابن العبري، مختصر، ١٢٨.

٣٣ - الطبري، تاريخ، ٨/ ١٧٠.

٣٤ - المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: ١٩٨٣) ٣/ ٣٣٤ - ٣٣٥.

٣٥ - الطبري، تاريخ، ٨/ ٢٣٠.

٣٦ - فاروق عمر، العباسيون الاوائل (عمان: ١٩٨٢، ٣/ ١٧).

مزاجه ، شجعت على تبلور تكتلات ومراكز قوى في البلاط العباسي . وعلى الرغم من تمتع البرامكة بصلاحيات واسعة مدة ليست قصيرة في اثناء خلافته ، فإن مناوئيهم كان لهم ثقل بارز في البلاط ايضاً ، ومعلوم ان هذه التكتلات والقوى كانت تتجاذب سياسة الرشيد وتحاول رسمها بما يحقق مصالحها وغاياتها الخاصة .[٣٧]

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان استعراض ما اورده الطبري في حولياته عن الرشيد ، يؤشر طابع القلق العام الذي عاشه في مدة حكمه الطويلة ، ففي مطلع حكمه منح يحيى بن خالد البرمكي صلاحيات واسعة مطلقة في إمضاء ما يرى .[٣٨] وكانت الخيزران تشاركه هذه الصلاحيات .[٣٩] بيد ان وفاة الخيزران في عام ١٧٣ هـ / كان الفرصة الملائمة جداً لأن يتنفس الرشيد الصعداء ويسعى الى خلق موازنة داخل البلاط بدعمه لموقف الفضل بن الربيع ، وامره بدفع الخاتم اليه ، ثم ولاه وظائف مالية مهمة .[٤٠] وفي عام ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م ولى الفضل بن يحيى على خراسان .[٤١] تلك الولاية الاكثر اهمية سياسياً واقتصادياً بعد العراق . وفي عام ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م اكد الرشيد الصلاحيات المطلقة ليحيى بن خالد البرمكي .[٤٢] ولكنه في السنة التالية - ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م بدأ الرشيد وبصورة تدريجية . سحب البساط من تحت اقدام البرامكة . فعزل في هذه السنة الفضل عن ولاية خراسان .[٤٣] وفي السنة التالية - ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م - ولى على خراسان جعفراً بن يحيى البرمكي ، ثم عزله عنها بعد عشرين ليلة فقط .[٤٤] في هذه السنة ايضاً عزل الفضل عن بقية ما كان يتولاه في طبرستان وغيرها .[٤٥] ومما لا شك فيه ان البرامكة بدأوا

---

٣٧ - السابق ، ٣/ ١٨ .

٣٨ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٣٣ .

٣٩ - السابق ، ٨/ ٢٣٤ .

٤٠ - السابق ، ٨/ ٢٣٨ .

٤١ - السابق ، ٨/ ٢٥٥ .

٤٢ - السابق ، ٨/ ٢٥٦ .

٤٣ - السابق ، ٨/ ٢٦١ .

٤٤ - السابق ، ٨/ ٢٦٦ .

٤٥ - السابق ، ٨/ نفس الصفحة .

يتحسسون مواقف الرشيد هذه ، الامر الذي دعا كبير الاسرة يحيى بن خالد الى الانسحاب من الحياة السياسية بارادته الخاصة . لذا فانه في عام ١٨١ هـ/ ٧٩٧ م استعفى من مهامه الرسمية كافة في اثناء تأديته للحج في تلك السنة وآثر الاقامة في مكة ، فاعفاه الرشيد .[٤٦] ثم كان عام ١٨٧ هـ/ ٨٠٣ م وفيه وجه الرشيد ضربته المعروفة للبرامكة قاضياً على نفوذهم السياسي والاقتصادي في الدولة[٤٧] .

اما اذا تتبعنا تحركات الرشيد وتنقلاته . نجده قلقاً لا يؤثر الاستقرار والاقامة في مكان محدد . ففي عام ١٧٢ هـ/ ٧٨٨ م خرج الى مرج القلعة لانه « استثقل مدينة السلام فكان يسميها الحارة »[٤٨] وفي عام ١٧٤ هـ/ ٧٩٠ م خرج الى قريني باقردى وبازبدى ، وبنى في الاولى قصراً للاقامة .[٤٩] وفي عام ١٨٠ هـ/ ٧٩٦ م خرج الرشيد الى الرقة .[٥٠] ثم توجه في السنة نفسها الى الحيرة وفيها بنى قصراً للاقامة ، الا انه وبعد اربعين ليلة عدل عنها الى الرقة مرة اخرى .[٥١] ويظهر ان الرقة كانت الاكثر قبولاً في نفسه ، لانه كان يفضل التوجه اليها عند عودته من الحج دون ان يعرج الى بغداد . كما حصل في عام ١٨٢ هـ/ ٧٩٨ م[٥٢] ويشير هذا الى انه كان يؤثر الاقامة فيها .[٥٣] فهل كان فعلاً لا يستطيب الاقامة في بغداد بسبب طبيعة مناخها ، الذي لم يشهد تغييراً بالتاكيد عما كان عليه عندما كان ولياً للعهد حيث كان يقيم فيها ، وقال الرشيد في مناسبة اخرى : « والله اني لاطوي مدينة ما وصفت بشرق ولا غرب مدينة ايمن ولا ايسر منها ، وانها لوطني ووطن ابائي ودار مملكة بني العباس ... ولنعم الدار هي ! ولكني اريد المناخ على ناحية اهل الشقاق

---

٤٦ ـ السابق ، ٨/ ٢٦٨ .
٤٧ ـ السابق ، ٨/ ٢٧٨ وما بعدها .
٤٨ ـ السابق ، ٨/ ٢٣٦ .
٤٩ ـ السابق ، ٨/ ٢٣٩ .
٥٠ ـ السابق ، ٨/ ٢٦٦ .
٥١ ـ السابق ، ٨/ ٢٦٧ .
٥٢ ـ السابق ، ٨/ ٢٦٩ .
٥٣ ـ السابق ، ٨/ ٢٧٣ ، ٢٩٥ .

اما البيعة للمامون بولاية العهد، فقد كانت بالرقة في عام ١٨٣ هـ/ ٧٩٩ م[٦١] وفي رواية اخرى للطبري ان البيعة كانت في عام ١٨٢ هـ/ ٧٩٨ م ونقل عنه ذلك عدد من المتاخرين[٦٢] ومن المؤكد ان الطبري في روايته هذه لم يكن يقصد ان البيعة تمت في عام ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م وان وقوع خبر البيعة ضمن احداث عام ١٨٢ هـ/ ٧٩٨ م كان من قبيل الاستطراد . وعليه فإن البيعة تمت حتماً في عام ١٨٣ هـ/ ٧٩٩ م واخذت البيعة للمامون بولاية العهد على الجند الموجودين في الرقة[٦٣] . ويضيف اليعقوبي ان هذه البيعة اخذت على الناس كافة حتى اهل الاسواق[٦٤] ثم ولاه الرشيد المشرق كله اعتباراً من همذان[٦٥] وفي عام ١٨٦ هـ/ ٨٠١ م وبعد الانتهاء من الاجراءات الخاصة بـ (العهود المكية) والعودة الى الرقة منحه الرشيد مبلغاً قدره (١٠٠) الف دينار حملت اليه من بغداد[٦٦] هي التي اطلق عليها احد المؤرخين بانها « الالف ربوة من الفضة » تعويضاً له عن المملكة التي آلت الى الامين[٦٧] .

في عام ١٨٦ هـ/ ٨٠١ م جددت البيعة لكل من الامين والمامون في مكة في اثناء موسم الحج ، وهو ما سناتي اليه لاحقاً ، اما فيما يخص المامون فقد جددت البيعة له مرة اخرى في عام ١٨٩ هـ/ ٨٠٥ م فيما يمكن ان نطلق عليه (عهد قرماسين) ذلك انه لما قرر الرشيد عزل علي بن عيسى بن ماهان عن ولايته على خراسان ، قرر ان يكون قريباً من هذا الاقليم ، فتوجه من بغداد الى قرماسين مصطحباً معه عدداً من القضاة . وهناك قرر وبشهادة من معه ان كل ما معه من المال

---

٦١ - السابق ، ٢/ ٤١٥ ، الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٧٥

٦٢ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٦٩ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٠١ ، ابن العبري ، مختصر ، ١٢٩ ، السيوطي ، تاريخ ، ٢٩٠ .

٦٣ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٦٩ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٠١ .

٦٤ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤١٥ .

٦٥ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٦٩ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٠١ ، ابن العبري . مختصر ، ١٢٩ ، السيوطي ، تاريخ ، ٢٩٠

٦٦ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٨٦ .

٦٧ - مؤلف مجهول ، تاريخ الرهاوي (بغداد : ١٩٨٦) ٢/ ١٩

والسلاح وغيره هو للمأمون حصراً . ثم اخذ البيعة على الحضور للمأمون ، ولم يكتف بذلك بل ارسل قائده هرثمة بن اعين الى بغداد حيث اعاد اخذ البيعة على الامين لاخيه عبد الله المأمون وللقاسم ايضاً . وعلى من كان معه ايضاً على المضامين نفسها التي وردت في العهود المكية ، مضيفاً اليها ان امر القاسم يؤول الى المأمون اذا افضت الخلافة اليه[٦٨] .

وجددت البيعة للمرة الثالثة في عام ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م عندما توجه الرشيد مرة اخرى الى خراسان لمحاربة رافع بن الليث . وقد اخذت البيعة على من كان معه من القادة والجند . وتم التاكيد ايضاً على ان ما معه من مال وسلاح هو للمأمون[٦٩] . وثمة روايات تشير الى ان الرشيد وهو في طوس قبيل وفاته أدرك أن أمر محمد الامين واهن وضعيف وأنه لا بد من تحويل البيعة الى المأمون وتنحية محمد الامين عنها . وأن الرشيد بايع الحسين بن مصعب على هذا الاساس[٧٠] . على انه لا يمكن الركون الى هذه الرواية لاسباب عديدة في مقدمتها : ان المأمون نفسه وعند ورود خبر وفاة الرشيد اليه بايع لمحمد الامين اولاً خليفة ثم بايع لنفسه ولياً للعهد بعده[٧١] . فلو كانت الرواية صحيحة لما تمت البيعة للامين . ومن ناحية اخرى فان الرواية وردت على لسان الحسين بن مصعب والد طاهر بن الحسين . وربما اراد بهذه الرواية ان يبرر موقف ابنه طاهر في انحيازه الى المأمون ضد الخليفة الشرعي . وعليه فان هذه الرواية ضعيفة وليست صحيحة البتة .

ان هذا التاكيد على البيعة للمأمون لابد أنه كان جزءاً من حالة القلق والشك التي ساورت نفس الرشيد في نظرته المستقبلية لوضع الدولة والخلافة . وهي في الوقت نفسه تمثل انعكاساً لما اصابه شخصياً في خلافة اخيه الهادي ، لهذا فإنه رأى ان من مصلحة الاخوة الثلاثة ، ولضمان سلامة الامور ان تؤخذ هذه التاكيدات المتلاحقة ، وللحيلولة دون تكرار ما حصل في المرات السابقة .

٦٨ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٨٦ ، ٣١٥ .

٦٩ـ السابق ، ٨/ ٣٦٦ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٣ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣١٧ .

٧٠ـ الطبري ، ٨/ ٣٧٠ ، الازدي ، تاريخ ، ٣١٧ .

٧١ـ الطبري ، ٨/ ٣٧٠ .

اما بشأن البيعة للقاسم بولاية العهد ، فقد كانت بتحريض مباشر من عبد الملك ابن صالح ، احد ابرز شخصيات الاسرة العباسية انذاك[٧٢] . وربما تدخل بعض الشعراء العرب في ذلك ايضاً[٧٣] . واختلفت الروايات في تحديد السنة التي بويع له فيها . ففي اشهر الروايات ان ذلك تم في عام ١٨٦ هـ / ٨٠١ م في مكة في اثناء موسم الحج . وربما بعد الانتهاء من الاجراءات الخاصة بالعهود المكية[٧٤] . وفي رواية اخرى ان ذلك حصل في عام ١٨٧ هـ /[٧٥] او في عام ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م في رواية ثالثة[٧٦] غير ان اعتقال الرشيد لعبد الملك بن صالح في عام ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م على اثر وشاية ابنه وكاتبه به لدى الخليفة[٧٧] فليس بمقدوره في هذه الحال ان يسعى بالبيعة للقاسم ، ولا سيما انه بقي رهن الاعتقال حتى اطلقه الامين عند توليه الخلافة[٧٨] . كما انه من المعقول والمناسب ان تجري البيعة للقاسم في عام ١٨٦ هـ / ٨٠١ م عندما كانت الامور تجري في مكة فيما يخص موضوع ولاية العهد . اما توجه الانظار صوب عام ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م ذلك لان هذه البيعة جددت للمأمون وللقاسم في هذه السنة كما سبق ذكره واخذت بذلك على الامين ومن معه في بغداد . ومن اللافت للنظر ان اهتماماً خاصاً اولاه الرشيد للقاسم بعد توليته العهد . فقد عهد اليه بولاية اقليم العواصم والقيام ببعض الحملات العسكرية على الاراضي البيزنطينية[٧٩] . وهذا ما لم يتحقق من الناحية العملية والفعلية لاخويه الامين

٧٢ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٧٦ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ، مجهول ، العيون ٣ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

٧٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٦٢ .

٧٤ ـ ذكرها الطبري في احداث عام ١٨٦ هـ ، ٨ / ٢٧٦ ، انظر ايضاً : الازدي ، تاريخ ، ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ، ابن العبري ، مختصر ، ١٢٩ ، السيوطي ، تاريخ ، ٢٩٠ .

٧٥ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٥٤ .

٧٦ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٢٥ ، الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣١٦ .

٧٧ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٢٤ .

٧٨ ـ السابق ، ٢ / ٤٣٤ .

٧٩ ـ اليعقوبي ، تاريخ ٢ / ٤٢٥ ، ابن خياط ، تاريخ ، ٢ / ٧٣٤ ، الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٠٢ .

والمأمون . وعليه فإن ولاية العهد نيطت بثلاثة من اولاد الرشيد هم بحسب تسلسل التولية : محمد الملقب بالامين وعبد الله الملقب بالمأمون والقاسم الملقب بالمؤتمن .

دوافع تولية الأمين العهد :

لما انقضت السنوات الاولى من حكم هارون الرشيد دون ان يسمي احداً من اولاده الصغار ولياً للعهد ، تحركت الطموحات السياسية لدى بعض افراد الاسرة العباسية[٨٠] . فوضع الرشيد لها حداً في عام ١٧٥ هـ/ ٧٩١ م بتوليته الامين العهد من بعده . هنا لا بد من ملاحظة ان محمداً الأمين اصغر من شقيقه المأمون بستة اشهر[٨١] . ولو ما قيست الامور بمعيار تقليدي ، لكان المأمون الأجدر بولاية العهد هذه ، ومن ثم كان قرار الرشيد هذا لابد بني على اعتبارات معينة . اوردت المصادر معظمها . ولا يمكننا هنا ان نتجاهل ميول الرشيد العربية في الاختيار ، خصوصاً وأن هذا الاختيار قد حصل بعد وفاة الخيزران في عام ١٧٣ هـ/ ٧٨٩ م[٨٢] المعروفة بتعاونها مع البرامكة الى حد كبير ، حيث اصبح الرشيد اكثر قدرة على التحرك بحرية في قراراته السياسية . ولا سيما اذا ربطنا بين وفاة الخيزران وتنويهه بولاية العهد لمحمد الأمين في السنة نفسها اي ١٧٣ هـ/ ٧٨٩ م كما سبقت الاشارة الى ذلك . فضلًا عن أن من الشعراء العرب من كان يحرض الرشيد على البيعة للأمين[٨٣] . فالأمين الذي كان من ابوين هاشميين ـ الرشيد وزبيدة ـ كان اكثر تجسيداً للعروبة من المأمون الذي كانت امه فارسية . فنسب الامين العريق كان وراء ترشيحه لولاية العهد[٨٤] . ولابد ان هذه كانت رغبة

---

٨٠ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٧٧ .

٨١ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٠٧ ، الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٣٣ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٨٧ .

٨٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٣٨ .

٨٣ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٥١ ـ ٣٥٢ .

٨٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، ٢ / ٦٥٤ .

زبيدة ايضاً ، فنزل عندها الرشيد[٨٥] .

اما هل كان لبني هاشم دور ملموس في البيعة للأمين ؟ في الحقيقة فإن هذا ما لايمكن الجزم به . عدا اشارة واحدة اوردها الاربلي تفيد بميل بني هاشم اليه[٨٦] . وجاراه فيها بعض المحدثين[٨٧] . كما ذكر المسعودي في رواية للأصمعي ان الهاشميين كانوا يميلون بأهوائهم الى الامين[٨٨] . في رواية يبدو عليها الوضع كما سنبينه بعد قليل . وان الكلمات التي القاها بعض افراد الاسرة العباسية في حفل تولية الامين العهد[٨٩] ، ليست سوى جزء من مراسيم الاحتفال . ولا يشترط ان تعبر عن حقيقة مواقفهم .

اما بخصوص الدور الذي لعبه الفضل بن يحيى البرمكي في تولية الامين العهد . فلا يمكن التسليم بما جاء بالروايات الخاصة بهذا الموضوع . ففي رواية ان عيسى بن جعفر ـ خال محمد الامين ـ ناشد الفضل بن يحيى ان يسمى بولاية العهد للأمين . فأجابه الفضل بالموافقة . فلما تولى الفضل خراسان ، فرق فيها الاموال بين الخاصة والجند ، ثم اظهر البيعة للأمين ، فبايع الناس له . ولما علم الرشيد بهذه الأخبار بايع لمحمد . وكتب بذلك الى الولايات كافة ، حيث تمت البيعة له[٩٠] . وفي رواية اخرى ان الفضل بن يحيى توسم في محمد الامين ان يكون الأمير الذي يملأ الارض عدلًا بدلًا من الجور ويحيي السنة ، لأن الله تعالى جمع فيه اسمي نبيه ﷺ محمد والامين[٩١] .

---

٨٥ ـ الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، تحقيق : مكي السيد جاسم (بغداد : ١٩٦٤) ١١٩ ، عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٧٧

٨٦ ـ الاربلي ، خلاصة ، ١١٩

٨٧ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٧٧ ، شاكر مصطفى ، دولة بني العباس (الكويت : ١٩٧٣) ١ / ٤٢٨

٨٨ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٥٢ .

٨٩ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٠٧ .

٩٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٢٩٢

٩١ ـ ابن اعثم ، كتاب الفتوح (حيدر اباد : دات) ٨ / ٢٧٠ .

وفي الحقيقة ، وكما قلنا ، فانه لا يمكن قبول ظاهر هذه الروايات ، الذي يفيد ان الفضل هو المتسبب في البيعة للأمين . لأن مبايعته ولياً للعهد تمت في عام ١٧٥ هـ / ٧٩١ م وكان الوالي على خراسان في تلك السنة الغطريف بن عطاء خال الرشيد[٩٢] . في حين تولى الفضل خراسان في عام ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م[٩٣] اي بعد عامين من البيعة للامين . فما هو الدور الذي لعبه الفضل في خراسان ؟ ان الروايات السابقة الخاصة بدور الفضل في هذا الموضوع تفيد بأنه : « كانت جماعة من بني العباس قد مدوا اعناقهم الى الخلافة بعد الرشيد ، لانه لم يكن له ولي للعهد ، فلما بايع له (اي الامين) ، انكروا بيعته لصغر سنه »[٩٤] ولهذا السبب يبدو ان البيعة للأمين كانت امراً قلقاً غير راسخ ، وكانت تثار الشكوك حول مشروعيته . لذا عمل الرشيد على تاكيد هذه البيعة في خراسان ذات الثقل السياسي المهم في الدولة ، حتى وان كان ذلك تم عن طريق توزيع الاموال والهبات . فلما تأكدت البيعة هناك كتب الرشيد بها الى بقية الولايات .

وللأصمعي رواية بخصوص البيعة للأمين والمأمون ، تشير الى ان الرشيد استشار كبار مساعديه في اختيار ولي العهد[٩٥] ومع ان مثل هذا الامر لا يبدو غريباً . الا ان النقد الداخلي لهذه الرواية يكشف عدم صحتها . وهي من ثم ليست اكثر من دعاية للمأمون ضد شقيقه الامين . فالرواية عند الدينوري تفيد ان الرشيد استشار الفضل بن الربيع في هذا الموضوع . في حين تذكر الرواية عند المسعودي أنه استشار يحيى بن خالد البرمكي . ويفهم من سياق الرواية ، ان هذه المشورة تمت قبل ان يولي الرشيد اياً من ابنيه العهد ، اي ان كليهما كان دون سن الخامسة ، ولهذا فإن اراء الرشيد الايجابية بخصوص المأمون والسلبية بخصوص الامين لا يمكن ان تكون حقيقية . اذ جاء في رواية النص الذي اورده الدينوري عن الامين مثلًا ما نصه « مع

---

٩٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٤١ .

٩٣ ـ السابق ، ٨/ ٢٥٥ .

٩٤ ـ السابق ، ٨/ ٢٤٠ ، انظر ايضاً : مجهول : العيون ، ٣/ ٢٩٢

٩٥ ـ الدينوري ، الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر (القاهرة : ١٩٦٠) ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .

ركوبه هواه وانهماكه في اللهو واللذات » في حين جاء في النص الذي اورده المسعودي ما نصه « وفيه ما فيه من الانقياد لهواه، والتصرف على طويته، والتبذير لما حوته يده ومشاركته النساء والاماء في رأيه » فهل لطفل دون الخامسة اموال يبذرها او نساء واماء يشاركنه رأيه . وعليه فإن مثل هذه الرواية ليست غير دعاية مضادة اثيرت في اثناء الصراع بين الطرفين او بعد انتهائه الهدف منها الاساءة المقصودة الى الامين، وتحسين موقف المأمون في نظر العامة .

دوافع البيعة للمأمون :

في عام ١٨٣ هـ/ ٧٩٩ م بايع الرشيد للمأمون ولياً للعهد بعد شقيقه الامين كما افدنا . ومن الواضح والمؤكد جداً انه ليست هناك أية علاقة بين الاتهامات الموجهة للأمين التي ذكرت قبل قليل وبين البيعة للمأمون[٩٦] . وذلك لبطلان هذه الاتهامات . ومن ناحية اخرى فان اجراء الرشيد هذا لا يبدو شاذاً او غريب في اطار عصره ، لأن معظم الخلفاء الذين سبقوه او اعقبوه كانوا يولون العهد لأكثر من شخص واحد ، ومن ثم يجب النظر الى هذا الموضوع من هذه الزاوية لا غير . ورغبة الرشيد القوية في الحفاظ على الخلافة في نسله[٩٧] .

وفي هذا الصدد يشير الامين الى ان البيعة للمأمون بالذات ، كانت بدفع وتحريض من جعفر بن يحيى البرمكي[٩٨] . وفي كل الاحوال فأن محمداً الامين كان يعرف جيداً طبيعة عصره والدور السياسي الذي لعبته الاسرة البرمكية في الحياة السياسية للدولة خاصة اذا ما اضفنا ما قاله المسعودي الى ما قاله الأمين . حيث أفاد بانه عند الانتهاء من تعليق العهود على جدران الكعبة والقسم الذي اداه الامين بهذا الخصوص ، أملى عليه جعفر قوله : « فإن غدرت بأخيك خذلك الله ، حتى فعل

---

٩٦ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٧٨ ، شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، ١ / ٤٢٩ .

٩٧ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٧٨ ، شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، ١ / ٤٢٩ .

٩٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٨٥ .

ذلك ثلاثاً في كلها يحلف له »[99] . وهذا يشجع على قبول رأي الأمين في طبيعة البيعة للمأمون . وهو امر اكده الجهشياري ايضاً من ان البيعة تمت بتدبير والحاح من جعفر البرمكي . ولم يكتف بذلك ، بل آثر التوجه معه من الرقة الى بغداد لأخذ البيعة له على بني هاشم والوجوه فيها . ثم كتب الى العمال في الولايات بهذا الخصوص ، ثم عاد بعد ذلك الى الرقة[100] .

ولما كان الشك والقلق قد بلغا من الرشيد مبلغاً كبيراً من الخوف على مستقبل ولديه والدولة ، فانه سعى الى توكيد البيعة لولديه وارساء طابع الالفة والثقة بينهما بأن الزمهما بالوفاء لبعضهما بعض بأوثق الايمان وأغلظها . ففي عام ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م كان الرشيد قد حج بالناس مصطحباً معه ابنيه ووجوه بني هاشم والقادة والفقهاء لتنفيذ ما كان يدور في خلده ، حيث جعل كلًا من ولديه محمداً الامين وعبد الله المأمون يكتبان كل على حدة عهداً بالوفاء لأخيه . ثم ادخل جمع المبرزين الذين اصطحبوه الى داخل البيت الحرام وقُرئت عليهم هذه العهود واشهدوا عليها ثم علقت على جدران الكعبة[101] بعد ان وضعت في انابيب من الفضة[102] ، لاكسابها طابع القدسية والاحترام الفائقين موحياً الى ولديه ضرورة الالتزام بهذه العهود التزاماً مطلقاً .

وكتب الرشيد بعد ذلك الى ولاة الاقاليم كتاباً تضمن النقاط الرئيسة الواردة في هذه العهود[103] ، غير ان اللافت للنظر ان هذا الكتاب ذيل بعبارة تشير الى ان اسماعيل بن صبيح كتب هذا الكتاب في محرم من عام ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م[104] وعند

---

٩٩ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٥٤ .

١٠٠ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢١١ .

١٠١ ـ ابن خياط ، تاريخ ، ٢/ ٧٣٣ ، الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٧٨ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٠٥ .

١٠٢ ـ ابن خياط ، تاريخ ، ٢/ ٧٣٣ .

١٠٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٨٣ ـ ٢٨٦ .

١٠٤ ـ السابق ، ٨/ ٢٨٦ .

الجهشياري في عام ١٨٨ هـ/ ٨٠٥ م[١٠٥] وكلا التاريخين غير صحيح ، اذ يفترض ان هذا الكتاب قد ارسل بعد الانتهاء من الاجراءات الخاصة بالعهود المكية . ولما كان الكتاب قد كتب في شهر محرم ، فيجب ان يكون ذلك في عام ١٨٧ هـ/ ٨٠٤ م اي بعد الانتهاء من موسم الحج مباشرة .

٣ ـ العهود المكية : نظرة تحليلية

تعد العهود المكية التي أخذها الرشيد على ولديه محمد الامين وعبد الله المأمون ، من الوثائق ذات الاهمية الكبيرة التي استندت اليها جملة التطورات اللاحقة لموضوع بحثنا هذا . وعليه فانه لابد من تمحيص هذه الوثائق تمحيصاً دقيقاً يكشف عن حقيقتها ودورها في تبرير التطورات المشار اليها . وقد وردت نصوص هذه العهود عند كل من الطبري واليعقوبي . وسنعمل هنا على عرضها وتحليلها ومناقشتها .

العهد الذي أخذه الامين على نفسه .[١٠٦]

تضمن هذا العهد بحسب ما جاء عند الطبري :

١ ـ ان هذا العهد كتبه محمد الامين بنفسه ، وبالصيغة التي يتكلم فيها عن نفسه .

٢ ـ قبول الامين ان يكون المأمون ولياًللعهد من بعده ، فضلاً عن ولايته على خراسان وكل ما يتعلق بها ادارياً وعسكرياً ومالياً .

٣ ـ قبول الامين بكل ما حوله الرشيد للمأمون من اموال نقدية او عينية او عقارات .

٤ ـ يتعهد الامين حال وفاة الرشيد بأن ينفذ المأمون الى ولايته في خراسان مع ما ضم اليه الرشيد من اهل بيته وقادته وموظفيه بحسب ما هو مقرر في عهد قرماسين آنف الذكر . وتم تحديد مجال نفوذ وولاية المأمون بانها تمتد من الري ـ

---

١٠٥ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٦٥ .

١٠٦ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤١٦ ـ ٤١٩ ، الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٧٨ ـ ٢٨١ .

داخل - حتى اقصى مشرق اقليم خراسان .
٥ - تعهد الامين بعدم عزل المأمون عن ولايته هذه ولا يفرق عنه من ضمه اليه الرشيد من اشخاص .
٦ - يتعهد الامين بأنه لا يمارس أية سلطات او نفوذ على مجال عمل وسلطات المأمون باي شكل من الاشكال ادارياً ومالياً وعسكرياً وان لا يحول دون ان يمارس المأمون عمله هناك برأيه وتدبيره هو .
٧ - يتمتع اصحاب المأمون من اهل بيته وصحابته وقضاته وعماله وكتابه وقواده وخدمه ومواليه وجنده بحصانة خاصة ضد اية اجراءات قد يتخذها الامين . وتمتد هذه الحصانة الى اقرباء كل هؤلاء المنوه عنهم والى مواليهم ايضاً . وتشتمل هذه الحصانة على حماية الانفس والاموال والممتلكات . وليس للأمين الحق في اتخاذ اي اجراء بصددهم وان ذلك من شأن المأمون فقط .
٨ - واذا لحق اي من هؤلاء بالأمين متخلياً عن المأمون . فانه على الأمين ان يرده من حيث أتى بكل ذلة ليرى فيه المأمون رأيه .
٩ - واذا عمل الأمين على :
أ - خلع المأمون عن ولاية العهد .
ب - أو عزله عن ولاية خراسان .
جـ - او لم يسمح لأي شخص من المعنيين باللحاق بالمأمون ممن تم تحديدهم آنفاً .
د - او انتقص قليلاً او كثيراً مما جعله له الرشيد من اموال وسلاح وممتلكات باي وجه من الوجوه او حيلة من الحيل .
فان الخلافة تؤول الى المأمون ويكون المقدم على الامين فيها . وتكون الطاعة في ذلك واجبة للمأمون على المسلمين في اي مكان من الدولة .
١٠ - لا يحق للأمين او المأمون خلع القاسم عن ولاية العهد او تقديم احد من ابنائهما عليه . حتى تؤول الخلافة الى المأمون ، فله وحده حق التصرف بابقاء القاسم او عزله او تأخيره عن ولاية العهد .
١١ - على المسلمين كافة الالتزام بهذا العهد والوفاء للأمين والمأمون والقاسم بما

عهد لكل منهم ، ووضعت لذلك اوثق الايمان واغلظها .

هذه هي الفقرات التي تضمنها تعهد الامين بحسب ما جاء عند الطبري . وقد وجهت طائفة من المحدثين انتقاداتها الى مجمل العهود المكية هذه ، مشيرة الى احتمال كونها غير صحيحة بصيغتها هذه[١٠٧] ، ومن خلال ملاحظتنا لعهد الامين هذا مع مقارنته بما اورده اليعقوبي يمكن ان نلاحظ ما يأتي :

١ ـ يبدأ تعهد الامين الذي أخذه على نفسه بما يشير الى أنه كتبه بنفسه . بيد اننا نلاحظ تغير لغة التخاطب فيما بعد بما ينبيء انه ليس هو الذي كتبه مثل عبارة : « التي سماها امير المؤمنين (الرشيد) في كتابه هذا »[١٠٨] في حين ان النص الذي اورده اليعقوبي يشير دائماً الى ان الامين كان يتكلم فيه عن نفسه مثل عبارات : « وجعل لي البيعة .... » و « شرطت لعبد الله اخي ... » و « فان اختلفنا في شيء .... » و « لا آمر بذلك احداً » و « فعليَّ لعبد الله بن هارون .... »[١٠٩] وغيرها من العبارات المماثلة ، ويشير هذا بالتأكيد الى وجود تلاعب في صياغة النص الذي اورده الطبري .

٢ ـ الاختلاف الواضح والبيّن في بعض مضامين التعهد بين نصي الطبري واليعقوبي ، إذ أن بعض العبارات ليست واردة في نص اليعقوبي منها في سبيل المثال : « وإن نزع اليه احد ممن ضم امير المؤمنين الى عبد الله ابن أمير المؤمنين من اهل بيت أمير المؤمنين ... حتى ينفذ فيه رأيه وأمره »[١١٠] وعبارة : « فعليكم معشر المسلمين انفاذ ما كتب به أمير المؤمنين .... »[١١١] وغيرها مما سنأتي عليه تباعاً

٣ ـ ان تحديد منطقة عمل المأمون حددت عند الطبري بأنها « من لدن الري الى اقصى خراسان »[١١٢] بينما اكتفى نص اليعقوبي بالاشارة الى « خراسان

---

١٠٧ ـ انظر مثلاً : شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، ١ / ٤٣١ ـ ٤٣٢ ،

١٠٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٨٠ .

١٠٩ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤١٦ ـ ٤١٧

١١٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

١١١ ـ السابق ، ٨ / ٢٨١ .

١١٢ ـ السابق ، ٨ / ٢٧٩ .

بثغورها وكورها » او « ولاية خراسان وأعمالها »[١١٣] ويمثل هذا تبايناً واضحاً في تحديد منطقة العمل . اذ جعل نص الطبري للمأمون منطقة عمل اوسع مما ذكره نص اليعقوبي .

٤ ـ ومن الامور المهمة الاخرى ، ان نص الطبري اشار مرتين الى عهد قرماسين[١١٤] مع ملاحظة ان نص اليعقوبي لم يشر اليه مطلقاً . والاهم من هذا ان عهد قرماسين حصل في عام ١٨٩ هـ/ ٨٠٥م كما سبق ذكره . بينما حدثت الاجراءات الخاصة بالعهود المكية في عام ١٨٦ هـ/ ٨٠٢م الامر الذي يؤكد ان ثمة اموراً اقحمت في نص الطبري لم تكن موجودة في أصله بل اضيفت اليه لاحقاً لتسويغ تصرفات المأمون واجراءاته تجاه الامين .

٥ ـ ان الايمان التي وردت في نص الطبري جاءت شاملة للمسلمين كافة . بينما جاءت في نص اليعقوبي خاصة بالامين شخصياً . وهو اختلاف اخر يشير الى الوضع والتدليس الذي اصاب هذه الوثيقة

٦ ـ وهناك ايضاً الفقرة الخاصة بالوفاء للقاسم بعدم خلعه عن ولاية العهد . حيث وردت في نص الطبري[١١٥] ، بينما لم ترد بأي شكل من الاشكال في نص اليعقوبي ، ثم ان البيعة للقاسم بولاية العهد حصلت اصلًا بعد الانتهاء من الاجراءات الخاصة بهذه العهود . اذ يشير نص الطبري في مقدمته الى ما نصه : « وصير البيعة في رقاب المسلمين جميعاً ، وولى عبد الله بن هارون العهد والخلافة وجميع امور المسلمين بعدي ، وبرضاً مني وتسليم »[١١٦] اي لم يرد ذكر القاسم في توليته العهد هنا . كما يفهم من عموم الروايات ان بيعته تمت بعد الانتهاء من تعليق هذه العهود على جدران الكعبة . اما سبب اقحام هذه العبارة هنا ، فالغرض منها تبرير تصرف المأمون بخلعه القاسم عند توليه الخلافة ، وتبيان عدم شرعية قيام الامين بمثل هذا العمل من قبل وكما سيرد لاحقاً

---

١١٣ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤١٦

١١٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

١١٥ ـ السابق ، ٨/ ٢٨٠

١١٦ ـ السابق ـ ٨/ ٢٧٨ .

٧ ـ ومن ناحية اخرى فان هذا العهد قسم الدولة من الناحية العلمية الى دولتين . اذ ليس للخليفة في بغداد اي نفوذ او سلطة وباي شكل من الاشكال على منطقة عمل المامون ، ولا بد انه قد تمت اعادة صياغة للعبارات الخاصة بهذا الجانب لتضفي شرعية على قيام المامون برفض التعاون مع الامين ورفض اجراءاته الخاصة التي سعى الى اتخاذها فيما يخص اقليم خراسان . وبما يظهر قيام الامين بخرق هذه العهود .

٨ ـ لم يشر نص الطبري البتة الى استخدام الامين كلمة « اخي » في كلامه عن المامون في هذا العهد . في حين وردت هذه الكلمة مرات عديدة في النص الذي اورده اليعقوبي[١١٧] . في محاولة لاضفاء صفة الجفوة على لغة التخاطب التي استخدمها الأمين . ربما يمكن ان يفهم منه أنه كان يبيت نية سيئة تجاه شقيقه المامون .

ان ما يمكن ان نخلص اليه من هذا التحليل ان نص العهد الذي اخذه الأمين على نفسه وأورده الطبري هو نص محرف بدون ادنى شك . بهدف إضفاء السلبية وعدم الوفاء على الامين ، وتسويغاً لخروج المامون على سلطة الخلافة ولتصرفاته واجراءاته بهذا الخصوص .

العهد الذي اخذه المامون على نفسه[١١٨] .

في هذا العهد الذي الزم المامون به نفسه لا يوجد اختلاف حقيقي وجوهري بين نصي الطبري واليعقوبي ، سوى امور بسيطة تتعلق بصياغة بعض الجمل لم تتسبب في اختلاف المعنى والمضمون . وقد تضمن عهد المامون هذا الفقرات الآتية :

١ ـ ان المامون هو الذي كتب هذا العهد بنفسه ، ويلاحظ هنا ان هذا العهد حافظ على نوعية لغة التخاطب ، من حيث تتابع الاشارات الى أن المامون كان

---

١١٧ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤١٦ .

١١٨ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤١٩ ـ ٤٢١ ، الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٨١ ـ ٢٨٣ .

يتحدث عن نفسه في العهد كله .

٢ ـ ان الرشيد ولى المأمون « ثغور خراسان وكورها وجميع اعمالها »[١١٩] وهو ما يختلف اختلافاً واضحاً عما ورد في عهد الامين الذي سبق ان ذكرت فيه تفاصيل منطقة عمل المأمون

٣ ـ الاشارة الى ان الامين تعهد له بالوفاء بأن تؤول اليه الخلافة من بعده ، وان لا يتعرض له في ولايته على خراسان وعلى امواله كافة . وان لا يتعرض لاحد من عماله او كتابه بأذى باي شكل من الاشكال .

٤ ـ تعهد المأمون بالسمع والطاعة والنصح وعدم الغش وبالوفاء للأمين ، وانفاذ كتبه بشرط ان يفي له الأمين بما تعهد به على نفسه .

٥ ـ اذا احتاج الأمين الى مساعدات عسكرية ، فأن المأمون يتعهد بتقديمها اليه عند الطلب والحاجة .

٦ ـ واذا اراد الامين ان يولي العهد والخلافة لاحد من ابنائه بعد المأمون ، فإنه لا يعترض على ذلك بشرط ان يفي الامين بما تعهد به للمأمون ، الا اذا ولى الرشيد العهد لاحد ابنائه من بعده ـ اي بعد المأمون ـ فان على الامين الالتزام بذلك .

ويشير هذا ضمناً الى ان القاسم لم يكن قد ولي العهد فعلًا قبل كتابة هذه العهود ، بل جرى ذلك بعدها ، الامر الذي يعزز ما سبقت الاشارة اليه ، كما انه جاء من ناحية اخرى لأظهار عدم مشروعيته اجراء الامين الخاص بتوليه ابنه موسى العهد .

٧ ـ التأكيد مرة اخرى على ان المأمون سيحافظ على الوفاء للأمين اذا ما وفى له الاخير ما اشترط به على نفسه .

٨ ـ في حالة نقض المأمون لتعهداته هذه ، فان كل ما يترتب عليه هو ما يتعلق فقط بطبيعة الايمان التي أخذها على نفسه ، دون اية تبعات سياسية ، كما هو حاصل في تعهد الامين على نفسه ، بان الخلافة تسقط عنه وتؤول الى المأمون في حالة نقضه لابسط الشروط التي اخذها على نفسه .

---

١١٩ ـ الطبري ؛ تاريخ ، ٨/ ٢٨١

ان نظرة متفحصة الى العهد الذي أخذه المأمون على نفسه تكشف عن انه تمت صياغته بحيث يحقق مصالحه دون مراعاة مصالح الامين . فهذا العهد يفرض على الامين من الشروط اكثر مما هو مفروض على المأمون . الامر الذي يثير الشكوك في مدى صحة هذا النص ويدفع الى الاعتقاد بانه قد اعيدت صياغته وتم تحويره عن النص الأصلي من اجل تاكيد مصالح المأمون ، ومن ثم فإنه لا يخلو من تدليس وتحريف استكمالاً لما اصاب عهد الامين من تحريف وتدليس ايضاً من اجل تبرير وتفسير التطورات الحاصلة لاحقاً .

وعموماً فإن هذه العهود وفي كل الاحوال وضعت وصيغت لصالح المأمون وعلى حساب مصالح الأمين[١٢٠] . حيث لم يكن للأمين اية سلطات على منطقة عمل المأمون ، ومن ابسط الحوادث التي اكدت ذلك . ان الامين طلب من عامل الري ان يرسل اليه بعض غرائب النباتات هناك ، فنفذ هذا ما طلب منه ، فكان جزاؤه ان عزل المأمون عن الولاية على الري[١٢١] . كما ان هذه العهود افترضت مع كل ما جاء فيها من شروط ان حسن النية متوفر لدى الجانبين على الدوام[١٢٢] . لقد حاول الرشيد من خلال هذه العهود المتبادلة ان يحقق نوعاً من التوازن بين الاخوين . ادراكاً منه لدقة الموقف المتسببة عن وجود وليين للعهد من بعده . وربما توقع وجود نوع من الصراع الخفي بينهما ، حيث انهما يختلفان كلياً في طبيعة شخصية كل منهما كما يختلفان في مصالحهما[١٢٣] ومن ثم فان النتيجة الخطيرة المتوقعة التي ترتبت على اجراءات الرشيد هذه تمثلت في تقسيم الدولة عملياً الى قسمين ، كانت كل التفاعلات السياسية التي تدور في الخفاء والعلن تشير الى ان التصادم بينهما واقع لا محالة . وهو ما حصل بالفعل .

---

١٢٠ ـ فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، (بغداد : دات) ١٨٩ .

١٢١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٧٥ .

١٢٢ ـ فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، ١٨٩ .

١٢٣ ـ E. I. 1/ 437

كتاب هارون الرشيد الى عماله على الولايات[١٢٤]

بعد الانتهاء من موسم الحج كتب هارون الرشيد الى عماله على الولايات كافة ، كتباً اعلمهم فيها بعهود مكة وما اجتهد به الرشيد لضمان سلامة سير الامور بين ابنيه الامين والمأمون وما أخذ عليهما من التزامات بهذا الشأن . ثم ارسلت مع هذه الكتب نسخ من هذه العهود . وتضمنت هذه الكتب امراً لعمال الولايات بفهم واستيعاب ما ورد فيها ـ العهود ـ واثباتها في دواوينهم بحضور القادة الموجودين في كل ولاية . ثم يقوم العمال بعد ذلك بالكتابة الى الرشيد بشأن ردود الفعل في الولايات تجاه اجراءاته آنفة الذكر.

الا ان اللافت للنظر ان كتب الرشيد هذه تجاهلت البيعة للقاسم بولاية العهد بعد اخويه الأمين والمأمون . فقد جاء في نص هذه الكتب : « ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الامة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين ، يعمل فكره ...... »[١٢٥] ثم ذيلت هذه الكتب بأن كاتبها أسماعيل بن صبيح ، وأنه كتبها في شهر محرم من عام ١٨٦ هـ / كانون الثاني ٨٠٢ م[١٢٦] وكما المحنا سابقاً ، فان هذا التاريخ غير صحيح . اذ يفترض ان هذه الكتب جاءت بعد الانتهاء من موسم الحج الذي تم في شهر ذي الحجة من عام ١٨٦ هـ / كانون الاول ٨٠٢ م وان شهر محرم الذي يعقب موسم الحج هذا يقع في عام ١٨٧ هـ / تشرين الثاني ٨٠٣ م . ان هاتين الملاحظتين تثيران الشكوك حول صحة نصوص هذه الكتب التي قد لا تخلو هي الاخرى من تحريف وتدليس .

ولا بد أن نشير هنا الى وثيقة اخرى لها اهميتها وان جاءت في مرحلة متاخرة نسبياً عن هذا الوقت وقبيل وفاة الرشيد ، تمثلت في وصيته لقادته الذين كانوا بحضرته في طوس جاء فيها :

---

١٢٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٨٣ ـ ٢٨٦ .

١٢٥ ـ السابق ، ٨ / ٢٨٤

١٢٦ ـ السابق ، ٨ / ٢٨٦

« اوصيكم باجتماع كلمتكم ، والمناصحة لائمتكم ، أنهاكم عن الفرقة والقطيعة ، والغش والغل والحسد .... وانظروا ابني حنيفاً محمداً وعبد الله ، فمن بغى منهما عن صاحبه فردوه عن طريقه وايدوا اثبتهما حجة .... ثم اقبل على الفضل بن الربيع فقال : يا فضل ... اذا مت فخذ القضيب والبردة والخاتم والحق بابني محمد الامين وكن معه حتى تكاتفه وتؤازره على امره »[١٢٧] .

فاذا صحت هذه الوثيقة ، وليس هناك ما يشير الى عكس ذلك ، فإن هذا يعني ان بقية ما صدر عن الرشيد ، بحسب الروايات ، في قرماسين ثم في طوس ليس صحيحاً ، لان الرشيد لم يطلب هنا من الفضل اللحاق بالمأمون ، في حين ان عهد قرماسين ثم طوس كان يشير الى ضرورة لحاق كل من كان مع الرشيد بالمأمون ويفترض ان يكون الفضل معهم في حين جاءت الاشارة هنا صريحة الى ضرورة لحاقه بالامين .

٤ - تولي الأمين الخلافة

يبدو ان توجه الرشيد الى خراسان لقمع حركة رافع بن الليث بعد ان استشرت مثل نقطة تحول مهمة في افكار وتصورات الفضل بن سهل المساعد الاول للمأمون ووزيره فيما بعد ، وكذلك فيما يخص محمد الامين ، فقد انحدر الرشيد من الرقة ، مكان اقامته المفضل الى بغداد في جمادي الآخرة من عام ١٩٢ هـ / اذار ٨١٠ م[١٢٨] وبعد اقامة قصيرة في بغداد توجه نحو خراسان في شعبان من العام نفسه ، اي وبعد شهرين من تركه الرقة[١٢٩] . وهنا اشار الفضل بن سهل على المأمون بضرورة مصاحبة والده الرشيد في رحلته هذه مخاطباً اياه بقوله : « لست تدري ما يحدث بالرشيد وهو خارج الى خراسان وهي ولايتك »[١٣٠] ومن ناحية اخرى فإن

---

١٢٧ - ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٢٨٢ - ٢٨٣

١٢٨ - الطبري ، ٨/ ٣٣٨ .

١٢٩ - السابق ، ٨/ نفس الصفحة .

١٣٠ - السابق ، ٨/ نفس الصفحة .

الامين ،وبعد شهرين من ترك والده لبغداد كتب رسائله الموجهة الى المامون والشخصيات الاخرى المهمة التي كانت بصحبة الرشيد في شوال من عام ١٩٢ هـ/ نفسه تموز ٨٠٨ م[١٣١] بيد أنه لم يرسل هذه الرسائل الا بعد اشتداد المرض بالرشيد[١٣٢].

وهذا يعني من الناحية العملية ، انه مع الخطوات الاولى للرشيد باتجاه خراسان ، كانت ثمة تصورات لدى الفريقين على انها قد تكون الرحلة الاخيرة للرشيد ، اذ قد يقضي نحبه فيها . ولذلك لابد من التحوط للتطورات التي قد تعقب ذلك ، مع انه لم تبدُ اية علائم للمرض على الرشيد ، وأن مهمته في خراسان كانت مهمة حربية قتالية تستوجب اعلى درجات الصحة والعافية ، ولا شك ان الرشيد كان كذلك في مطلع رحلته هذه . على اية حال فقد توفي الرشيد في طوس في جمادي الاخرة من عام ١٩٣ هـ/ اذار ٨٠٩ م[١٣٣] او في مطلع جمادي الاولى حسب رواية اليعقوبي[١٣٤] .

وحال الاعلان عن وفاة الرشيد ، وبعد الانتهاء من المراسيم الخاصة بها ، أخذ الفضل بن الربيع البيعة للأمين في طوس على من حضر من الهاشميين والقادة[١٣٥] . ولما وصل الخبر الى المامون بوفاة والده الرشيد ، جمع الوجوه الذين معه وكذلك الجند ، ثم صعد المنبر وخطب فيهم ، ثم بايع للخليفة الجديد الامين[١٣٦] اما الامين فقد وصل اليه الخبر بعدما يقرب من اثني عشر يوماً من وفاة الرشيد[١٣٧] . وكتم الامين الخبر يوماً ونصف اليوم حتى حضرت الجمعة فصعد المنبر عقب الصلاة ونعى

---

١٣١ ـ السابق ، ٨/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

١٣٢ ـ السابق ، ٨/ ٣٦٦ .

١٣٣ ـ السابق ، ٨/ ٣٤٥ .

١٣٤ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٠ .

١٣٥ ـ اليعقوبي ، تاريخ ٢/ ٤٣٣ ، الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٦٥ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٨٧ .

١٣٦ ـ الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٢ ـ ٣٩٣

١٣٧ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٦٥ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٨٨

الرشيد للناس ، ثم بايعه اهل بيته وخاصته وقادته . ثم اتم البيعة عم ابيه سليمان بن ابي جعفر والسندي بن شاهك على بقية الناس والقادة والجند[١٣٨] ، وأمر الامين للجند بارزاق سنتين ومنح الاعطيات[١٣٩] .

وبعد توليه الخلافة أمر بإرسال عشرين الف مثقال ذهب لجعلها صفائح على باب الكعبة ، ثم اطلق عبد الملك بن صالح من حبسه وولاه جميع ما كان اليه من الجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور كما رد اليه امواله وضياعه . كما اطلق علي بن عيسى بن ماهان من حبسه إيضاً ورد عليه امواله وولاه شرطته وقربه اليه كثيراً . ثم اجرى بعض التغييرات في الولاية على الاقاليم[١٤٠] .

---

١٣٨ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٣ ، الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٦٥ .

١٣٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٦٥ .

١٤٠ ـ البيعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

الفصل الثاني

القوى الفاعلة في الصراع



١ ـ الشخصيات

لعبت العديد من الشخصيات دوراً خطيراً في رسم وتحديد طبيعة اتجاهات الاهداف والغايات والوسائل التي ضمها الصراع بين الأمين والمأمون ، ان عرضاً وافياً لطبيعة هذه الشخصيات ، يسهم اسهاماً فاعلاً في الكشف عن ماهية هذا الصراع والخصائص التي ميزته . وهذه الشخصيات هي :

الأمين والمأمون :

لابد من ادراك حقيقة مهمة لها تأثيرها في طبيعة العلاقة بين الامين والمأمون ، هي انهما كانا اخوين من جهة الاب فقط ، بينما كانت والدتاهما مختلفتين ، ولا بد ان هذا الأمر سيخفي وراءه النوازع الغريزية وتأثيراتها على العلاقة بينهما ، فالأمين والدته زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، ولم يكن بين خلفاء الدولة العربية الاسلامية من كان أبواه هاشميين سوى علي بن ابي طالب والأمين[١] . في حين كانت ام المأمون فارسية تدعى مراجل[٢] . وليس القصد هنا تثبيت حالة من التمييز العرقي بين الاخوين بقدر ما يعني الامر التعرف على جذور المشكلة كلها من وجهة نظر ذلك العصر . فكون الوالدتين مختلفتين عن بعضهما من هذه الناحية ، فيعني هذا ان ميولهما واتجاهاتهما ورغباتهما ستكون مختلفة ومتباينة ، ولابد ان ينعكس ذلك على ولديهما الأمين والمأمون .

أضف الى هذا الاحساس الذاتي لكلا الاخوين . فالأمين من نسب عريق في اصوله ، ولا بد ان يمنحه هذا من الاعتداد بالذات ، لا يتوفر للمأمون ، الذي لابد ان يغبط أخاه ويحسده على هذا النسب من جهة امه . ويبدو جلياً ان هذه ليست تصورات تضرب في الخيال والتخمين . بل ان هذا الاحساس نفسه تسرب الى الناس في ذلك الوقت وادركوا حقيقته ، إذ قال أحد الشعراء يعرض بالمأمون إذ حَدَّه الرشيد

---

١ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٣ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٤١٦ .

٢ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٩٦ .

في احدى جواريه ويمتدح الأمين :

لم تلـــــده أمــــــة تعـ ـرف في الســـــوق التجـــــارا

لا ولا حـــــد ولا خـــــا ن ولا في الجـــــري جـــــارا .[3]

ان مثل هذه العلاقة التي شابها الحسد لابد ان تلقي بظلالها على مستقبل العلاقات السياسية والمصالح بين هذين الأخوين .

وكانت لدى الرشيد رغبة كبيرة في تربية الامين واعداده اعداداً خاصاً يؤهله للخلافة ، حيث طلب الى مربيه الاخذ بنظر الاعتبار كل ما هو ضروري ومهم لخليفة المستقبل من اداب وعلوم واخلاق[4] . غير ان تربيته المترفة جعلته قليل الصرامة والحزم . ويظهر عليه بوضوح انه لم يتأثر بالنزعة الميكافيلية التي رافقت معظم الخلفاء العباسيين[5] بل انه فضل عليها التمسك بالقيم والمباديء الأصيلة . ان بعض الاشارات التي افلتت من التشويه تؤكد هذه الحقيقة . فقد رفض ان يأخذ اولاد المأمون رهينة لديه ليفرض عليه شروطه السياسية . كما طلب اليه احد قادته[6] . كما عرف عنه تسامحه وطيبته في التعامل حتى مع الذين الحقوا به أشد الأذى ، وهذا ما فعله مع الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان الذي اعتقل الامين وسجنه ودعا للمأمون في بغداد وحينما تمكن منه الامين سامحه وعفا عنه[7] . ان هذا النمط من التعامل كان غير مجدٍ له في صراعه العنيف مع خصومه ، ولا سيما ان معسكر خصومه كان يدار بدهاء شديد من قبل الفضل بن سهل . هذا فضلًا عن ان الرشيد لم يهتمَ باعداد ابنيه ، الامين والمأمون ، اعداداً سياسياً وادارياً وعسكرياً من الناحية

---

٣ ـ ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق : د . ثروت عكاشة (القاهرة : دات) ٣٨٧ ، ابن الطقطقا ، الفخري في الاداب السلطانية (بيروت : دات) ٢١٢ .

٤ ـ انظر مثلًا : المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٥١ .

٥ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٨٧ .

٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ /

٧ ـ السابق ، ٨ /

العملية ، بل اكتفى بالجانب النظري في ذلك . لذا لم يكن لكل منهما من الخبرة في هذه المجالات ما يمكنه من ادارة الصراع لصالحه . بيد ان نقص خبرة المأمون عوض عنها الخبرة الوافرة التي امتلكها الفضل بن سهل[8] . في حين لم يكن في معسكر الأمين من يمتلك هذه المواصفات والمهارات السياسية . الامر الذي جعل الكفة غير متوازنة بين الطرفين .

الفضل بن سهل :

يعتقد ان اصله يرجع الى ملوك المجوس ، وإن لم يرد في سيرته ما يؤكد ذلك ، وأسلم ابوه في ايام الرشيد[9] . وتشير بعض الروايات الى ان الفضل نفسه أسلم على يد المأمون عندما كان هذا ولياً للعهد في عام ١٩٠ هـ / ٨٠٦ م[10] اما الخطيب البغدادي فيرى انه اسلم وحده رافضاً اعلان اسلامه على يد الرشيد او المأمون ، بل ذهب وحده الى الجامع في يوم جمعة واعلن اسلامه فيه[11] ، ويتضح من هذا انه كان قريب عهد بالاسلام ، عندما بدأت تتضح مسارات الصراع بين الامين والمأمون . وانه لم يكن قد تشبع بمباديء الاسلام حتماً حتى ذلك الوقت .

بدأت علاقات الفضل بالخلافة عن طريق البرامكة ، وكان اتصاله بهم عن طريق والده سهل بن زاذا نفروخ ، فقد احضر هذا ابنيه الفضل والحسن امام يحيى البرمكي فعهد بهما الى ولديه الفضل وجعفر ؛ فكان الفضل بن سهل رئيساً للخدم عند الفضل بن يحيى البرمكي ، ثم انه قام بترجمة احد الكتب الفارسية الى العربية ليحيى بن خالد البرمكي ، فكان مثار اعجابه الشديد وتنبأ له بمكانة رفيعة وشأن كبير في المستقبل ، وطلب اليه من اجل ذلك الدخول في الاسلام لأن ذلك يمكنه من التقدم سريعاً في مستقبله وحوله الى ابنه جعفر الذي كان يرعى المأمون ليسلم على يد

---

٨ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٨٦ .

٩ ـ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (بيروت : دات) ٨٢/ ٣٣٩ .

١٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٢٠ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٠٨ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، تحقيق : د . احسان عباس (بيروت : ١٩٧٧) ٤/ ٤١

١١ ـ الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ١٢/ ٣٤٠

الأخير . وبقي ملازماً لجعفر . فلما قتل لزم الفضل بن سهل المأمون ورافقه[١٢] . ومن خلال تداخله مع البرامكة وملازمته لهم ، فقد ورث عنهم اراءهم وتقاليدهم وطموحاتهم وبراعتهم في ادارة الامور السياسية[١٣] .

ان علاقة الفضل بالمأمون باتت من القوة والمتانة بحيث كان هو المخطط لكل تحركاته السياسية وبدأ ذلك منذ ان طلب اليه ان يرافق الرشيد في رحلته الاخيرة الى خراسان ولا يرضى بالبقاء في بغداد[١٤] . ولما بدأ النزاع بين الامين والمأمون كان الفضل يشد من أزر المأمون ويشجعه ويصبره ويمنيه[١٥] . وكان يقول له : « اصبر وأنا أضمن لك الخلافة . »[١٦] وبلغ من النفوذ حد ان جميع المكاتبات كانت تخرج منه واليه . بل ان طاهراً بن الحسين عندما حقق نصره على علي بن عيسى بن ماهان آثر أن يكتب بالبشرى الى الفضل وليس الى المأمون[١٧] . واكثر من هذا أنه زاحمه على جارية اراد شراءها[١٨] .

ولا يظهر ان طموحاته السياسية كانت محدودة ، ولا سيما بعد ان دغدغها وحركها يحيى بن خالد البرمكي بقوله له : « في كل اربعين سنة يحدث رجل يجدد الله به دولة ، وانت عندي منهم »[١٩] وقال الفضل نفسه مرة : « والله ما صحبت هذا الامير لأكسب معه مالًا قل او كثر ، وان همتي لتتجاوز كل ما يجوز ان يملك ... اخرج خاتمه من يده ، ثم قال : ليجوز طابع هذا في الشرق والغرب ، لهذا خدمته .... »[٢٠]

---

١٢ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

١٣ ـ فاروق عمر ، الفضل بن سهل وزير المأمون ، مجلة افاق عربية ، العدد ١ ، (بغداد : ١٩٨٢) ١٠٨ .

١٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٣٨ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٦٦ .

١٥ ـ الجهشياري ، نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق : كوركيس عواد (بيروت : ١٩٦٤) ٤٠ ، عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ٢٠٠ .

١٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ٣٧٢ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٨ .

١٧ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤١٥ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٩١ .

١٨ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤١٧ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٤ / ٤١ .

١٩ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٣٢ .

٢٠ ـ السابق ، ٢٨٠

اي ان طموحه السياسي هذا لم يكن من اجل هدف او مصلحة ذاتية ، بل لخدمة ميوله واتجاهاته السياسية ، فكان يتمنى مثلًا ان تؤول الخلافة الى المأمون لتكون مرو حاضرة الخلافة وعاصمة الدولة . وتعود خراسان الى عظمتها ومكانتها[٢١] . وبالتالي فانه لا يخلو من ميول نحو الفرس ولا سيما انهم قومه[٢٢] ومما يؤكد هذا انه عندما كان يشجع المأمون على الثبات كان يقول له : « كيف بك وانت نازل في اخوالك وبيعتك في اعناقهم »[٢٣]

وبعد ان ثبتت الخلافة للمأمون بدأ الفضل بن سهل استغلال نفوذه القوي من اجل تحقيق طموحاته هذه ، وكان اول اجراء له سك العملة التي تحمل لقب « ذو الرياستين » واسم أخيه الحسن وخالية من اسم الخليفة المأمون ، خلافاً لما هو معروف ومعتمد في سك العملة . قاصداً بذلك اضعاف شأن الخلافة ، وربما تمهيداً لما هو اوسع من ذلك[٢٤] . ولما أدرك المأمون خطورة النهج الذي يسلكه وزيره الفضل بن سهل وقوة نفوذه وسعة مساحة طموحاته السياسية ، دس عليه من قتله وتخلص منه في سرخس في طريق العودة الى بغداد من مرو[٢٥] . ونفذ عملية الاغتيال افراد من حماية الخليفة نفسه[٢٦] .

ان هذه الشخصية القوية ذات البراعة السياسية الفائقة ، والقدرة على التخطيط لأدق المواقف ، مضافاً اليها الطموحات التي ذكرناها . لا بد ان تكون لها تأثيراتها المتميزة والبارزة في طبيعة الصراع بين الامين والمأمون ، والاسهام الفاعل في تحديد مساراته وتوجيهها .

---

٢١ ـ محمد الخضري بك ، تاريخ الامم الاسلامية / الدولة العباسية (القاهرة : ١٩٧٠) ١٦٢

٢٢ ـ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام (القاهرة : ١٩٦٤) ٢/ ١٧٤ .

٢٣ ـ الطبري ، تاريخ . ٨/ ٣٧٢ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٨ .

٢٤ ـ محمد باقر الحسيني ، النقود كوسيلة اعلامية للهجمات الشعوبية / وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي / هيئة كتابة التاريخ (بغداد : ١٩٩٠) ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠

٢٥ ـ ابن خلكان ، وفيات ، ٤ / ٤٤

٢٦ ـ E . I . 2 / 731 .

الفضل بن الربيع :

هو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن فروة ، وابو فروة هو الجد الأعلىٰ للفضل الذي بدأ معه تاريخ الاسرة في الاسلام ، اذ كان من سبي عين التمر ثم اشتراه الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فاعتقه وجعله حفاراً للقبور[٢٧] . وكان يونس في رعاية جدته فواقع جارية لها فولدت الربيع ، إلا ان اباه انكره ، وبعد سنوات باعته جدته فاشتراه زياد بن عبيد الله الحارثي عامل ابي العباس علىٰ المدينة واهداه اليه ـ اي الخليفة ـ ثم صار بعد وفاته الىٰ الخليفة ابي جعفر المنصور[٢٨] واكثر ما شاع عنه انه لقيط[٢٩] .

وكان للربيع بعد ذلك دورٌ مهم في الحياة السياسية للدولة العباسية . وكان في بداية عمله السياسي صاحب وضوء المنصور ، فلما اعجبه ما بدر منه من فطنة وذكاء قلده امر حجابته ، فلما توفي ابو الخصيب حل محله[٣٠] . وفي وقعة الراوندية كان الربيع يمسك بلجام دابة المنصور الىٰ ان اخذه منه معن بن زائدة[٣١] كما اسهم في الاشراف علىٰ بناء مدينة بغداد فاوكل اليه أحد أرباعها[٣٢] . وفي بغداد قلده المنصور الوزارة[٣٣] . وجعل ابنه الفضل على الحجابة[٣٤] . وعندما توفي المنصور كان للربيع دوره المهم في أخذ البيعة للمهدي من بني هاشم[٣٥] . واستمرت احوال

---

٢٧ ـ البلاذري ، انساب الاشراف ، تحقيق : د . عبد العزيز الدوري (بيروت : ١٩٧٨) ٣ / ٢١٢ .

٢٨ ـ السابق ، ٣ / ٢١٣ ، انظر ايضاً : الجهشياري ، الوزراء ، ١٢٥ .

٢٩ ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون (القاهرة : دات) ٢ / ٣٢٩ ، ابن الطقطقا ، الفخري ، ١٧٧ .

٣٠ ـ البلاذري ، انساب ، ٣ / ٢١٤ .

٣١ ـ السابق ، ٣ / ٢٣٦ .

٣٢ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ١٠٠ .

٣٣ ـ السابق ، ١٢٥ ، المسعودي ، التنبيه والاشراف (بيروت : ١٩٨١) ٢٩٦ ، الثعالبي ، تحفة الوزراء ، تحقيق : حبيب علي الراوي (بغداد : ١٩٧٧) ١١٨ ، ابن الطقطقا ، ١٧٧ .

٣٤ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ١٢٥ .

٣٥ ـ البلاذري ، انساب ، ٣ / ٢٧٣ .

الربيع جيدة حتى خلافة الهادي ، حيث كان وزيراً له[٣٦] . وثمة شكوك حول موته ، فربما كان ضحية للصراعات السياسية الدائرة في البلاط[٣٧]

اما الفضل الذي ولد في عام ١٣٨ هـ/ ٧٥٥ - ٧٥٦ م[٣٨] فقد كانت بداياته السياسية حاجباً للمنصور ايضاً ، واستمر على عمله هذا في زمن الهادي ولا سيما بعد موت ابيه[٣٩] ويرى اليعقوبي انه كان واسع النفوذ على الخليفة[٤٠] . كما بدأ مع الرشيد حاجباً كذلك[٤١] . وكان يدعوه العباسي[٤٢] . ويظهر ان اوضاع الفضل لم تكن جيدة في مطلع خلافة الرشيد ، وان الخيزران ، ام الخليفة ، كانت السبب في ذلك ، وهو ما صرح به الرشيد فعلًا ، فولاه حال وفاتها نفقات العامة والخاصة والاشراف على بعض المناطق الزراعية[٤٣] . وفي عام ١٧٩ هـ/ ٧٩٥ م عزل الرشيد محمداً بن خالد البرمكي عن الحجابة وولاها الفضل بن الربيع[٤٤] . ثم اصبح وزيراً له[٤٥] . ويبدو ان ذلك كان بعد القضاء على البرامكة ونفوذهم ، فكان الشخص الاثير عند الخليفة[٤٦] . ولكنه مع هذا لم يمنح سلطات مطلقة[٤٧] . وليس ذلك غريباً فلا بد ان الرشيد إتعظ من تجربة البرامكة واستغلالهم سلطاتهم المطلقة ، فلم يشأ ان يكرر ذلك ، ويرى بعض المؤرخين أن للفضل دوراً مهماً في القضاء على البرامكة لتقصيرهم معه ، فاستغل نقاط الضعف الكامنة في سياستهم ، فكان يحرض

٣٦ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ١٨٩ ، ابن عباد ، عنوان المعارف وذكر الخلائف ، تحقيق : الشيخ محمد حسن ال ياسين (بغداد : ١٩٦٦) ٢٧ .

٣٧ـ فاروق عمر ، الجذور التاريخية للخلافة العباسية (بغداد : ١٩٨٦) ١٣٥ .

٣٨ـ E . I . 2 / 730

٣٩ـ الطبري ، تاريخ ٨/ ٢١٧ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ١١/ ١٤ .

٤٠ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٠٦ .

٤١ـ ابن عباد ، عنوان المعارف ، ٢٧ .

٤٢ـ البلاذري ، انساب ، ٣/ ٢١٤ .

٤٣ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٣٨ .

٤٤ـ السابق ، ٨/ ٢٦١ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٣٣ .

٤٥ـ ابن عباد ، عنوان المعارف ، ٢٧ .

٤٦ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٢٩ .

٤٧ـ E . I . 2 / 730

الرشيد عليهم ، حتى اوقع بهم[٤٨] . اما في عهد خلافة الامين فان نجم الفضل بلغ شأوه ، فكان وزيره وصاحب اموره كلها ، بيده الامر والنهي والعزل والتعيين والنظر في الامور[٤٩] . وكان نفوذه طاغياً على الامين والأشد تأثيراً فيه ، فكان وراء معظم الاجراءات التي اتخذها الخليفة في هذه المرحلة[٥٠] .

اما بخصوص كفاءة الفضل الادارية والسياسية ، فيرى الجاحظ فيه ذكاءً وفطنة[٥١] . ويرى ابن الطقطقا ان الفضل كان خبيراً باحوال الملوك وآدابهم[٥٢] . ولا ريب فإنه اعرق الناس في الحجابة وما يتصل بها من اعمال اخرى[٥٣] ، لان خدماته في هذا المجال تمتد لما يقرب من نصف قرن ، ولكننا يجب ان نشير هنا الى ان خبرته في هذا الخصوص لم تكسبه المهارة اللازمة في ادارة الازمات ، ولا سيما أنه وجد نفسه فجأة امام واحدة من اخطر هذه الازمات التي واجهت الدولة العباسية حتى ذلك الوقت . فأنطلق من نزعاته الذاتية الخاصة لمواجهة الموقف الذي وجد نفسه فيه أثر وفاة الرشيد ، فقد كان امام خيارين إما التوجه الى المأمون في مرو واما الامين في بغداد ، فقال قولته المعروفة : « لا ادع ملكاً حاضراً لآخر لا يدري ما يكون من أمره »[٥٤] وخشية من انتقام المأمون منه إذا ما آلت الخلافة اليه يوماً ما فإنه عزم على تصعيد الموقف بين الأمين والمأمون لينهي الأمر بخلع الأخير والتخلص من خطره[٥٥] . وهكذا فإن عدم قدرته على مواجهة الأزمات بحنكة كما كان الفضل بن سهل يتصرف ، قادته الى قرارات غير صائبة . فكانت النتيجة هربه واستتاره وتخليه عن خليفته عند اول إحساسه بالخطر[٥٦] . بعدما وضعه الامين في

---

٤٨ ـ الجهشياري ، الوزراء ٢٤٩ ـ ٢٥١ ، التنوخي ، الفرج ، ١ / ٥٧ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٤ / ٣٧

٤٩ ـ ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٢٨٨ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ٢ / ٣٤٣ .

٥٠ ـ فاروق عمر ، الجذور ، ١٤١

٥١ ـ السيوطي ، تاريخ ، ٢٨٦ .

٥٢ ـ ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١١ .

٥٣ ـ الثعالبي ، لطائف المعارف ، تحقيق : ابراهيم الابياري (القاهرة : دات) ٦٨ ـ ٦٩ .

٥٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٠ .

٥٥ ـ السابق ، ٨ / ٣٧٤ ـ ٣٧٥ .

٥٦ ـ ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٨٥ ، الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٣٢ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٣٠٢ ،

أعلى مراتب العمل السياسي في الدولة بعد الخليفة .

وقد آثر بعض المحدثين الربط بين الفضل بن الربيع وبين العروبة بطريقة او باخرى ، فهو مرة من الشخصيات ذات النفس العربي والولاء العراقي(٥٧) . او ممثل للحزب العربي في الصراع بين الامين والمأمون(٥٨) . وعده كلود كاهن مستعرباً(٥٩) . في حين صرح بعضهم الآخر أنه كان عربياً(٦٠) . مع انه ليس هناك من مسوغ لهذا الربط بين الفضل والعروبة . فمع أنه لم يكن عربياً في نسبه ، كان تبنيه مواقف مناوئة للبرامكة ولبني سهل ، لم يكن من قبيل التصدي للمؤامرات التي حيكت ضد العروبة ، بقدر ما عبرت عن طبيعة مصالحه الذاتية ورغبته في القضاء على خصومه والانفراد بالمكانة المتميزة لدى الخلفاء وحده .

كان الفضل مخادعاً وذا شخصية عادية وقابليات سياسية محدودة(٦١) . وان ضعف قدرته على ادارة المشكلات السياسية فضلًا عن مطامحه ومصالحه الذاتية ، جعلت منه نقطة ضعف في معسكر الامين ، الامر الذي كانت له مردوداته السلبية على سياسة الامين .

علي بن عيسى بن ماهان :

وكان والده عيسى بن ماهان من رجال الدعوة العباسية الأوائل وشارك في انشطتها ، فهو من نظراء النقباء ومن الدعاة السبعين ايضاً(٦٢) . بدأ نشاطه السياسي في وقت مبكر ، فعند وفاة الخليفة المنصور رفض علي ان يبايع لعيسى بن

ابن خلكان ، وفيات ، ٤ / ٣٩ .

٥٧ ـ فاروق عمر ، الجذور ، ١٣٥

٥٨ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٨٣ .

٥٩ ـ كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة د . بدر الابن القاسم (بيروت : ١٩٧٢) ١٥٣ .

٦٠ ـ حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام ٢ / ١٨٠

٦١ ـ E. I, 2/.731

٦٢ ـ مؤلف مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، تحقيق : د . عبد العزيز الدوري (بيروت : ١٩٧١) ٢١٧ ، ٢٢٠ .

موسى[٦٣] . كما ان عيسى ابن موسى نفسه كان متردداً في البيعة للمهدي ، فاستغل علي الفرصة واستل سيفه ، ولم يكن احد من القادة يجرؤ على ذلك . حيث اجبر عيسى بن موسى على البيعة للمهدي[٦٤] . ثم ولاه المهدي شرطته في عام ١٦٣ هـ / ٧٨٠ م[٦٥] وكان الى جانب الهادي في عام ١٧٠ هـ / ٧٨٦ - ٧٨٧ م في محاولته خلع الرشيد عن ولاية العهد[٦٦] . ثم أقره على حرسه وضم اليه ديوان الجند[٦٧] . وفي عام ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م عينه الرشيد والياً على خراسان[٦٨] . ولما عين الرشيد ابنه المأمون والياً عليها في عام ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م[٦٩] فان ذلك كان اسمياً فقط . اذ بقي علي في خراسان يدير امورها بنفسه .

تشير الروايت الى ان علي بن عيسى بن ماهان اساء السيرة في خراسان وعسف الناس وظلمهم ووتر اشرافهم وأخذ اموالهم وكثرت عليه الشكايات عند الرشيد[٧٠] . ولما شَخَصَ الرشيد الى الري قاصداً عزله عن خراسان ، جاءه علي بالهدايا والاموال الطائلة ، فكان ذلك مبعث رضا الرشيد عليه ، فرده الى خراسان[٧١] . خصوصاً وأن علياً بن عيسى كان في الصف المناوىء للبرامكة ، فاعتقد الرشيد ان هذه الشكايات من تدبيرهم[٧٢] . ولكن تمرد رافع بن الليث ، الذي خرج ضد سياسة علي في خراسان[٧٣] . وتوارد الشكايات عليه مرة اخرى . اقنع الرشيد بضرورة عزله عن خراسان ، وخشية ان يترتب على خطوة العزل مضاعفات سياسية خطيرة توجه الرشيد في عام ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م الى قرماسين ليكون قريباً

---

٦٣ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٦٠ .

٦٤ - السابق ، ٨ / ١١٢ - ١١٣

٦٥ - السابق ، ٨ / ١٤٤ .

٦٦ - السابق ، ٨ / ٢٠٧ .

٦٧ - السابق ، ٨ / ١٨٩ .

٦٨ - الجهشياري ، الوزراء ، ٢٢٨ .

٦٩ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٦٩ .

٧٠ - السابق ، ٨ / ٣١٤ - ٣١٥ .

٧١ - السابق ، ٨ / ٣١٦ .

٧٢ - فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، ٣ / ١٩

٧٣ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٢٥ ، الدينوري ، الاخبار ، ٣٩١ .

من خراسان[٧٤] . ومن قرماسين وجه الرشيد هرثمة بن أعين على رأس قوة من اربعة الاف جندي ، حيث اعتقل علياً بن عيسى بن ماهان وجاء به الى الرشيد[٧٥] . ثم نقل الى بغداد وحبس في داره[٧٦] . وبقي محبوساً الى ان اطلقه الامين عند توليه الخلافة .

عندما احتدم الخلاف بين الامين والمامون ، كان قرار الامين وبمشورة وزيره الفضل بن الربيع ، ان يتولى علي بن عيسى قيادة العمليات العسكرية ضد قوات المامون . فتوجه نحو خراسان يقود جيشاً جراراً للقاء طاهر بن الحسين ، الذي كان يقود جيش المامون . غير أن علياً بن عيسى كانت له تصوراته الخاصة ، فلم يكن في حسبانه ان يصمد له طاهر أو ان يحاربه[٧٧] . فتعامل معه بكل غرور واستعلاء ، وكان يقول : « ما طاهر إلا شوكة من اغصاني وشرارة من ناري ، وما مثل طاهر يؤمر على جيش ، وما بينه وبين الموت الا ان تقع عينه على سوادكم[٧٨] فلم يكن يأبه به او يحفل بقوته ، خاصة وانه كان قد شده بحبل الى إحدى السواري في ايام ولايته على خراسان[٧٩] وهو ما كان يصغره في عينه ، فراح ضحية غروره هذا . لقد أخطأ الامين خطأً فادحاً في تولية علي على جيوشه المتوجهة للقتال في خراسان ، لعداء اهلها له بسبب سوء سيرته فيها[٨٠] . فضلاً عن أن غروره هذا جعله غير مؤهل لقيادة معركة يتوقف على نتائجها مصير الخلافة .

طاهر بن الحسين :

ولد طاهر بن الحسين في عام ١٥٩ هـ/ ٧٧٦ م من اسرة فارسية تنتسب الى قبيلة خزاعة العربية بالولاء[٨١] . وكان جده مصعب بن زريق من رجال الدعوة

٧٤ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٨٦ .

٧٥ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٢٥ .

٧٦ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٤٠ .

٧٧ـ الشابشتي ، الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد (بغداد : ١٩٦٦) ١٤٣ .

٧٨ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٩٠ .

٧٩ـ الشابشتي ، الديارات ، ١٤٢ .

٨٠ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٩٩

٨١ـ دائرة المعارف الاسلامية ، ١٥/ ٦٥

العباسية ومن الدعاة السبعين ايضاً[٨٢] . فولي بلدة بوشنج من اعمال هراة ، ثم وليها بعده ابنه الحسين ابو طاهر[٨٣]

وعند بدء الخلاف بين الامين والمامون ، اختاره الفضل بن سهل ليكون قائداً لجيشه ، فاظهر التثاقل ، فساله عن امنيته ، فعلم انه يرغب بالولاية على بوشنج ، فولاه اياها ثم دعاه بعد ايام لتولي قيادة الجيش[٨٤] . وكانت امنيته تلك حاجة نفسية خاصة به ولا سيما ان بوشنج كانت مسقط رأسه . ولم ينسَ طاهر بالتاكيد موقف علي منه عندما كان والياً على خراسان ، فكان ذلك مدعاة للانتقام منه . حيث عمل بجد ومثابرة من اجل اعداد جيشه اعداداً عالياً من حيث الكفاءة ، حتى انه كان ينسى اكثر وجبات الطعام لاجل ذلك[٨٥] .

ان مستقبل الاحداث كشف عن النزعات الانفصالية التي كمنت في نفس طاهر ، ولما حانت الفرصة المواتية لها انطلقت من مكمنها هذا ، ففي عام ٢٠٧ هـ / وعندما ولاه المامون على خراسان ، أمسك عن الدعاء للخليفة بعد مدة[٨٦] . فكان ذلك ايذاناً منه بالتمرد والانفصال عن الدولة ، ان رغباته الذاتية في تحقيق الامجاد الشخصية انسجمت مع تطلعاته للانفصال ، الامر الذي دفعه للعمل الحثيث لملاقاة جيش علي بن عيسى والانتصار عليه . ذلك الانتصار الذي أثر كثيراً في مجرى الاحداث اللاحقة في هذه الازمة .

٢ ـ دوافع الصراع وعوامله :

لم يكن الصراع بين الامين والمامون صراعاً شخصياً محدوداً في ابعاده حسب ، بل كان امراً واسع النطاق امتد على رقعة جغرافية هي معظم مساحة الدولة وعلى أرض اقليمين هما الاهم في الدولة ، ودام ما يقرب من خمس سنوات ، ومن ثم

---

٨٢ ـ مجهول ، اخبار ، ٢١٧ .

٨٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، ١٥ / ٤٥ .

٨٤ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

٨٥ ـ الشابشتي ، الديارات ، ١٤٣ .

٨٦ ـ ابن طيفور ، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية (بغداد : ١٩٦٨) ٧٢ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٢ / ٢٢١ .

كان حالة صعبة معقدة ومركبة في طبيعتها . لهذا لا يمكن حصر دوافع هذا الحدث بدافع واحد او اثنين فقط ، بل ان جملة دوافع وعوامل تشابكت مع بعضها لتنسج خيوط هذا الحدث ، التي يمكن اجمالها بالنقاط الآتية :

١ ـ الصراع الحزبي بين العرب والفرس : لقد سارع بعض المحدثين الى تقديم اراء جازمة تفيد بان الصراع كان بين حزبين او كتلتين عربية وفارسية ، وقد مثل الفضل بن سهل الكتلة او الحزب الفارسي ، في حين مثل الفضل بن الربيع (كذا) الكتلة او الحزب العربي[٨٧] وأن الصراع كان جراء التحاسد بين هذين الحزبين .[٨٨] وقد آثر الدوري ان يسمي كل جماعة كتلة سياسية وليس حزباً . فكون العرب مع بني هاشم مع بعض العناصر الفارسية كتلة خاصة[٨٩] في حين كون الفرس كتلة اخرى موالية للمأمون تبلورت وتكونت في زمن البرامكة[٩٠] ومن المفيد ان نشير الى ان المحدثين انطلقوا من بعض الاشارات التي وردت في الروايات المعنية بالحدث لرسم هذه الصورة التفصيلية . مثل قول الفضل بن سهل للمأمون وهو يحثه على الصمود بوجه الامين : « وكيف بك وأنت نازل في اخوالك »[٩١] وقوله له يحثه على مصاحبة الرشيد في رحلته الاخيرة الى خراسان ويحذره من الأمين : « ...... ان يثب عليك اخوك فيخلعك ، وامه زبيدة ، وأخواله من هاشم »[٩٢] ومؤكد ان هذه الاشارات غير كافية للجزم بهذا الرأي ـ كون الصراع بين حزبين ـ فجيش المأمون لم يكن فارسياً بنطاق كبير ، لأن نسبة الترك فيه كبيرة ، من خلال وجود فرق البخارية

---

٨٧ ـ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ٢ / ١٧٥ ، ١٨٠ ، انظر كذلك : شاكر مصطفى دولة بني العباس ، ١ / ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ، احمد الشامي ، الدولة الاسلامية في العصر العباسي الاول (الدمام : دات) ١٥٥ .

٨٨ ـ احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والاندلسي (بيروت : ١٩٧١) ١٠١ .

٨٩ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاوزل ، ١٨٢ .

٩٠ ـ السابق ، ١٨٢ ـ ١٨٣ .

٩١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٧٢ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٨ .

٩٢ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٦٦ .

والخوارزمية ومناطق اخرى من اقليم ما وراء النهر[٩٣]كما ان الفضل بن سهل وفي سياسته لادارة الأزمة التجأ الى القبائل العربية المقيمة في خراسان ، فهو القائل : « فكنا نقول للتميمي : نقيمك مقام موسى بن كعب ، وللربعي : نقيمك مقام ابي داؤد خالد بن ابراهيم .... »[٩٤] ويعني هذا ان القبائل العربية هذه شاركت في الصراع الى جانب المأمون وإن لم تعطنا المصادر حجم دورها في هذا الصراع .

اما الطرف الآخر في الصراع المسمى بالحزب العربي ، فان جيش الأمين لم يكن هو الآخر عربياً خالصاً ، فعلى الرغم من ان احدى الحملات كانت تضم عشرين الفاً من الاعراب بقيادة احمد بن مزيد ، وان الحملة نفسها كان فيها عشرون الفاً من الابناء[٩٥] والابناء هم الذين يطلق عليهم ايضاً (اهل بغداد) وهم كتلة عسكرية تضم ابناء الدعوة او ابناء الدولة وابناء الشيعة العباسية او ابناء الجند الخراسانية او ابناء الشيعة الخراسانية ، وهذه المسميات كلها ذات دلالة واحدة تشير الى ابناء اهل خراسان الذين اشتركوا في الدعوة العباسية وانتصرت على ايديهم ونقلوا الخلافة من الامويين الى العباسيين ، وهم دون شك خليط من العرب والعجم[٩٦] وكان لهؤلاء مكانة كبيرة جداً ومرموقة في بغداد[٩٧] . ويشير هذا الى عدم التجانس داخل اي من الفريقين بحيث يمثل فئة معينة بذاتها .

على انه في ضوء ما عرضناه يمكن ان نقرر حقيقة مهمة هي انه اذا كان هناك حزبان فليسا عربياً وفارسياً . فالحزب او الكتلة التي وقفت الى جانب الأمين هم الابناء الذين كانوا تحت قيادة علي بن عيسى بن ماهان وابنائه وغيرهم من القادة ، مثل عبد الرحمن بن جبلة الابناوي ، وكانت مصالح هذه الفئة في بغداد ومع الخلافة الشرعية فهم (جيل الثورة) ولا يمكن لهم إلا الوقوف بجانب الدولة والخليفة[٩٨] . ان

---

٩٣ - فاروق عمر ، الجذور ، ١٤٢ .

٩٤ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٧٢ .

٩٥ - السابق ، ٨/ ٤٢٣ .

٩٦ - فاروق عمر ، الجذور ، ١٤٢ - ١٤٣ .

٩٧ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٢٨ .

٩٨ - السابق ، ٨/ ٣٧١ .

بعض قادة الجيش من الابناء ممن وجدوا انفسهم مع المأمون في مرو بموجب اوامر الرشيد . رفضوا التعاون مع الفضل بن سهل ، مفضلين عدم الدخول بين الاخوين في الاقل[٩٩] بل ان بعضاً منهم طلبَ الى المأمون التجاوب مع أخيه الامين في الطلبات التي تقدم بها اليه[١٠٠] . ويكشف موقفهم هذا عن تضامنهم مع انهم كانوا في حضرة المأمون في مرو . وعموماً فان هذا لا يعني ان الابناء وحدهم كانوا مع الامين. فقد استعان بالاعراب ، وتجاوب معه اهل الشام لكن الامر لم يتم بصورته النهائية ومع هذا تبقى فئة الابناء وكتلتهم هم الاكثر ثقلًا في معسكر الامين .

اما الطرف الآخر فانه تكون من فئة جديدة بدأت تتبلور حول المأمون والفضل في مرو ، وكانت هذه الفئة تتطلع الى تحقيق مكاسب جديدة في الدولة ، وكانت خليطاً من جماعات متباينة ، ولم تكن لهم جذور تعبر عن اشتراكهم في الثورة العباسية ، سوى افراد قلائل مثل طاهر بن الحسين : ومن ثم فانهم في نظر الابناء الفئة الدخيلة التي تريد ان تخطف منهم امتيازاتهم ومصالحهم .

٢ ـ النزعات الذاتية للأمين والمأمون : سبقت الاشارة الى ان النزعات الغريزية كانت تدفع الخلفاء الى العمل على ابقاء السلطة في ابنائهم حتى ان كان ذلك على حساب الاخوة او ابناء العمومة . وبالتالي فإن ما سعى اليه الامين لا يعد غريباً في الاطار العام للسياسة العباسية ، بل إنه حذا حذو غيره من الخلفاء الذين سبقوه. فاذا ما أضفنا الى هذا ان بعض الفقهاء ولاسيما الشافعي ، المعاصر لاحداث هذه الحقبة ، اجاز لمن تفضي اليه الخلافة اولًا من اولياء العهد ان يعهد بها الى من يشاء ويصرفها عمن كان مرتباً بعده . لأن ولي العهد بتوليه الخلافة يصبح أملك للسلطة ويصبح « بافضاء الخلافة اليه عام الولاية نافذ الأمر فكان حقه فيها اقوى وعهده بها أمضى »[١٠١] بل انه اجاز حتى عدم تعويض ولاة العهد الذين يتم اقصاؤهم عن الولاية ، ويرى ان ما فعله المنصور بتعويضه عيسى ابن موسى ، كان من اجل استطابة نفسه بعد اقصائه والحفاظ على تماسك الاسرة العباسية وهي

---

٩٩ ـ السابق ، ٨ / ٣٧٢ .

١٠٠ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٨٩ .

١٠١ ـ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، تحقيق : محمد امين السرحاني (القاهرة : ١٩٧٨) ١٤ ـ ١٥ .

حديثة العهد بالسلطة . ولا بد ان هذا يعني من الناحية العملية جواز نكث ايمان العهد . لأن الشافعي والفقهاء الذين وافقوه على رأيه السابق هذا . كانوا يدركون ان ولاية العهد يترتب عليها الايمان والمواثيق من اكثر من جهة ذات علاقة بالموضوع . لهذا فان تصرف الأمين لا يعد مخالفة فقهية من وجهة النظر هذه . وينطبق هذا ايضاً على الناحية السياسية ، فهو بتوليه الخلافة ، وعلى وفق مقاييس عصره انذاك ، اصبح مطلق السلطات ، من حقه ان يتخذ القررات والاجراءات التي يراها مناسبة . ومن الناحية المنطقية فإن له ان يرسم سياسة الدولة في ضوء معطيات عصره هو وليس على اساس القرارات التي اتخذها الخليفة السابق ومن وجهة نظره فقط .

أما من ناحية المأمون فإن القرائن كانت تشير الى انه لم يكن بعيداً عن التفكير ومنذ وقت مبكر في الوصول الى الخلافة وانتزاعها من الامين . خصوصاً وأنه كان الاكبر سناً منه . وربما دفعه هذا الى الاعتقاد بأنه احق منه بولاية العهد ، وان هذا الحق قد انتزع منه . فكان ذلك من دوافع النزاع بينهما(١٠٣) . واذا كان المأمون قد اظهر الانقياد اول الامر الى واقع الحال . ذلك لأنه ، كان يخشى المخاطر الكامنة على حدوده الشرقية لكنه ما أن ظهر اسم موسى بن الأمين على المنابر حتى اسفر عن خلافه مع الامين(١٠٤) .

٣ ـ سعي الخليفة الأمين الى بسط سلطته الشرعية على اقاليم الدولة كافة : من المؤكد ان الرشيد يتحمل وزراً كبيراً فيما يخص نشوب الصراع بين الامين والمأمون ، اذ انه قسم الدولة من الناحية العملية الى قسمين يتمتع فيها والي خراسان (المأمون) بسلطات وامتيازات تفوق حدود وظيفته بوصفه والياً على اقليم يجب أن يكون خاضعاً في النهاية للسلطة المركزية . وقد سعى الامين عند توليه الخلافة الى اختبار قوة نفوذه على (الوالي) المأمون وعلى (اقليم) خراسان بوصفه جزءاً من الدولة . ولكننا كما سنلاحظ في الفصل القادم ، فانه اصطدم بجدار قوي جداً حال دون ان يكون له اي نفوذ هناك . وبما انه من الصعب على اي خليفة ان يجد نفسه عاجزاً عن ممارسة سيادته ونفوذه الكاملين على الدولة ، لهذا فان

---

١٠٢ ـ شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، ١ / ٤٣٥ .

١٠٣ ـ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ٣ / ١٨٣ ، محمد الخضري بك ، محاضرات ، ١٧١ .

١٠٤ ـ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة : نبيه امين فارس (بيروت : ١٩٧٧) ١٩٧ .

الامين كان يردد دائماً انه « لا يجتمع فحلان في هجمة واحدة إلا قتل احدهما صاحبه »[١٠٥] وتكمن اهمية ان يمارس الامين نفوذه الكامل على اقليم خراسان في نقاط عدة لعل اهمها :

أ ـ الحفاظ على وحدة الدولة وتماسكها تحت الادارة المركزية .

ب ـ الافادة من واردات الاقليم المالية ، ولا سيما ان منطقة عمل المأمون تتمتع بثقل مالي كبير في خزانة الدولة ووارداتها السنوية ، ولا يمكن لدولة في مواجهة أخطار داخلية وخارجية ان تتخلى عن واردات واحد من أغنى اقاليمها .

حـ ـ أحقية الخليفة في ممارسة سلطاته الشرعية كافة في المجالات الادارية والمالية والعسكرية وعلى اقاليم دولته كافة .

٤ ـ اطماع الحاشية وكبار الموظفين والقادة المحيطين بالأمين والمأمون[١٠٦] : من البدء ادرك الفضل بن الربيع ان لا مكان له مع المأمون ومعه الفضل بن سهل ، صنيعة البرامكة ، الذي سيحول دون ان يكون لابن الربيع اي نفوذ[١٠٧] ولهذا فإن التحاقه بالأمين كان من اجل تحقيق مزيد من النفوذ والمصالح . ومن خلال عرضنا السابق للشخصيات الفاعلة في هذا الصراع ، كشفنا عن المصالح الشخصية التي وقفت وراء كل من الفضل بن سهل والفضل بن الربيع وطاهر بن الحسين . وهؤلاء هم الذين بذلوا كل ما في وسعهم من اجل تأجيج الخلاف بين الامين والمأمون وتحويله الى صراع دام . وبمقدورنا أن نقرر هنا أن اكساب هذا الخلاف طابعه الدموي ، كان بفضل تخطيط وتدبير هذه الشخصيات الثلاث بالدرجة الاولى .

٥ ـ فاذا اضفنا الى ما سبق التطلعات الانفصالية التي كانت تسعى الى فصل الاقليم الشرقي (ايران) عن جسم الدولة ، واذا كانت بعض نوايا الانفصال قد بانت في سلوك الفضل ابن سهل فيما بعد وتمثلت بوادرها بسك دينار خال من اسم الخليفة وعليه اسم الفضل واخيه الحسن . وفي قطع طاهر بن الحسين الخطبة

---

١٠٥ ـ الدينوري ، اخبار ، ٢٩٤ ، انظر ايضاً : الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩٩ .

١٠٦ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٨٨ ، احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي ، ٢٩٦ ، احمد الشامي ، الدولة الاسلامية ، ٧٣ .

١٠٧ ـ فاروق عمر ، الجذور ، ١٤٤

للمأمون عند توليه خراسان ، كما مر بنا ، وان الفضل كان قد اعلن ملازمته للمأمون كانت بهدف تحقيق سلطة ونفوذ واسعين[١٠٨] فان هذا كله ينطوي تحت لواء التوجهات الشعوبية المعادية للعروبة وا لاسلام التي ظهرت بين العجم من الفرس على وجه التخصيص . فكان من بين ما أوصى به الفضل قائده طاهر بن الحسين « واستعد للعرب »[١٠٩] مصرحاً بعداوته لهم . حتى رأى بعض المحدثين ان الفضل سعى الى احياء القومية الفارسية[١١٠] . وليس هذا ببعيد ، وقد تكون ام المأمون الفارسية الاصل ، فرصته لهؤلاء للتمسك به ضد الأمين[١١١] ولا سيما انه كان بين ظهرانيهم في مرو .

٦ ـ النزاع الاقليمي بين العراق وخراسان : ولا نغالي اذا قلنا ان هذا النزاع كان جزءاً من الصراع التاريخي المتأصل بين ايران والعراق . ويعبر عن رغبة الفرس في السيطرة والاستحواذ على هذه المنطقة باي شكل من الاشكال . فهناك كراهية متأصلة في نفوس الايرانيين تجاه العرب الذين اسقطوا دولتهم الساسانية ، فضلًا عن تباينهم في الجنس ، فكان ذلك من العوامل المهمة في نجاح الثورة العباسية فيما مضى[١١٢]ولا ريب ان خراسان كانت في هذه المرة تسعى الى الحصول على مكاسب اضافية جديدة ، كأن تتبوء مثلًا المكانة الاولى في الدولة بدلًا من العراق[١١٣]وقد سعى الفضل بن سهل الى الحصول على مكاسب جديدة لاقليم خراسان من المأمون تمثلت بالتعهد الخطي الذي أخذه المأمون على نفسه في حال توليه الخلافة فعلًا ، وإن كان هذا التعهد عاماً ، ولكنه من الناحية الضمنية يعد تحقيقاً لمصالح اهل خراسان كتلك التي أملوها من الثورة العباسية . وأهم مضامين هذا التعهد : ان المأمون سيعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وعدم سفك الدماء الا

---

١٠٨ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٨٠ .

١٠٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٠٤ .

١١٠ ـ احمد الشامي ، الدولة الاسلامية ، ٧٥ .

١١١ ـ واجدة الاطرقجي ، انصاف الخليفة الأمين (بغداد : ١٩٨١) ٢٣ .

١١٢ ـ فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم (القاهرة : دات) ٢ .

١١٣ ـ فاروق عمر ، الجذور ، ١٤٥ ، العباسيون الاوائل ، ٣/ ٢٩ .

بالحق ، وعدم سلب الأموال بأي شكل . وانه سيحكم بين المسلمين بموجب الشريعة الاسلامية . وقد كتب المأمون هذا التعهد بخطه[١١٤] واذا كان هذا التعهد يشير ضمناً الى فقدان العدالة الاجتماعية في العهود السابقة ، فانه عبر عن المصالح الخاصة لأهل خراسان . وسنلاحظ ان الفضل بن سهل سعى الى انقاص قيمة الخراج المفروض على اهل هذا الاقليم .

٧ ـ الاختلافات الفكرية بين الأمين والمأمون : اشارت بعض الاراء الى ان من اسباب النزاع ذلك التباين في النزعة الدينية والفكرية لكلا الفريقين[١١٥] وفي دائرة المعارف الاسلامية اشارة الى جانب من هذا التباين تمثل في تبني المأمون للتشيع الفارسي ، وتبني الامين لموقف العرب من السنة[١١٦] ونحن هنا لا نميل الى تبني مثل هذا الموقف ، ولا سيما ، ان المأمون تبنى فكرة نقل الخلافة الى الاسرة العلوية في مرحلة لاحقة لانتهاء الصراع مع الامين ، وكنتيجة للتأثيرات التي مارسها الفضل بن سهل عليه . واذا كان هناك ثمة ميل من الفرس نحو الاسرة العلوية ، فان ذلك لا يمكن عده ميزة طبعت الصراع بين الأمين والمأمون مع ملاحظة ان اي من المصادر التي تطرقت الى هذا الصراع لم تتضمن أية اشارة ، حتى وان كانت ضمنية ، الى هذا الجانب .

٣ ـ اتجاهات الرأي العام :

يعد الرأي العام في مختلف مفاصله من القوى الفاعلة والمؤثرة في اي حدث او ظاهرة تاريخية . ولا يمكن قبول فكرة ان العصر الحديث فقط هو عصر الجماهير ، بل ان هذه الجماهير كانت ولما تزل العنصر الأهم في صنع التاريخ . ويأخذ دور الجماهير هذا صيغاً واشكالاً متعددة بحسب طبيعة المرحلة التاريخية . وفي بحثنا هذا فان الجماهير تتمثل بالجند والتجار والشعراء وعامة الناس بمختلف ادوارهم السياسية والاجتماعية . ونحن نبحث في دور الجماهير ، يجب ان ندرك ان ثمة قوى عديدة

---

١١٤ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٨ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٩ .
١١٥ ـ فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، ٣/ ٢٩ .
١١٦ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، ٢/ ٦٥٤ .

متجاذبة ومتعاطفة تؤثر فيها سلباً او ايجاباً . فقوة المبادىء والافكار ومدى قدرتها على التاثير ، والعوامل الاقتصادية المتمثلة بالضغط او تخفيف الضغط الاقتصادي على الجماهير ، ثم الحرب النفسية ، التي لعبت دوراً مهماً في الصراع موضوع بحثنا . كل هذه كانت عوامل أثرت في رسم ابعاد موقف الجماهير تجاه الازمة ، وسنعرض هنا لاهم المفاصل التي شكلت اتجاهات الرأي العام آنذاك .

أ ـ الهاشميون أو بنو هاشم :

كان هذا الاصطلاح يطلق في هذه الحقبة على العباسيين دون سواهم من بني هاشم[١١٧] . واستمر ذلك حتى النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، عندما أنشات الدولة نقابة للهاشميين ضمت العباسيين والعلويين[١١٨] . وقد استطاع الخلفاء الحفاظ على وحدة البيت العباسي ، وكان افراد هذا البيت يتحدون دوماً امام ما يواجههم من أزمات سياسية تهدد مكانتهم في الخلافة[١١٩] . ولكن الازمة تفجرت هذه المرة من داخل الاسرة العباسية الحاكمة نفسها . فكيف كان موقف الاسرة حيال هذه المشكلة ؟

اشارت بعض الروايات الى أن بني هاشم كانوا ميالين الى تولي الامين ولاية العهد وفي وقت مبكر[١٢٠] . ومع اننا لا نميل كلياً الى هذا الرأي لما بيناه فيما سبق . ولكن يظهر ان القناعة وبمرور الوقت كانت تتبلور داخل الاسرة العباسية نحو الالتفاف حول الامين ـ خليفة المستقبل ـ فتكونت اشبه ما يكون بالكتلة المساندة له[١٢١] . وهذا ما كان يدركه الفضل بن سهل عندما حذر المأمون من البقاء في بغداد لما توجه الرشيد الى خراسان خشية ان ينفرد به الامين الذي وصفه : « وأمه زبيدة ،

---

١١٧ ـ فاروق عمر ، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين (بيروت : ١٩٨٠) ٧٣ .

١١٨ ـ صالح احمد العلي ، معالم بغداد الحضارية والعمرانية (بغداد : ١٩٨٨) ١٠١ .

١١٩ ـ فاروق عمر ، التاريخ الاسلامي ، ٧٣ .

١٢٠ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٠٨ ، الاربلي ، خلاصته ، ١١٩ .

١٢١ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٨٢ ـ ١٨٣

وأخواله من هاشم »[١٢٢]

ولكن بمضي الوقت وعندما بدأت الكفة تميل لصالح المأمون ، ادرك افراد الاسرة العباسية خطورة استمرار انسياقهم وراء الامين الذي كان نجمه يميل نحو الافول ، في وقت كانت الابواب تتفتح فيه لصالح المأمون ، فضلاً عن هذا فان طاهراً بن الحسين ، وعند حصار بغداد ، أخذ يكاتب الهاشميين داعياً اياهم الى الانحياز اليه[١٢٣] . ثم قبض اموال من لم ينحز اليه[١٢٤] . وهكذا فان معظم العباسيين لحقوا بالمأمون[١٢٥] . حتى ان المنصور ابن المهدي الذي أبى الدخول في هذا الصراع وآثر الحياد[١٢٦] . لحق هو الآخر بالمأمون في عام ١٩٧ هـ/ ٨١٣ م[١٢٧] ثم تبعه القاسم بن الرشيد[١٢٨] . وفي وقت مبكر من الصراع كان العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي ، وكان الامين قد اوفده الى مرو على رأس وفد من ثلاثة اشخاص للتفاوض مع المأمون ، انقلب سراً على الامين لصالح المأمون وبتأثير من الفضل بن سهل[١٢٩] . كما انه دعا الى خلع محمد الأمين والبيعة للمأمون عندما تولى أمر الحج في عام ١٩٦ هـ/ ٨١٢ م[١٣٠] .

ومن ناحية اخرى فان افراد الاسرة العباسية ممن كانوا يتولون ادارة الاقاليم ، ما لبثوا ان انقلبوا هم ايضاً على الامين ، كما فعل داود بن عيسى بن موسى عامل مكة والمدينة . حيث جمع الناس واعلن فيهم خلع الامين ، والبيعة للمأمون ، ثم طلب الى ابنه سليمان ، وكيله على المدينة ان يفعل مثله ففعل[١٣١] . وكذلك فعل العباس بن

---

١٢٢ ـ الجهشياري ، الوزراء ٢٦٦ .

١٢٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٥٩ .

١٢٤ ـ السابق ، ٨/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

١٢٥ ـ السيوطي ، تاريخ ، ٢٩٩ .

١٢٦ ـ البلاذري ، انساب ، ٣/ ٢٧٨

١٢٧ ـ الازدي ، تاريخ ، ٣٢٨ .

١٢٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٤٥ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٢٨ .

١٢٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٧٦ .

١٣٠ ـ ابن خياط ، تاريخ ، ٢/ ٧٥٦ .

١٣١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

موسى الهادي العامل على الكوفة ، فخلع الامين وبايع للمأمون عند احساسه بالخطر يقترب منه . وكذلك فعل منصور ابن المهدي وكان على البصرة[١٣٢] .

ويشير هذا بجلاء الى ان مواقف الاسرة العباسية تجاه هذه الازمة تمثلت بذلك التشبث المستميت بمصالحها بغية الحفاظ عليها ، مع الامين كانت ام مع المأمون ، وبحسب طبيعة الموقف .

ب ـ القادة وكبار الموظفين :

ليس ثمة شك في ان معظم القادة وكبار الموظفين كانوا الى جانب الامين عند توليه الخلافة بوصفه ممثلًا للشرعية . وحتى عند ظهور البوادر الاولى للخلاف بين الفريقين ، بقي القادة على ولائهم للامين . وبحسب ما ذكرنا سابقاً فإن هؤلاء كانوا من الابناء ، وكانت مصالحهم ترتبط بالخلافة القائمة . ولاسيما انهم وجدوا في خراسان من يريد ان يزاحمهم على هذه المصالح . وحتى القادة الذين كانوا مع المأمون لم يأنسوا في البدء الى تحركات الفضل ابن سهل ، فقد اجابوه باشمئزاز لما طلب منهم الوقوف ضد الامين ، وعبر هو عن ذلك بقوله : « فكنت كأني آتيهم بجيفة على طبق لا يحل أكلها »[١٣٣] .

اما في بغداد ، فان القادة الذين كانوا حول الامين انقسموا بين مؤيد له في مسعاه الى خلع المأمون وبين رافض لذلك[١٣٤] . فكان بكر بن المعتمر من المؤيدين للأمين في ذلك[١٣٥] . وكذلك يحيى بن سليم[١٣٦] . في حين رفض عبد الله بن خازم خلع المأمون[١٣٧] . وكذلك خزيمة بن خازم[١٣٨] . واسماعيل بن صبيح[١٣٩] .

---

١٣٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٣٥

١٣٣ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٨ ، انظر ايضاً : الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٧٢

١٣٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

١٣٥ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٩٢

١٣٦ ـ ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٢٩٦

١٣٧ ـ الطبري ، تاريخ . ٨/ ٣٩٩ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٨٩ .

١٣٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩٩ .

١٣٩ ـ الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٤ .

مع ان رفض هؤلاء للفكرة لم يكن يعني عدم تعاونهم مع الامين ، بل كانوا أعوانه في تنفيذها فيما بعد .

الا ان من اخطر المواقف التي اتخذها بعض القادة تتمثل في محاولة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان الاطاحة بالامين ، حيث اعتقله واعلن البيعة للمأمون في بغداد نفسها ، لولا تصدي بعض فرق الجند وانقاذهم الخليفة من الحجز(١٤٠) . وثمة مواقف سلبية اخرى اتخذها قادة آخرون ، فعند ورود الخبر بمقتل علي بن عيسى بن ماهان ، رأى بعض القادة ان تلك فرصة مواتية لتحقيق مكاسب مالية من الخليفة ، الامر الذي سبب الاضطرابات المسلحة في بغداد(١٤١) . كما ان طاهر بن الحسين ، عند محاصرته بغداد ، كتب الى بعض القادة يدعوهم الى الانحياز اليه(١٤٢) . ولما رفض بعضهم الاستجابة له ، استولى على اموالهم وممتلكاتهم ، فانقادوا له(١٤٣) ، وكان من ابرز القادة الذين تجاوبوا معه ، خزيمة بن خازم ومحمد بن علي بن عيسى بن ماهان(١٤٤)

ومع ان القادة كانوا اكثر تمسكاًبخليفتهم ، الا ان معظمهم اضطر في نهاية المطاف الى الالتحاق بقوات المأمون ، عندما بدأت العلائم تشير الى ان الموقف في غير صالح الأمين .

جـ ـ العامة :

لما انتهى الرشيد من الاجراءات الخاصة بالعهود المكية ، وجه أوامره الى القضاة بالخروج الى جميع من حضر موسم الحج وابلاغهم بهذه العهود وما تضمنته من تفاصيل ، وان ذلك نابع من حرص الخليفة الرشيد على العناية بامور المسلمين وحقن دمائهم ولم شعثهم(١٤٥) . وهنا اختلفت اراء الناس ، فمن قائل منهم ان الرشيد أحكم اموره بشكل متين . في حين قال آخرون أنه القى البأس بين ولديه ، إشارة الى

---

١٤٠ ـ ابن خياط ، تاريخ ، ٢/ ٧٥٦ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٢٥ .

١٤١ ـ مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٥ .

١٤٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٥٦ .

١٤٣ ـ السابق ، ٨/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

١٤٤ ـ الازدي ، تاريخ ، ٣٢٨ .

١٤٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٨٥ .

احتمالات قيام النزاع المسلح بينهما ، وان نتائج ذلك ستكون وخيمة على الرعية[١٤٦] .

قال بعض الشعراء

أقـــول لغمـــة في النفس مني
ودمـــع العين يطـــرد اطـــرادا
خـــذي للهـــول عـــدته بحـزمٍ
ستلقى مـــا سيمنعـــك الـــرقـــادا
فـــانـــك ان بقيت رأيت أمـــرأ
يطيـــل لـــك الكـآبـــة والسهـــادا
رأى الملـــك المهـــذب شـــر رأي
بقسمـــة الخـــلافـــة والبـــلادا[١٤٧]

وقال آخر :

فقـــد غـــرس العـــداوة غيـــر آلٍ
وأورث شمـــل إلفتهم بـــدادا
فـــويـــل للـــرعبـــة عن قليـــل
لقـــد أهتـــدى لهـــا الكرب الشـــدادا
ستجـــري من دمـــائهم بحـــوراً
زواخـــر لا يـــرون لهـــا نفـــادا[١٤٨]

وقال احد الشعراء من هذيل :

وبيعـــة قـــد نكثت ايمـــانهـــا
وفتنـــة قـــد سعـــرت نيـــرانهـــا

ثم قال ان السيوف ستسل والفتنة ستقع وسيقوم النزاع بين الاخوين[١٤٩] . في

---

١٤٦ ـ السابق ، ٨/ ٢٧٦ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٠٤ .

١٤٧ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٧٧ .

١٤٨ ـ مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٠٤ .

١٤٩ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

حين كان هناك رأي اخر معاكس تماماً للرأي الاول ، فقد قال ابراهيم الموصلي :

خيـــــــــر الامـــــــــور مغبـــــــــة
وأحق أمـــــــــر بـــــــــالتمـــــــــام
أمـــــــــر قضى أحكـــــــــامـــــــــه الـــــــــر
حمـــــــــان في البيت الحـــــــــرام[١٥٠]

وهكذا فان ثمة هواجس ساورت بعضهم عبرت عن عدم الاطمئنان على النتائج المترتبة على اجراءات الرشيد هذه ، التي ربما كانت تنذر بالمهالك والشرور من وجهة نظر البعض .

ومع تولي الامين الخلافة ودخول العلاقة بينه وبين المامون مرحلة النزاع والصراع ، فان اراء العامة كانت تتبلور باتجاهات متعددة ، فهناك من انحاز الى الامين وهناك من انحاز الى المامون ، وقد لعب الشعراء دوراً كبيراً في هذا المجال . فهم بمثابة وسيلة اعلامية روجت اراء كلا الفريقين ، وكان ملموساً ان اعلام المامون كان الاقوى في هذه الناحية . فكان له في بغداد نفسها شعراء يشيدون به وينالون من الامين . حيث قال احد الشعراء المتعصبين للمامون على الامين عندما بايع لابنه موسى :

أضـــــــاع الخـــــــلافـــــــة غش الـــــــوزيـــــــر
وفسق الاميـــــــر ، وجهـــــــل المشيـــــــر
ففضـــــــل وزيـــــــر ، وبكـــــــر مشيـــــــر
يـــــــريـــــــدان مـــــــا فيـــــــه حتف الاميـــــــر

وهكذا في ابيات طويلة تندد بالخليفة ومساعديه باللجوء الى الشتائم باقذع الالفاظ في بعض الاحيان[١٥١] . ولما قتل علي بن عيسى بن ماهان كان ذلك فرصة مواتية ايضاً لمدح المامون والنيل من الامين والتشهير به[١٥٢] .

---

١٥٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٨٦ .

١٥١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٢٩٧ .

١٥٢ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

اما من الناحية الاخرى ، فان اهل بغداد حافظوا على تماسكهم وتلاحمهم مع الخليفة الامين في صراعه مع خصومه . حتى ان العامة حملت السلاح معه للدفاع عنه وعن مدينتهم ، وصمدوا بوجه الحصار العسكري والاقتصادي الذي دام سنة كاملة وفرضه عليهم طاهر بن الحسين(١٥٣) كما تمكن الأمين من استقطاب جانب من قوات طاهر الى جانبه باغداق الاموال والمنح والعطايا عليه(١٥٤) . ولكن مع اشتداد الازمة والتضييق بالحصار على بغداد ، ومنع المؤن من الدخول عليها ، ضاقت بالناس السبل ، فتحولت اعداد كبيرة منهم الى معسكر طاهر بن الحسين طالبين الخلاص(١٥٥) وحتى التجار فانهم خشوا على مصالحهم اذا ما حقق طاهر نصره على الامين فينتقم منهم ، لذا فكروا بالأتصال به لتأمين جانبهم(١٥٦) . وهكذا يتضح انه مع استمرار الضعف العسكري للأمين امام قوات خصومه ، فإن ذلك كان ينعكس تدريجياً على قناعات الناس متحولين الى صف خصومه ، تحت طائلة الاضطرار .

أما في خراسان فإن الامر كان يختلف الى حد كبير . فبالنسبة الى اهلها كانت هذه الفرصة المواتية لتحقيق مكاسب جديدة سياسية وادارية واقتصادية ، لذا فانهم التفوا حول المأمون بشكل متبين ، فهو في نظرهم : « ابن اختنا وابن عم النبي (ﷺ) »(١٥٧) ولا سيما بعد ان وضع عنهم ربع الخراج(١٥٨) . ووصف احد الاشخاص حالهم بقوله : « قوم كانوا في بلوى عظيمة من تحيف ولاتهم في أموالهم ، ثم في أنفسهم صاروا به الى الأمنية من المال والرفاغة في المعيشة ، فهم يدافعون عن نعمة حادثة لهم ويتذكرون بلية لا يأمنون العودة اليها »(١٥٩) فقد ادرك الفضل بن سهل ما للجانب الاقتصادي من دور اساس في كسب ولاء الناس الى جانب فريقه ، فكان يقف وراء القرار القاضي بخفض قيمة الخراج عن اهل خراسان . ثم ان الفضل

---

١٥٣ ـ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد (بيروت : دات) ١ / ٢٥٠ .

١٥٤ ـ مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٢ .

١٥٥ ـ السابق ، ٣ / ٣٣٣ .

١٥٦ ـ الطبري ، تاريخ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

١٥٧ ـ مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢١ ، انظر فيها : الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٧٩ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٩ .

١٥٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٢ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٩ .

١٥٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٨٦

رسم للمأمون سياسة معينة تعتمد على اظهار العدل والعمل بالسنة ، والتقشف في العيش ، والنظر في المظالم ، ساعياً الى كسب الناس ، والحصول على ولائهم[١٦٠] . وبموجب هذه السياسة استأمن رافع بن الليث في عام ١٩٤ هـ / ٨١٠ م[١٦١] .

ومن اجل الحفاظ على ما حققه المأمون من مكاسب في خراسان وعموم المشرق ، وبغية تجنب تأثيرات الأمين في هذه المنطقة ، فإنه رسم خطاً أمنياً بين العراق وايران يقوم على اساس وضع المسالح (نقاط السيطرة) على طول الحدود بين المنطقتين ، وضع فيها رجال معروفين ببأسهم والثقة بهم ، مهمتهم منع دخول اي شخص من العراق الى ايران إلا من كانت الثقة به عالية . منعاً لتسرب الاراء والافكار والحجج الخاصة بالامين ، خشية ان تؤثر هذه الافكار ، بشكل او بآخر ، في قناعات وولاء الناس في ايران[١٦٢] .

وعلى الرغم من كل هذا ، فانه ما أن تظهر نقطة ضعف واحدة في سياسة المأمون ، فانها تترك آثارها السلبية على ماحققته من ولاء به ، ولهذا نجد انه عندما شحت الاموال عنده ونقصت ، وأصبح عسيراً عليه ان يمنح الجند ارزاقهم شغبوا عليه ، وبلغ بهم الامر ان شتموه ، وقالوا بحقه كل قبيح حتى أنه فكر بالهرب . لولا ان الفضل بن سهل كان يقوي من عزيمته[١٦٣] .

وفي النهاية عندما تمكن المأمون من تحقيق النصر على الامين ، وجاءوا برأسه اليه ، قرر أن يمنح العطاء الاضافي للجند ، على ان يقوم كل من يتسلم هذا العطاء بلعن الامين ، وهنا حدث ما يمكن ان يكون مفاجئاً للمأمون ، اذ قيل لأحدهم وهو من العجم : « إلعن المخلوع (اي الامين) ، قال : لعن الله المخلوع ولَعِنتَ ، ولُعِنَ امير المؤمنين ، ومن وَلِدَه »[١٦٤] وكان ذلك بمسمع من المأمون نفسه الذي تبسم وتغافل[١٦٥] . ويكشف هذا الموقف عن حقيقة هؤلاء القوم ، اذ ليس لهم ولاء مبدئي ،

---

١٦٠ ـ السابق ، ٨/ ٣٧٢ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٩ .

١٦١ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٩ .

١٦٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٧٩ .

١٦٣ ـ الجهشياري ، نصوص ، ٣٩ ـ ٤٠ .

١٦٤ ـ الزبير بن بكار ، الاخبار الموفقيات ، تحقيق : سامي مكي العاني (بغداد : ١٩٧٢) ١٤٠ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٤١٤ .

١٦٥ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٤١٤ .

بل انهم يمتطون من اجل مصالحهم الخاصة اية وسيلة ويتبعون ايا كان .

اما الموقف في بقية اقاليم الدولة ، فإنه ما ان احتدم النزاع بين الفريقين ، وإعلان الامين خلع المأمون والبيعة لأبنه موسى ، واتباع المأمون للسياسة التي نصحه بها الفضل بن سهل ، حتىٰ تواترت الاخبار الىٰ الاقاليم بهذه التفاصيل وغيرها الىٰ الاقاليم ، فكان من نتائج ذلك ان مال الناس عن الامين لصالح المأمون[١٦٦] . ففي مصر في سبيل المثال ما ان وصلت اليهم هذه الاخبار حتىٰ تكلم الجند في خلع الامين والبيعة للمأمون ، وجاءهم كتاب المأمون يدعوهم للبيعة له ، وحصل الجند علىٰ ارزاق اضافية ، فبايعوا له[١٦٧] ولما حاول الامين الافادة من قوة الاقاليم المجاورة ولا سيما الشام بمشورة عبد الملك بن صالح ، فان هذه المحاولة لم تنجح ، لأن العصبية ثارت بين الجموع المحتشدة[١٦٨] .

وفي الاطار العام ، فان اتجاهات الرأي العام التي بدأت مع الامين ، اخذت تنحرف تدريجياً لصالح المأمون تحت ضغوط عديدة منها : الاخفاقات المتتالية التي واجهتها قوات الامين ، ثم المكاسب الاقتصادية التي حققها المأمون لاتباعه ، فانها غيرت القناعات والافكار ومن ثم الولاء لصالح المأمون .

---

١٦٦ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٩٢ .

١٦٧ ـ الكندي ، ولاة مصر ، تحقيق : د. حسين نصار (بيروت : دات) ١٧٤ ـ ١٧٥ .

١٦٨ ـ مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢٨ .

الفصل الثالث

الصراع في مرحلته الدبلوماسية

١ ـ ظهور الخلاف بين الأمين والمأمون :

مهمة بكر بن المعتمر في طوس :

ان بوادر ظهور الخلاف بين الطرفين لم تكن وليدة تولي الأمين الخلافة ، بل انه قبل ذلك بعام في الاقل ، منذ ان وضع الرشيد خطواته الاولى على طريق رحلته الاخيرة الى خراسان في عام ١٩٢ هـ/ ٨٠٨ م ، حيث كانت نيته تتجه نحو إبقاء المأمون في بغداد على الرغم من توليته على خراسان . غير ان الفضل بن سهل أخذ يحرض المأمون على عدم البقاء في بغداد ، وان يطلب الى الرشيد ان يشخصه معه ، خشية ان يثب عليه الامين اذا ما تولى الخلافة ، ورفض الرشيد الطلب في اول الامر ، لكن بعد الحاح المأمون في أن يكون قرب والده ، فاذن له بمرافقته[١] . ويعبر هذا الموقف عن سوء نية واضحة تجاه الامين وعدم الاطمئنان اليه ايضاً .

وفي بغداد بدأت الاوضاع تتبلور هي الاخرى باتجاه عدم الاطمئنان الى مجرى التطورات اللاحقة . في وقت شعر فيه الامين انه بحاجة الى ان يكون قريباً من الرشيد وهو في علة شديدة . ولما كان ذلك غير ممكن ، فانه اختار احد اقرب اعوانه ، بكر بن المعتمر ، فاوفده الى مكانة اقامة الرشيد في طوس ليبعث له باخباره اولا باول . كما ان بكراً كان مكلفاً بمهمة اخرى ، فهو يحمل معه رسائل موجهة الى الشخصيات المعنية بالتطورات اللاحقة لوفاة الرشيد اذا ما حصلت .

وضع بكر هذه الرسائل في قوائم صناديق ملبسة بجلود البقر ، وهو المكان الذي لا يخطر لاحد ببال ، فلا يمكن العثور عليها . وامره الامين ان لا يطلع احد على هذه الرسائل حتى أن كان الخليفة الرشيد نفسه او غيره وحتى اذا اضطر ان يقدم رأسه ثمناً لذلك . فاذا ما توفي الرشيد ، فإن على بكر ان يسلم هذه الرسائل الى اصحابها المعنيين[٢] . وخصص الامين لهذه المهمة الف دينار يومياً ، وكانت اهم هذه الكتب هي

---

١ ـ الجهشياري ، الوزاء ، ٢٦٦

٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٦٦ .

الموجهة الى الفضل بن الربيع واسماعيل بن صبيح وتتضمن تعليمات وجهت اليهما ، يأمرهما فيها بالعودة الى بغداد حال وفاة الرشيد ، ولا سيما ان الرشيد كان قد جدد البيعة للمأمون وامر أن يؤول اليه كل ما معه من مال وسلاح ومتاع[٣] .

وصلت الاخبار الى الرشيد بقدوم بكر بن المعتمر الى معسكره في طوس ، فأمر باحضاره يسأله عن سبب قدومه ، فأعلمه انه جاء للأطمئنان على صحته موفداً من محمد الأمين ، ثم سأله الرشيد عما اذا كان يحمل اية كتب او رسائل معه ، فنفى بكر ذلك ، فأمر الرشيد بتفتيش كل ما مع بكر ، فلم يصل الى شيء ، وعلى الرغم من تهديده بالضرب وحبسه فإنه لم يقر بأي شيء . وفي آخر ليلة للرشيد امر وزيره الفضل بن الربيع بالتحقيق مع بكر فإن لم يقر بما معه ، ضرب عنقه . ولما توجه الفضل لتنفيذ هذا الامر غشي على الرشيد وانشغلوا به . ولما ادرك بكر أن الرشيد ميت لا محالة . ارسل الى الفضل بن الربيع ان لا يتعجل في قراراته لأنه يحمل معه ما يهمه بهذا الخصوص . وعندما تحقق من وفاة الرشيد ، واطلق سراحه ، اوصل الكتب والرسائل التي معه الى المعنيين بها[٤] .

وكانت هذه الكتب والرسائل موجهة الى الفضل بن الربيع واسماعيل بن صبيح والمأمون وصالح ابن الرشيد . وكانت الكتب الموجهة الى الفضل واسماعيل تتضمن الامر بالعودة بالجيش وما في العسكر الى بغداد[٥] . اما الرسالة الموجهة الى المأمون فقد جاء في اهم فقراتها :

١ ـ التعزية بوفاة الرشيد ، الامر الذي لا مفر منه ، ويطلب اليه ان لا يغلب عليه الجزع وان يتحلى بالصبر والثبات .

٢ ـ ان يأخذ البيعة على من كان بحضرته من القادة والجند والعامة والخاصة للأمين بالخلافة ثم للمأمون والقاسم بولاية العهد على ما تضمنته العهود المكية .

٣ ـ ان يحسن معاملة من معه من الجند وان يزيد في عطائهم ، فمن انكر

---

٣ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٣

٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٣ ـ ٢٧٥ ، انظر ايضاً : الازدي ، تاريخ ، ٣١٧ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣١٨ .

٥ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٣ .

البيعة او حامت حوله الشبهات فعلى المأمون ان يبعث برأسه اليه وان لا يبقيه او يسامحه .

٤ ـ امره ان يكتب الى عمال الثغور وامراء الجند بوفاة الرشيد وان يأخذوا البيعة على من معهم للأمين والمأمون والقاسم ، وان يقوموا بضبط ثغورهم والاستعداد الدائم لمواجهة الاعداء .

٥ ـ ثم طلب اليه ان يعمل بموجب الأوامر التي ترده على وفق ما يرى ويشاهد معبراً عن ثقته به وبحسن اختياره وصحة رأيه ـ اي المأمون ـ[٦] .

اما الرسالة التي اورد الجهشياري مقتطفات منها على انها موجهة للمأمون[٧] . فهي في الحقيقة موجهة الى صالح بن الرشيد وليس الى المأمون . وسنعرض لها بعد قليل .

ويتجلى في رسالة الامين الى اخيه المأمون حقائق مهمة عن شخصية الامين . فليس هو بالشخص الذي يجزع او يضطرب اذا ما أصابته مصيبة ، بل أنه كان ذا رباطة جأش وله جرأة واضحة . كما كشفت عن حسن سياسته للامور في مثل هذه الحالات ، وعن حزمه وصرامته اللازمة في مواجهة الازمات . ويأتي هذا على الضد مما اشيع عنه من ضعف ووهن .

اما الرسالة الموجهة الى صالح بن الرشيد ، الذي كان حاضراً مع والده في طوس ، فقد تضمنت الفقرات الآتية :

١ ـ تعزيته بوفاة الرشيد ، الامر الذي لا مفر منه ، ويجب ان لا يثنيه ذلك عن القيام بالأمر .

٢ ـ ان يأخذ البيعة على من معه من اهل البيت والخاصة والعامة له وللمأمون والقاسم على موجب العهود المكية .

٣ ـ ان يخبر من معه حسن ظن الأمين بهم وان يقوم برد مظالمهم ومنحهم ارزاقهم ، وان لا يتردد في اتخاذ اقسى الاجراءات ضد كل من يريد إثارة الشغب .

٤ ـ ان يجعل اولاد الرشيد تحت رعاية الفضل بن الربيع الذي عليه ان يسير

---

٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

٧ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٦ .

بمن معه من الجند ، وان يولي عبد الله بن مالك امر العسكر واحداثه ، واقرار حاتم بن هرثمة على ما كان يتولى من امور ، وان يكون أسيد بن يزيد على مقدمة الجيش وان تكون الساقة الى يحيى بن معاذ ، وان يتخذ الجيش الطريق الاعظم بين العراق وخراسان .

٥ ـ ان لا يقوم ـ صالح بن الرشيد ـ باتخاذ اي اجراء الا بمشورة الفضل بن الربيع وان يقر جميع الخدم على ما معهم من مال وسلاح وخزائن . واذا اراد ان يمنح الجند اعطياتهم ، فيجب ان يتولى ذلك الفضل بن الربيع ايضاً على وفق سجلات خاصة، يعملها لهذا الغرض وبحضور اصحاب الدواوين . ثم امره ان يبعث اليه اسماعيل بن صبيح وبكر ابن المعتمر وعلى دواب البريد .

٦ ـ ثم اكد عليه ان يوجه اليه العسكر بما فيه من اموال وخزائن[٨] .

وتؤكد هذه الرسالة ايضاً حزم الامين وبأسه وقدرته على مواجهة هذا الموقف الصعب .

الموقف في طوس ومرو :

ما هي ردود الفعل التي ترتبت على هذه الرسائل في كل من طوس ومرو ؟ في طوس اجتمع الفضل بن الربيع مع اولاد هارون الرشيد الذين كانوا هناك ومعهم قادة الجند ، لتقرير ما يجب عمله حيال هذه التطورات . وبعد المداولة قال الفضل ، مقرراً سير الاحداث اللاحقة : « لا أدع ملكاً حاضراً لآخر لا يدري ما يكون من أمره » ثم امر العسكر بالرحيل الى بغداد ، ويظهر ان الجميع تجاوبوا معه بسبب رغبتهم في العودة الى منازلهم واهاليهم في بغداد[٩] .

اما في مرو ، فان الامور اخذت مجرى اخر ، فعندما تواترت الأخبار الى المأمون بعودة الفضل بالعسكر الى بغداد ، وعدم التزامه بما كان الرشيد قد قرره قبيل وفاته بعائدية الجيش والاموال والسلاح الى المأمون ، جمع القادة الذين معه وفيهم : عبد

---

٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٦٨ ـ ٣٧٠

٩ ـ السابق ، ٨/ ٣٧٠ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٠ ، انظر ايضا : ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١٢

الله بن مالك ويحيى بن معاذ وشبيب بن حميد بن قمطبة والعلاء مولى الرشيد والعباس بن المسيب بن زهير وأيوب ابن ابي سمير ومن الاسرة العباسية كان معه عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح ، كما حضر الاجتماع الفضل بن سهل ، حيث اشار عليه القادة أن يقود قوة من ألفي فارس ويلحق بالفضل لاعادته الى مرو وتمت تسمية القادة الذين سيرافقونه في هذه المهمة ، غير ان الفضل ابن سهل قدم رأياً مخالفاً ، وأشار على المأمون ان يكتب الى الفضل بن الربيع مذكراً إياه بالبيعة التي في عنقه وضرورة الوفاء بها . لكن رسالة المأمون هذه لم تثن الفضل عن مسعاه الى بغداد ، بل انه اجاب الرسول بقوله : « قل لصاحبك : والله لو كنت حاضراً لوضعتُ الرمح في فيك ، هذا جوابي »[١٠] . وامام هذه المحاولة الفاشلة اراد الفضل بن سهل ان يخفف من وطأتها على المأمون فقال له : « هؤلاء اعداء قد استرحت منهم ويعدوا عنك »[١١] . ثم استغل الفضل بن سهل هذا الاحباط الذي اصاب المأمون ليمارس هو دوره على اوسع نطاق ، فقد بدأ منذ تلك اللحظة يخطط بدقة من اجل ايصال المأمون الى الخلافة بأسرع ما يمكن . فرسم له سياسة تقوم على استقطاب كل ما حوله من قادة وجند وناس ، لأعداد العدة للمواجهة العسكرية مع الامين ولا سيما بعد ان فوض المأمون الامور كلها للفضل[١٢] . فكانت اول توجهاته لكسب ولاء القادة ، وهو ما يؤكد ان ولاء هؤلاء القادة لم يكن محسوماً لصالح المأمون ، وقامت محاولته على اساس اشراكهم ولو ظاهرياً في تقرير طبيعة الامور الواجب اتخاذها لمواجهة التطورات اللاحقة . الا ان الفضل فشل في مسعاه هذا وجوبه بشدة حيث قال عنهم : « فكأني جئتهم بجيفة على طبق »[١٣] . مشيراً الى عزوفهم عن الدخول في هذا الامر . لذا فان الفضل اعاد رسم خططه من جديد لتتضمن الفقرات الاتية :

---

١٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٠ ـ ٣٧١ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢٠ ـ ٣٢١ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

١١ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٧ .

١٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٢ .

١٣ ـ السابق ، ٨ / نفس الصفحة ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٨

١ ـ كسب الفقهاء الموجودين في مرو وغيرها بدعوتهم الىٰ العمل بالحق واحياء السنة .

٢ ـ اظهار التقشف في حياته الخاصة .

٣ ـ ان يباشر المأمون بنفسه برد المظالم .

٤ ـ اكرام القادة والوجهاء وملوك الدول المجاورة بتحسين العلاقة معهم .

٥ ـ دعوة القبائل العربية في خراسان الىٰ الالتفاف حول المأمون باستمالة الشخصيات المبرزة في هذه القبائل .

٦ ـ الحط من خراج خراسان بمقدار الربع[١٤] .

ويبدو ان هذه السياسة قد آتت أكلها سريعاً ، فتجاوب معه عامة اهل خراسان . وكان بين من استجابوا له رافع بن الليث الذي كان يقود حركة تمرد هناك[١٥] . كما ان المأمون اظهر للأمين التودد ، فبعث اليه بالكتب والرسائل ومعها الهدايا الكثيرة من طرف خراسان وفرائدها مظهراً له التعظيم[١٦] .

اما في بغداد فيظهر ان الفضل بن الربيع ، كان قد خشي من انتقام المأمون اذا ما آلت الخلافة اليه فوضع خططه على اساس اقصاء المأمون عن الخلافة ، ليأمن انتقامه ويتم ذلك باقناع الامين بالبيعة لأبنه موسىٰ من بعده ، ويبدو ان ذلك لم يكن قد تبادر بعد الىٰ ذهن الامين ولم يفكر به ، واستمر في الحاحه هذا يعاونه كل من علي بن عيسىٰ بن ماهان والسندي بن شاهك[١٧] . اضف الىٰ ذلك ان موافقة المأمون علىٰ منح الامان لرافع بن الليث ، المتمرد السابق ، دون اذن الأمين ، بل انه ولاه حرسه ايضاً . فلم تنل هذه الاجراءات رضا الخليفة . فكان ذلك مشجعاً علىٰ تغيير مواقفه تجاه المأمون[١٨] .

---

١٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٢ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٨ ـ ٢٧٩

١٥ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٧٩ .

١٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٣ .

١٧ ـ السابق ، ٨ / ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٣٦ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٢٩٥ ، ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١٣ .

١٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٥ .

عمليات جس نبض المأمون :

ادرك الأمين ان اي اجراء تجاه المأمون ، ولا سيما اقصائه عن ولاية العهد ، لا يعد امراً سهلًا البتة ، ومن ثم لا بد ان يمهد له بجملة من الاجراءات يختبر فيها ردود فعل المأمون ومدى قوته ، وفي ضوء ذلك يتم اتخاذ القرار المناسب تجاه هذه المسألة .

وكانت اولى محاولات جس النبض هي انه كتب الى العباس بن مالك بن عبد الله ، عامل المأمون على الري ، يطلب اليه ان يبعث له بغرائب النبات التي هناك . لمعرفة مدى ولائه لأي من الجانبين . فبعث للخليفة بما طلب ، وبتكتم عن المأمون ، فلما علم هذا الاخير بأمره عزله عن الري[19] . واستهدفت هذه العملية استطلاع ايضاً ردود فعل المأمون ومدى قوته وتمسكه بما معه . ومدى طاعته للخلافة .

اما الخطوة الثانية وكانت الاكثر قوة واهمية ، فقد تمثلت بمكاتبة المأمون نفسه طالباً اليه ثلاثة امور هي :

١ ـ التنازل عن كور معينة من خراسان لصالح السلطة المركزية .

٢ ـ ان يقوم الامين بتوجيه العمال الى هذه الكور .

٣ ـ ان يتقبل المأمون قيام الامين بارسال عامل البريد الى مرو ، ليكتب اليه من هناك بمجريات الاحداث التي تقع في خراسان[20] .

ونحن لا نذهب هنا الى ما ذهب اليه الدوري بقوله : إن الامين قصد من هذه المطالب اضعاف المأمون وجعله تابعاً له وخاضعاً لرقابته[21] ، لأن الامين لا بد انه كان يدرك ان ذلك ما زال غير ممكن قبل اختبار المواقف بين الفريقين .

كان رد فعل المأمون على مطالب الأمين هذه متشنجاً ، لأنها كانت شديدة الوطأة عليه . وعندما استشار الفضل بن سهل واخاه الحسين ، طلب اليه الفضل ان يعقد اجتماعاً مع بطانته لمشاورتهم في الأمر . فوافق على المقترح . وفي الاجتماع

---

١٩ ـ السابق ، ٨/ نفس الصفحة .

٢٠ ـ السابق ، ٨/ ٣٧٧ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٨٩ ، المسعودي ، التنبيه ، ٣١٦ ، ابن أعثم ، الفتوح ، ٨/ ٢٩٦ .

٢١ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٩٤ .

قرأ المأمون كتاب الخليفة الامين على الحاضرين ، الذين ادركوا خطورة الموقف ، فطلبوا امهالهم لتقليب الاراء ، فأمهلهم ثلاثة ايام : وفي الاجتماع الثاني كانت الاراء كافة تتجه نحو ضرورة قبول المأمون بمطاليب الخليفة تجنباً لأية مصادمة بين الطرفين ، هنا تدخل الحسن ابن سهل وناظرهم محاولًا اقناعهم بانه اذا ما تمت الاستجابة لمطاليب الامين هذه ، فان ذلك سيشجعه على تقديم مطاليب اخرى تباعاً بما يسبب الوهن والضعف في موقف المأمون . ومع ذلك لم يستجب له القادة . لكنهم في النهاية قالوا : « قد قلنا بمبلغ الرأي ، والله يؤيد الامير بالتوفيق » معبرين عن عدم قناعتهم باراء الحسن ، لكنهم عبروا في الوقت نفسه عن طاعتهم للأمير . الذي امر الفضل بن سهل ان يكتب الى الامين برفض مطاليبه ، معتلًا بان حدود عمله ـ المأمون ـ مثبتة في العهود المكية التي لا يمكن تجاهلها او التجاوز عليها . خصوصاً وانه في مواجهة اعداء ما زالوا يتربصون به ، وهذا ما يضطره ان يكون على اهبة الاستعداد بصورة مستمرة ، وهذا الامر يتطلب مزيداً من الاموال لتهيئة المستلزمات العسكرية ، فضلًا عن ان جنده غالباً ما يطالبونه بالمزيد من الاموال ، لهذا فانه يتعذر عليه بالتنازل عن هذه الكور ، لأن ذلك يشكل خفضاً لوارداته المالية[٢٢] .

وعند هذا الحد ، ادرك المأمون انه دخل في الخلاف الفعلي مع الأمين وعصيانه وعدم طاعته لأوامره . وانه بات غير قادر على التراجع عن مواقفه هذه ، وليس امامه سوى الايغال في المخالفة . فسعى الى ما يمكن ان نسميه بغلق الحدود بين الطرفين . فوجه الثقات من حراسه وجنده الى نقاط معينة على الحدود ، يمنعون الانتقال بين الجانبين عدا من كانت الثقة به عالية ، كما يفتشون الكتب والرسائل ، وحتى الرسل القادمين من العراق ، فانه يتم التحوط عليهم ويرسلونه الى مرو برفقة حرس خاص لمنعهم من الاتصال بالناس ومنعهم من الاطلاع على اية أخبار او معلومات خاصة عن الاوضاع في خراسان ، خشية استمالة اهل هذا الاقليم الى جانب الامين[٢٣] . ثم قام الفضل ابن سهل بارسال جواسيسه وعيونه الى بغداد

---

٢٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٧٧ ـ ٢٧٩ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، المسعودي ، التنبيه ، ٣١٦ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٢٩٦ .

٢٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٩ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٢٩٦

بهدف استطلاع الاوضاع هناك ومجريات الاحداث وللتأثير في القرارات المتخذة في بغداد إن امكن ذلك وتوجيهها لصالح ما يجري التخطيط له في مرو[٢٤] . اعقب ذلك قيام الفضل بن الربيع باتخاذ اجراء مماثل . فقام بوضع نقاط السيطرة والتفتيش عند مفارق الطرق لمنع تسرب المعلومات من العراق الى خراسان لكن يبدو ان تلك الاجراءات لم تكن محكمة ، اذ كانت هناك امكانية لعبور وتسرب مثل هذه المعلومات[٢٥] .

في هذه الاثناء تقرر ايقاف الدعاء للمأمون على المنابر في خطبة الجمعة[٢٦] . كما بدأ الامين باستطلاع آراء المحيطين به فيما يخص خلع المأمون وتوليته أبنه، موسى العهد من بعده . وقد ايده من افراد الاسرة العباسية كل من ابراهيم بن المهدي وعبد الملك بن صالح واسحاق بن سليمان وصالح صاحب المصلى[٢٧] . وكان بين القادة من رفض الفكرة خشية ما قد يترتب على نكث العهود[٢٨] . وتردد بعضهم في رأيه طالبين عدم مجاهرة المأمون بالعداء بل الكتابة اليه بالقدوم الى بغداد ، عند ذلك يمكن خلعه دون ان يتسبب ذلك في عواقب خطيرة[٢٩] . وتجاوب الامين مع هذه الفكرة حيث كتب الى المأمون يعلمه بحاجته الى قربه لمساندته ومعاونته في ادارة البلاد . بيد أن المأمون رفض طاعة هذا الامر والخضوع له[٣٠] . ويبدو ان المأمون كان يتعجل التطورات في الاحداث فقبل ان تصل الامور الى الحد الذي ذكرناه ، اعلن المأمون عن تلقيب نفسه بـ « الامام »[٣١] ولا بد ان اجراءً من هذا النوع يحمل من المخاطر السياسية على الخلافة ما هو كثير . فبصفة الامامة أضفى المأمون على

---

٢٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٨٣ ـ ٣٨٦ .

٢٥ ـ السابق ، ٨/ ٣٨٦

٢٦ ـ السابق ، ٨/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤

٢٧ ـ الازدي ، تاريخ ، ١٣٩ .

٢٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩٩ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٨٩ .

٢٩ ـ الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٤ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

٣٠ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٦ .

٣١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٧٦

نفسه صفة دينية تطغى على الصفة السياسية ، وذات مساحة في التاثير اوسع واكبر ، وهي محاولة واضحة ومكشوفة لاستقطاب اكبر عدد ممكن من الاشياع والموالين له . كما ان هذه الصفة تعني صراحة تطلعه الى الخلافة ، فقد كان امام الدعوة العباسية هو الخليفة فيما بعد . ويعني هذا ان المامون وضع نفسه موضع المنافسة مع الامين على الخلافة . وقد حاول الفضل ابن سهل التغطية على اجراء المامون هذا عندما سأله العباس رئيس وفد الامين الى مرو عن معنى هذه التسمية بقوله : « قد يكون إمام المسجد والقبيلة ، فإن وفيتم لم يضركم ، وان غدرتم فهو ذاك »[٣٢] .

ردود فعل الامين تجاه اجراءات المامون :

عند وصول القطيعة بين الطرفين الى هذا الحد ، امر الامين بالدعاء لابنه موسى على المنابربالامرة[٣٣] . ثم قام بعزل القاسم عن جميع اعماله الادارية في الشام وقنسرين والعواصم والثغور ، وجعل مكانه خزيمة بن خازم ثم امره بالمقام في بغداد[٣٤] . ورداً على ذلك قام المامون باتخاذ اجراءات مضادة تمثلت في قطع البريد عن الخليفة الامين من خراسان ، اسقاط اسم الخليفة عن الطراز والعملة التي تسك في خراسان[٣٥] . ويضيف المقدسي أنه قطع الخراج عن العاصمة بغداد ايضاً[٣٦] . ويعني هذا من الناحية العملية تطع العلاقات الرسمية مع السلطة المركزية ، ولا يخلو اجراء من هذا النوع من معنى العصيان والتمرد . وتمثل رد الامين في خطوته الاولى بمنع دخول عملة المامون التي كانت تدعى (الرباعية) الى العراق ، حيث لم تكن تحمل اسم الخليفة[٣٧] .

ولم يكن امام الامين عند هذا الحد سوى خلع المامون من ولاية العهد والبيعة لابنه موسى ولياً للعهد بدلًا منه . وقد اختلف المؤرخون في توقيت ذلك . اذ جعل

---

٣٢ ـ السابق ، ٨/ نفس الصفحة

٣٣ ـ السابق ، ٨/ ٣٧٤ .

٣٤ ـ السابق ، ٨/ نفس الصفحة ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٢ .

٣٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٧٥ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٢ .

٣٦ ـ المقدسي ، البدء والتاريخ ، تحقيق : مكمان هوار (باريس : ١٩١٦) ٦/ ١٠٨ .

٣٧ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٨٩ ، ابن العبري ، مختصر ، ١٣٢ ، المقدسي ، البدء ، ٦/ ١٠٧ .

الطبري هذا التوقيت في صفر من عام ١٩٥ هـ / تشرين الاول ٨١٠ م[٣٨] في حين جعله اليعقوبي وابن قتيبة في عام ١٩٤ هـ / ٨٠٩ - ٨١٠ م وعلى حد قول اليعقوبي كان ذلك في شهر ربيع الآخر / كانون الثاني ٨١٠ م[٣٩] ولقب الامين ابنه بـ « الناطق بالحق »[٤٠] وبخصوص التوقيت فإننا نميل الى قبول الرأي الثاني ، لأن تطورات الاحداث في هذه الحقبة كانت تجري بسرعة ، مما يجعل البيعة لموسى في

عام ١٩٤ هـ / اكثر قبولًا . ولأجل اتمام هذه العملية ، فان الامين او وزيره الفضل امر باحضار العهود المكية من الكعبة وتخريقها او احراقها[٤١] . لأنه لم يعد لها اية جدوى من الناحية السياسية . ثم كتب الامين بالبيعة لأبنه الى الاقاليم كافة[٤٢] . كما ان المأمون ومن جانبه كتب هو الآخر الى الاقاليم يدعوهم الى مساندته في خلافه مع الامين . ومنها ما كتبه الى وجوه اهل مصر بهذا الامر[٤٣] .

ثم كتب المأمون الى الامين يطلب اليه ان يقوم باشخاص أهله الى خراسان مع ما كان له من اموال في بغداد فرفض الامين ذلك ، وقد اختلف في مقدار هذا المال ، فذكر الطبري انه مليون دينار[٤٤] . في حين ذكر الجهشياري انه مئة الف دينار[٤٥] . ورفض الامين مطالب المأمون هذه مشيراً الى ان المال قد صرف في امور المسلمين

---

٣٨ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٨٩ .

٣٩ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٣٦ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٨٤ .

٤٠ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٨٩ ، ٤٠٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٣٦ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٨٤ .

٤١ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٧ ، الازدي ، تاريخ ، ٣١٩ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٩٢ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٣٦ .

٤٢ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٠٦ ، مجهول ، تاريخ الزهاوي ، ٢ / ٢٠ .

٤٣ - الكندي ، ولاة ، ١٧٥ .

٤٤ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٨١ .

٤٥ - الجهشياري ، الوزراء ، ٢٩٠ .

وهم أحق به . كما أنه لا يريد أن يكلف اهله أعباء السفر ومشقته الى خراسان[٤٦] . ويشير اليعقوبي الى ان الامين ارسل الى ام عيسى زوجة المأمون . فأخذ ما كان في قصرها من اموال وجواهر[٤٧] . ولكن الحقيقة ان الامين لم يصادر اموال المأمون هذه الا بعد مقتل علي بن عيسى بن ماهان وهزيمة جيشه امام طاهر بن الحسين[٤٨] .

الاعداد للمواجهة الساخنة :

ما أن تاكد الفضل بن سهل بأنه قد تُرِكَ الدعاء للمأمون على المنابر في خطبة الجمعة ، حتى قام باعداد الجيوش وجمعها من ارجاء خراسان كافة ، ويشير الطبري الى انه تم اعداد كل ما يحتاجه الجيش من مؤن ، على الرغم من الجدب الذي اصاب خراسان في تلك السنة - ١٩٤ هـ/ ٨١٠ م - واعقب توجيه هذا الجيش ارسال طاهر بن الحسين مع عدد من القادة لقيادة هذا الجيش فنزل الري وعسكر بجوارها . حيث وضع المسالح وبث العيون والطلائع[٤٩] ويبدو ان ثمة مشكلة واجهت هذا الجيش هي أنه من الناحية الرسمية لم يكن قد تم خلع الامين بعد وهو ما يزال الخليفة الشرعي والمعترف بسلطاته . فاذا ما جاءه علي بن عيسى بن ماهان وخاطب طاهر بن الحسين باسم الخليفة الشرعي فكيف سيكون الموقف ؟ هذه المشكلة طرحها على طاهر صاحب شرطته ، فكان جوابه انه لم ترده اية تعليمات بهذا الخصوص ، فاقترح صاحب الشرطة ان يتولى هو حل هذه المعضلة ، فصعد على المنبر واعلن من فوقه خلع الامين من الخلافة والبيعة للمأمون[٥٠] . وبهذا التصرف اكسب طاهر نفسه صفة الشرعية في محاربة الخليفة المخلوع .

اعقب ذلك انه قام الامين بتوجيه احد قادته ، عصمة بن حماد بن سالم ، في الف فارس الى همذان ، وولاه حرب كور الجبل[٥١] . كما امره ان يقيم مسلحة بين

---

٤٦ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٨٢ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٢٩٠ .

٤٧ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٦

٤٨ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩٥ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٥ .

٤٩ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٨٦ - ٣٨٧ .

٥٠ - الازدي ، تاريخ ، ٣٢٢ - ٣٢٣

٥١ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٨٧ .

همذان والري لغرض الحصار على خراسان ومنع التجار من حمل اي شيء من المواد الغذائيةالى خراسان ولمنع تسرب اخباره الى المأمون[٥٢] . ويؤكد هذا ان الفضل ابن السهل ـ المدبر للأمور في مرو ـ هو الذي بدأ باتخاذ الاستعدادات للحرب والقتال . اي انه هيأ الامور للأنتقال من المواجهة السياسية الى المواجهة العسكرية تمهيداً لأزاحة الأمين عن الخلافة واحلال المأمون محله .

٢ ـ المراسلات بين الامين والمأمون :

تعاقبت الرسل بين الاخوين لمرات عديدة لنقل الرسائل بينهما التي تضمنت مطاليب الطرفين او حججهما وآراءهما في موضوع الخلاف بينهما . وكان من نتيجة هذه المراسلات ان فكر المأمون مرة بالاستجابة الى مطالب الامين ولا سيما في التنازل عن ولاية العهد ، لولا اصرار الفضل بن سهل ، الذي شجعه على الامتناع عن التجاوب مع الامين ، ضامناً له الخلافة[٥٣] .

ان الصعوبة التي تطالعنا في هذا المجال تتمثل في ترتيب هذه السفارات فالروايات الواردة بشأنها لا تحمل تواريخ محددة ، بل ان الطبري مثلًا ، اورد اخباراً متقطعة بشأن بعض السفارات تناثرت بين جنبات اخبار اخرى بخصوص الخلاف ، بحيث يصعب احياناً الجزم بعائدية بعض المعلومات والى اية سفارة يمكن نسبتها . والاخطر من هذا ان تكون بعض هذه السفارات وهمية من اختلاق الرواة محاولين من خلالها ايجاد تفسير لتطورات بعض الاحداث من وجهة نظرهم . وربما وضعت مقصودة لكي يبرر كل جانب موقفه عندما يتطلب الامر ذلك . وقد حاولنا ترتيب هذه السفارات باستنتاج ذلك من طبيعة سير الأحداث .

السفارة الاولى :

كانت اولى هذه السفارات تلك التي وجهها الأمين الى المأمون قبل ان يظهر اي

---

٥٢ ـ السابق ، ٨/ ٤٠٧

٥٣ ـ ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١٣

خلاف فعلي بينهما ، وكانت من قبيل جس النبض . حيث طلب فيها الامين من اخيه : ان يتنازل له عن كور معينة من خراسان ويقوم هو ـ الامين ـ بتعيين العمال عليها . كما طلب اليه « ان يحتمل » توجيه عامل للبريد الى مرو ليبعث اليه بأخبار ما يجري من احداث هناك[٥٤] .

بعد ان تداول المأمون مع مساعديه ومستشاريه بخصوص هذه المطاليب ـ وقد عرضنا ذلك ـ طلب الى الفضل بن سهل ان يرد على الامين برسالة يوضح فيها : ان طلبه ـ الامين ـ غير ممكن التنفيذ للأسباب الآتية : لأن : « ذلك لمثبت بالعهود والمواثيق المأخوذة » ويقصد العهود المكية التي أخذها عليهما الرشيد ، كما انه يعاني « من اشراف عدو نحيف الشوكة » قاصداً المخاطر التي تواجهه من جيرانه الشرقيين ، ثم ان له « اجناد لا يستتبع طاعتها إلا بالاموال وطرف من الافضال »[٥٥] ولا يبدو ان الامين قد اقتنع بهذه التبريرات لأنه اعاد الكرة على المأمون بهذه المطالب نفسها في السفارة التالية .

السفارة الثانية :

تم توجيه هذه السفارة الى مرو بعد قيام المأمون بغلق حدوده مع العراق وتمثلت مهمة هذه السفارة بالنقاط الاتية :

١ ـ مناظرة المأمون فيما يخص مطالب الامين السابقة ، الواردة في السفارة الاولى ، ولتكون هذه المناظرة حجة للأمين على المأمون .

٢ ـ بث الاخبار بين الناس المدعمة بالحجج بخصوص الخلاف بين الطرفين .

٣ ـ العمل على استمالة العناصر القوية في خراسان الى جانب الأمين سواء كان ذلك ببذل الاموال والقطائع او توليتهم الولايات[٥٦] .

غير ان هذه السفارة وجدت ان الفقرتين الثانية والثالثة غير ممكنة التنفيذ ،

---

٥٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٧ .

٥٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩ .

٥٦ ـ السابق ، ٨ / ٣٧٩ .

بسبب الاجراءات المحكمة المتخذة على الحدود ، فما ان وصلوا الى اول مسلحة صادفتهم على الطريق بعد عبور همذان ، حتى تم التحوط عليهم ومنعهم من الاتصال بأي شخص ، الى ان جاءت الموافقة من مرو بتوجيههم الى المأمون تحت حراسة خاصة . وعند مقابلتهم المأمون عرضوا عليه رسالة الامين التي تضمنت : ان الرشيد قد ضم اليه ـ اي المأمون ـ من كور الجبل ذات المردودات المالية الكبيرة ما يزيد عن حاجته وان عليه ان يعيدها الى ما كانت عليه من قبل ، ثم عاتبه على رفضه هذا الطلب عندما ورد في السفارة السابقة ورفضه ان يعين ـ الامين ـ عاملاً للبريد في مرو معيداً عليه الطلب نفسه[٥٧] .

وأجاب المأمون ملتمساً من الامين ان يكف عن مطالبته بما ذكر مشيراً الى انه باقٍ على الطاعة والولاء ، ويرجوه ان لا يحمله على غير ذلك ، ثم سلم الرسالة الى الوفد الذي حاول ان يناظر المأمون لكنه رفض ان يصغي اليهم . لقد كانت هذه الاخبار مثار غضب الامين فكتب الى المأمون يحذره من مغبة عدم طاعته . حيث اعقب ذلك وقف الدعاء للمأمون على المنابر يوم الجمعة .[٥٨]

السفارة الثالثة :

اما السفارة الثالثة فقد جاءت هذه المرة من المأمون ، حاملة رسالة تضمنت باسلوب بالغ اللطف والود : ان امير المؤمنين الامين طالما عرف عنه إنصافه العامة . فان اخاه احق بالانصاف . ثم شرح اوضاع العامة بما فيها والوضع في الثغور وما يجابه من خطر الاعداء وأن جنده يلحون عليه بطلب المال ، وأن خراج ولايته لا يفي بالغرض وطلب الى الامين ان يرسل اليه امواله التي في الرقة وان يرسل ايضاً اهله الموجودين في بغداد « وإن كانوا في كفاية من بر امير المؤمنين ، فكان لهم والداً » وأجاز المأمون الوفد الذي ارسله بحمل الاموال واصطحاب أهله . وقد اجاب الامين بالرفض ، مشيراً الى ان الاموال التي اعلن عن حاجته اليها هي « من مال الله »

---

٥٧ ـ السابق ، ٨/ ٣٨٠ .

٥٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٨٣٠

وانه قد تم « اجراؤه منه على فرائضه ، ورده الى مواضع حقه » اما بخصوص الأهل فأجابه بقوله : « لم أرَ من حملهم على سفرهم مثل الذي رأيت من تعريضهم بالسفر للتشتت »[٥٩] .

السفارة الرابعة :

أما السفارة الاخيرة . فهي التي جاءت بعد ان عزم الامين على خلع المأمون عن ولاية العهد والبيعة لابنه موسى بدلًا منه . فقد أشار عليه الفضل بن الربيع ان يكتب الى المأمون للتنازل عن ولاية العهد « فأن ذلك ابلغ في التدبير ، واحسن في القالة من مكاثرته بالجند ومعالجته بالكيد » غير ان اسماعيل بن صبيح الذي أحضر لكتابة الرسالة بذلك اقنع الامين بوجهة نظر اخرى تتمثل في ان يكتب الى المأمون معرباً عن حاجته اليه للاستعانة برأيه وذلك بالقدوم الى بغداد ، فكتب اسماعيل رسالة جاء فيها :

ان امير المؤمنين الامين بحاجة الى مساعدته - المأمون - وعونه في ادارة البلاد آخذاً بنظر الاعتبار ان الرشيد قلده خراسان ، لذا فإنه يريده للمعاونة دون ان يضطره الى نكث الايمان والعهود ، وأن قدومه الى بغداد انفع له من وجوه عديدة ذكرها . وأن امير المؤمنين الامين يرى ان يولي ابنه موسى على خراسان على ان يعمل برأي وأمر من المأمون نفسه[٦٠] .

سلمت هذه الرسالة الى وفد مكون من أربعة اشخاص على رأسهم العباس بن موسى ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ومعه عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ومحمد بن عيسى بن نهيك وصالح صاحب المصلى . وكانت توجيهات الأمين للوفد اتباع اللين والرفق وان يسلموا الامر على المأمون . ثم زودوا بالاموال والهدايا[٦١] . في محاولة مشابهة لما قام به ابو جعفر المنصور عندما استدرج ابا مسلم الخراساني ، لكن محاولة الامين هذه لم تكن بالمستوى نفسه من البراعة والدقة في

---

٥٩ - السابق ، ٨/ ٣٨١ - ٣٨٢

٦٠ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٠٠ - ٤٠١ ، الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٤ .

٦١ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٠١ .

التخطيط، لذا فان نجاحها كان مشكوكاً فيه منذ البدء.

ووجه الامين مع الوفد كتباً موجهة الى عمال الري وقومس ونيسابور وسرخس، يأمرهم فيها باستقبال هذا الوفد باحسن ما يكون الاستقبال من اظهار العدة والسلاح. وفي مرو ايضاً استقبل الوفد بالحفاوة والتكريم واظهار السلاح والعدة والعتاد[٦٢]. وكان المأمون قد امر باكرام اعضاء الوفد[٦٣]. وفي الطريق من الري الى مرو كانت ثمة محاولات لاستمالة اعضاء الوفد لصالح المأمون، لكنها كانت دون جدوى[٦٤].

في مرو قدم الوفد الكتاب الى المأمون مشفوعاً بالهدايا والالطاف المرسلة من الخليفة[٦٥]. وعندما قرأ المأمون الكتاب اسقط من يده ولم يدر ما يفعل[٦٦]. فارسل في طلب الفضل بن سهل ليقدم له المشورة والرأي في مضمون الرسالة. الذي طلب ان يمهله ليلة للتفكير وتقليب الامر. ويقال ان الفضل كان منجماً يؤمن بالتنجيم. لهذا فانه قدم عليه في صباح اليوم التالي، وأعلمه انه امضى الليل في النظر في النجوم التي اخبرته ان النصر للمأمون وأن العاقبة ستكون له[٦٧]. ونحن لا نميل هنا الى تصديق ما قاله الفضل، ولا بد انه قصد بذلك تشجيع المأمون على الاستمرار في مخالفته للأمين وعدم تنفيذه طلباته بتطمينه أن النصر سيكون له في النهاية.

ويتضح ان مناظرات طويلة دارت بين المأمون وأعضاء الوفد، وكان مما قاله العباس، رئيس الوفد، مشيراً الى جده عيسى بن موسى الذي تنازل للمهدي عن ولاية العهد دون ان يضره ذلك، فرد عليه الفضل بن سهل صارخاً بقوله: «اسكت، فان جدك كان في ايديهم اسيراً، هذا بين اخواله وشيعته[٦٨] ثم تكلم اعضاء الوفد الآخرون وهم يحضون المأمون على الاستجابة لأخيه الامين لما في ذلك من صلاح

---

٦٢ ـ السابق، ٨/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

٦٣ ـ الدينوري، الاخبار، ٣٩٤.

٦٤ ـ الطبري، تاريخ، ٨/ ٣٧٦.

٦٥ ـ السابق، ٨/ ٤٠١.

٦٦ ـ السابق، ٨/ ٤٠٣.

٦٧ ـ الطبري، تاريخ، ٨/ ٤٠٤

٦٨ ـ السابق، ٨/ ٣٧٦.

للامور من وجوهها كافة[٦٩] . لكنهم لم يفلحوا في الوصول الى اية نتيجة ايجابية . بل ان المأمون احسن الى الوفد وقدم لهم الهدايا والجوائز ، والتمس منهم ان يذكروه بخير عند اخيه الخليفة[٧٠] . وارسل معهم الهدايا إليه[٧١] . كما ارسل معهم رسالة تضمنت رفضه التنازل عن ولاية العهد لأن الحجة القوية معه[٧٢] . كما أن المأمون كتب رسالة اخرى موجهة الى الامين ايضاً شرح فيها اهمية بقائه في خراسان بالنسبة الى الخلافة والمسلمين عامة معبراً عن سروره بدعوة الامين له الى بغداد ، لكنه يعتذر عنها[٧٣] .

ومن ناحية اخرى فان الفضل بن سهل توسم في العباس بن موسى ما يتوسم فيه ان يفيده في خططه عندما يعود الى بغداد ، فعمل على تغيير ولائه من الامين الى المأمون واغراه بالولاية على الحج ، فنجح في ذلك[٧٤]

كما ان المأمون كتب الى علي بن عيسى بن ماهان رسالة خاطبه فيها بلغة الاستدراج ، مذكراً اياه بدور سلفه بالدعوة وما بذلوه من اجل نصرتها ، ومنوهاً عن دوره هو في الدولة ومناصحته للخلفاء الذين كانوا يجلونه . وسأله ان يكون ختام عمله خيراً كما كان في أوله ، وحثه على الالتزام بالعهود والمواثيق المبرمة في هذا الخصوص ، ثم يخيفه من زوال النعمة عنه . وطلب اليه اللجوء الى الحياد في هذا الصراع اذا لم يكن بمقدوره الانحياز اليه - اي المأمون - ووعده بحفظ امواله ان هو فعل ذلك . كما طلب اليه ان يكتب له بالجواب[٧٥] . وهكذا يتضح ان المأمون ومن ورائه الفضل بن سهل لم يدع وسيلة ممكنة لشق صف الامين الا وسعى اليها .

ولا بد هنا من الاشارة الى الآثار التي تركتها رسالة الامين الاخيرة التي ارسلها

---

٦٩ - السابق ، ٨/ ٤٠١ - ٤٠٣ .

٧٠ - الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٤ .

٧١ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٠٥

٧٢ - السابق ، ٨/ ٣٩٦ .

٧٣ - السابق ، ٨/ ٤٠٥ ، الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٤ .

٧٤ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٧٦ .

٧٥ - السابق ، ٨/ ٣٩٧ - ٣٩٨ .

مع العباس . فحسب رواية الطبري فإن المأمون لما قرأ الرسالة اسقط في يده ، ووجد نفسه في موقف حرج لا يدري ما يصنع تجاهه ، إلا ان الفضل بن سهل كان يحثه على الصمود والتماسك . اما عوامل ضعف المأمون . كما ذكرها هو فتتمثل في :

١ ـ ان معظم القادة والجند مع الامين .

٢ ـ كثرة الاموال التي مع خصمه ، ومن ثم فإن الناس مائلون اليه ، دون الالتفات الى العهود والمواثيق التي بذمتهم .

٣ ـ فساد اوضاع خراسان المالية واضطرابها .

٤ ـ ان ملوك الترك المجاورين لخراسان مثل : جيغويه وخاقان صاحب التبت وملك كابل ، باتوا يشكلون خطراً حقيقياً على خراسان ، ويهددون بغزوها مع امتناع ملك ابرازبنده عن اداء الضريبة المكلف بها[٧٦] .

كل هذه الاعتبارات جعلت موقف المأمون ضعيفاً امام الأمين لذا فإنه فكر حتى في الهرب واللجوء الى ملك الترك . غير ان الحاح الفضل بن سهل عليه بالثبات والصمود جعله يغير افكاره . بعد أن اشار عليه باتباع الخطوات الآتية :

١ ـ مهادنة ومسالمة ملوك الدول المجاورة بكل الوسائل الممكنة مثل وعدهم بمساعدتهم ضد خصومهم او استمالتهم بالهدايا والاستغناء عن الضرائب التي كانت تؤخذ من بعضهم .

٢ ـ تجميع الجيوش من اطراف خراسان ، واستمالة الجند وكسب ولائهم .

٣ ـ حث طاهر بن الحسين المقيم في الري على ضبط منطقة عمله وان يتخذ موقف الحيطة والحذر والاستعداد لمواجهة اي خطر قادم من جهة الأمين[٧٧] . وتشير هذه التطورات الى ان الخلاف بين الامين والمأمون انتهى من الناحية السياسة الى طرق مسدودة . ولم يعد هناك من خيار سوى اللجوء الى القوة المسلحة ، كل يريد فرض ارادته السياسية على الطرف الاخر : الامين من اجل بسط سلطته الشرعية على ولاية من ولايات الدولة ، والمأمون مدفوعاً بنوازعه الخاصة وبالفضل بن سهل ذي النوايا والتطلعات الخاصة المنوه عنها سابقاً . فكانت الحرب حالة لا مفر منها .

---

٧٦ ـ السابق ؛ ٨ / ٤٠٣

٧٧ ـ السابق ، ٨ / ٤٠٤ .



الفصل الرابع

الصراع في مرحلته العسكرية

١ ـ العمليات العسكرية قبل حصار بغداد

الاستعداد للمعركة الاولى .

ما ان مضى عام واحد على تولي الأمين الخلافة ، حتى بدأت تلوح في الافق علائم فشل المساعي السياسية للتفاهم بين الفريقين ، بل أن السفارات المتبادلة بينهما كرست الخلاف وزادت من حدته . ويرى بعض المحدثين أن الأمين هو الذي بدأ باتخاذ الخطوة الاولى على طريق اللجوء الى السلاح لحل الخلاف بوصفه الخليفة والرجل الاقوى والاقدر على ذلك . وان المأمون معتصم في ولايته البعيدة خراسان[١] . وأذا لم يكن ثمة باس على الخليفة أن يلجأ الى السلاح لتحقيق شرعيته وكامل سلطاته . بيد أننا نرى أن الفضل بن سهل هو الذي بدأ بالخطوة الاولى . فقد أفاد الطبري أن : « أول ما دبره الفضل بن سهل بعد ترك الدعاء للمأمون وصحة الخبر به ، أن جمع الأجناد التي كان أعدها بجنبات الري مع اجناد قد كان مكنها فيها »[٢] . فاذا ما دققنا في هذه العبارة نستشف ان الفضل اعد قواته حتى من قبل ايقاف الدعاء للمأمون الذي سبق خلعه من ولاية العهد بمدة . ويعني هذا انه هيأ قواته للقتال قبل المبايعة لموسى بن الأمين بعدة اشهر . وهو ما يعبر عن النوايا المسبقة للفضل بن سهل تجاه السلطة المركزية .

وعلى الرغم من ان خراسان قد أجدبت في عام ١٩٤ هـ/ ٨١٠م فان الفضل ابن سهل جمع المؤن من كل انحاء خراسان ، حتى ان الجيش لم يعد ينقصه اي شيء . وأقامت هذه القوات عند الري التي كانت الحد الفاصل بين منطقة عمل المأمون ومنطقة سيادة الخلافة . ثم قدم طاهر بن الحسين متولياً قيادة هذه القوات حيث اتخذ الاستعدادات اللازمة لأية مواجهة محتملة مثل وضع المسالح (نقاط

---

١ ـ شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، ١/ ٤٤٣ .

٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .

السيطرة) وبث الجواسيس وفرق الاستطلاع[٣] . كما أخذت البيعة للمأمون في الري في هذه الاثناء[٤] . وقد بلغت القوات التي حشدت في الري أربعة وعشرين الف جندي[٥] . ويمكن ان يكون هذا الحد الادنى لقوات طاهر .

وليس أربعة الاف أو خمسة الاف كما ورد في عدد من الروايات[٦] . او حتى عشرة الاف كما ورد في غيرها[٧] . لقد كان القصد من تقليل حجم جيش طاهر هذا اظهار بسالته وشجاعته ، اي انه تغلب بقوته الصغيرة على جيش علي بن عيسى بن ماهان الجرار . ولا شك أن طاهراً بن الحسين قد بذل جهوداً كبيرة في تعبئة جيشه واعداده اعداداً جيداً للمواجهة[٨] . ومن الراجح أنه لم ينس ان علياً بن عيسى هو الذي شد وثاقه يوماً الى سارية في داره عندما كان والياً على خراسان[٩] . فقد تكون هذه فرصته للانتقام لكرامته المجروحة .

أما في الطرف الآخر . فان الأمين ولى عصمة بن حماد بن سالم حرب كور الجبل وأمره بالاقامة في همذان في الف رجل[١٠] . وان يقيم مسلحة بين الري وهمذان لفرض الحصار على خراسان من جهة العراق[١١] . ويشير اليعقوبي الى ان عصمة قد امتنع عن التوغل في خراسان للقتال فيها ، لانه على حد قوله - اي عصمة - قد أخذت عليهم البيعة بعدم دخول خراسان . فاذا ما جاءه احد من المأمون ينوي القتال ، فإنه مستعد له[١٢] . غير أننا نميل الى الاعتقاد بان هذه القوة قد تكون

---

٣ - السابق ، ٨ / ٣٨٧ .

٤ - الازدي ، تاريخ ، ٣١٩ .

٥ - مجهول ، تاريخ الرهاوي ، ٢ / ٢١ .

٦ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٣٧ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٢٩٨ ، الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٩١ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٩٠ ، ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١٤ .

٧ - الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٧ .

٨ - الشابشتي ، الديارات ، ١٤٣ .

٩ - السابق ، ١٤٢ .

١٠ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٨٧ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٢٩٧ .

١١ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٠٥ .

١٢ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٣٧ .

استطلاعية وليست قتالية ، ولا سيما ان عدد افرادها كان قليلاً - الف رجل - وهي ليست كافية لخوض حرب في كور الجبال . وعليه فان الامين عندما اطلع على الاستعدادات العسكرية التي اتخذها معسكر خصومه ، سعى الى اعداد قوة قتالية جديدة لمواجهة تطورات الموقف في خراسان . حيث صدرت الاوامر الى عصمة بالانسحاب وان يضم القوة التي معه الى الجيش القادم صوب خراسان[١٣] .

تجهيز جيش علي بن عيسى بن ماهان :

قام الامين بتولية علي بن عيسى بن ماهان على خراسان وقتال قوات المأمون التي يقودها طاهر بن الحسين[١٤] . وثمة روايات تشير الى أن علياً نفسه قد طلب ذلك من الخليفة الامين على اساس ان أهل خراسان كتبوا اليه إن هو خرج لقتال المأمون ، اطاعوه وانقادوا اليه[١٥] . ويذكر الطبري ان الفضل بن سهل كتب الى احد جواسيسه في بغداد ان يسعى الى ترشيح علي بن عيسى لقيادة جيوش الامين المتوجهة لقتال طاهر ، اذا ما تم العزم في بغداد على القتال ، وذلك لسوء سيرته في خراسان واجماع اهلها على كرهه ومحاربته ، فسعى هذا الجاسوس لدى الفضل ابن الربيع ونجح في اقناعه بتولية علي بن عيسى جيوش الامين ، مذكراً بفضله في الدولة ومكانته في خراسان[١٦] . لقد اثبتت التطورات اللاحقة الخطأ الكبير الذي إرتكبه الامين في هذا الصدد .

اما القوة التي قادها علي ، فقد اختلف المؤرخون بشأن حجمها ، فهي عند بعضهم ثلاثون الفاً[١٧] . وعند عدد منهم أربعون الفاً[١٨] . وعند آخرين خمسون

---

١٣ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩١ .

١٤ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٧ .

١٥ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩٠ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٢٩٧ .

١٦ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩٨ - ٣٩٩ .

١٧ - مجهول ، تاريخ الرهاوي ، ٢/ ٢١ .

١٨ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٧ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٢٣ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٢٩٧ .

الفاً[١٩] . او حتى ستون الفاً عند بعضهم الاخر[٢٠] . وازاء هذا الاختلاف فانه ليس يسيراً تحديد حقيقة حجم هذه القوة . ويجب ان لا ننسى ان مروجي اخبار طاهر بن الحسين قد يهولون من حجم هذه القوة لتاكيد شجاعة صاحبهم طاهر . والاكثر قبولًا ان يكون تعداد هذا الجيش اربعين الف جندي . ودفعت سجلات دواوين الجند الى علي بن عيسى ليقوم باختيار الفرق التي سيتكون منها جيشه ، كما منح حرية التصرف بخصوص رواتب جنده وزيادة من رغب منهم الى الثمانين[٢١] . وفتحت امامه ابواب خزائن السلاح وبيوت المال حتى نال منها الشيء الكثير[٢٢] . تعزيزاً لقوته في مواجهة المهمة القادمة .

اورد الطبري ثلاث روايات عن توقيت شروع علي بن عيسى بالتقدم صوب خراسان وهي : لليلة خلت من شهر ربيع الآخر عام ١٩٥ هـ / كانون الثاني ٨١١ م[٢٣] ولخمس عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الاخرة عام ١٩٥ هـ / اذار ٨١١ م[٢٤] ولسبع ليالٍ خلون من شعبان عام ١٩٥ هـ / نيسان ـ مايس ٨١١ م[٢٥] ان التوقيت الاخير ليس صحيحاً ، لان هذا هو توقيت وقوع المعركة الفعلية بينه وبين طاهر[٢٦] . اما التوقيت الاول فيبدو انه تاريخ اصدار الاوامر الخاصة بتولية علي والعقد له ، ثم اتخذ معسكره الى ان تم استجماع الجيش والعدد اللازمة له . فكان الانطلاق نحو خراسان في منتصف شهر جمادى الاخرة من عام ١٩٥ هـ / اذار ٨١١ م . وعند الاستعداد للانطلاق اتى منجم الامين وطلب اليه تاخير رحيل الجيش لحين « صلاح القمر » مما في ذلك من بشائر بيد أن الامين

---

١٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٠٥ ، المسعودي ، التنبيه ، ٣١٦ ، ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١٣ .
٢٠ ـ الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٦ .
٢١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٠٥ .
٢٢ ـ السابق ، ٨ / ٣٩٠ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٢٩٧ .
٢٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٨٩ .
٢٤ ـ السابق ، ٨ / ٣٩٨ .
٢٥ ـ السابق ، ٨ / ٤٠٦ .
٢٦ ـ ابن خياط ، تاريخ ، ٢ / ٧٥٤ ، المسعودي ، التنبيه ، ٣١٦ ، الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٣٩٢ .

اجاب بقوله : « يا سعيد : قل لصاحب المقدمة يضرب بطبله ويقدم علمه ، فإنا لا ندري ما فساد القمر من صلاحه .... إنا لا نعتد بفساد القمر ، فإنا وطنا انفسنا على صدق اللقاء ومناجزة الاعداء »[٢٧] ثم قدم وصيته الى علي بن عيسى ، حيث جاء في اهم فقراتها : « امنع جندك من العبث بالرعية والغارة على اهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء ... ومن خرج اليك من جند اهل خراسان ووجوهها فاظهر اكرامه واحسن جائزته ، ولا تعاقب أخاً باخيه .... ولا تؤمن احداً رماك بسهم ، أو طعن في أصحابك برمح »[٢٨] . كما ان أم جعفر، اوصته بحسن معاملة المامون وعدم الاساءة اليه باي شكل ودفعت اليه قيداً من فضة لتقييده به اذا ما وقع في اسره[٢٩] . وتشير هذه الوصايا بالطبع الى الخلق العربي الاصيل الذي تخلق به الامين وامه زبيدة في التعامل مع خصومهم .

تقدم علي بجيشه وما رافقه من قادة . فلما وصل الى همذان ولى عليها عبد الله ابن حميد بن قحطبة[٣٠] . وكانت معه كتب موجهة الى عصمة بالانصراف مع خاصة اصحابه وضم بقية جيشه الى جيش علي . والى ابي دلف القاسم بن عيسى الانضمام اليه ايضاً . كما عقد لعبد الرحمن بن جبلة على الدينور[٣١] .

ولابد من الاشارة هنا الى ان المأمون لم يكن حتى ذلك الوقت في وضع يحسد عليه ، ويبدو أنه انفق على جيش طاهر معظم امواله التي كانت في مرو ، حتى لم يعد بمقدوره صرف مرتبات الجند الذين شغبوا يطلبون ارزاقهم فحاصروه وبدأوا باشعال النار في بعض جوانب القصر وهم يسمعونه الشتائم . في حين كان الفضل بن سهل يحثه على الصمود والصبر[٣٢] .

---

٢٧ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٠٧ .
٢٨ ـ السابق ، ٨/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ، انظر ايضاً : الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٦ .
٢٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦ .
٣٠ ـ ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٢٩٨ .
٣١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩١ .
٣٢ ـ الجهشياري ، نصوص ، ٣٩ ـ ٤٠ ، التنوخي ، الفرج ، ٢/ ٧ ـ ٨ .

سير المعركة :

تحرك علي بن عيسى من معسكره قرب نهر بين على حدود بغداد الشرقية الى همذان ، ومنها تحرك نحو الري وجيشه على التعبئة . وفي الطريق استأمن اليه نفر من جيش طاهر ، الا ان علياً أمر بضربهم بالسياط ، فلما وصل الخبر الى جيش طاهر كانت له ردود فعل سلبية زادت من الاصرار على قتال جيش علي . واستمر تقدم علي بن عيسى حتى بلغ برية تدعى مشكويه بينما تقدم جيش طاهر حتى بلغ قسطانة قرب الري باتجاه العراق . فكانت بين الجيشين سبعة فراسخ . في حين كانت المسافة بين مقدمة جيش طاهر وجيش علي فرسخين فقط[٣٣] .

كان جيش طاهر يقيم اول الامر قرب الري ، وامام تقدم جيش علي ، فإن طاهراً شاور اصحابه في امر المواجهة المرتقبة ، فأشار عليه عدد منهم ان يدخل الري ويتحصن فيها ويحارب من فوق الاسوار حتى يأتيه المدد من مرو[٣٤] . مستندين في رأيهم هذا الى ما ستقدمه المدينة من ميرة للجيش وحمايتهم من البرد . ثم ان الجند يمكنهم التحصن بالبيوت والقتال منها إن اضطروا الى ذلك ، حتى يأتي المدد[٣٥] . لكن طاهراً بن الحسين رفض هذه الفكرة خشية ميل اهل الري الى علي بن عيسى خوفاً من جيشه الكبير . فيكون ذلك خطراً كبيراً على جيشه[٣٦] . وكان رأيه ان تبقى الري خلفه ، فاذا خسر المعركة مع علي لجأ اليها وتحصن بها منتظراً المدد . موافقة القادة على ذلك ، ثم نودي في جيشه بالرحيل ، فأقام على خمسة فراسخ من الري[٣٧] . في مكان يدعى (القلوصة) ثم قام اهل الري بغلق ابواب مدينتهم[٣٨] .

وفي اثناء حركته بين همذان والري ، فان علياً التقى بعض القوافل القادمة من خراسان ، فاستطلع معهم الاخبار فأعلموه باتخاذ طاهر الاستعدادات للحرب . ثم

---

٣٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩٢ .

٣٤ ـ السابق ، ٨/ ٤٠٨ ، الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٧ .

٣٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٠٩ .

٣٦ ـ السابق ، ٨/ نفس الصفحة ، الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٧ .

٣٧ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٠٩ .

٣٨ ـ الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٧ .

التقى قافلة اخرى علم منها ان طاهراً زاد من أهبته للحرب بتوزيعه السلاح بين جنده[٣٩] . وان المدد يأتيهم كل يوم من خراسان وكورها[٤٠] . لهذا كتب علي الى ملوك الديلم وطبرستان وما جاورها واعدا إياهم بالصلات والجوائز ، وقدم لهم اثمن الهدايا بغية قيامهم بقطع طريق خراسان ومنع المدد من الوصول الى طاهر ، فأجابوه الى ذلك[٤١] .

ومن الضروري ان نشير هنا الى طبيعة التصورات التي رسمها علي بن عيسى في مخيلته عن الحدث المنتظر . لقد كان يستصغر طاهراً ولا يرى ان له اي شأن ، فلما طلب اليه صاحب مقدمته ان يبث العيون والجواسيس والطلائع ويتخذ له معسكراً يقيم فيه ويخندق على جيشه رفض ذلك . لان طاهراً ليس هو الذي يستعد له بالحيلة والمكيدة ، وانه سيكون امام احد خيارين : اما ان يتحصن بالري فيثب عليه اهلها وينتهي الامر . او ان يرجع من حيث اتى ما ان تقترب منه جيوش الخلافة[٤٢] ولما طلب منه ابنه يحيى ان يتحوط للمعركة القادة كان جوابه : « أسكت ، فإن طاهراً ليس في هذا الموضع الذي ترى ، وانما تتحفظ الرجال اذا لقيت اقرانها ، وتستعد اذا كان المناويء لها اكفاءها ونظراءها »[٤٣] . وكان يردد : « والله ما طاهر الا شوكة من أغصاني وشرارة من ناري ، وما مثل طاهر يؤمر على جيش ، وما بينه وبين الموت الا ان تقع عينه على سوادكم ، فأن السخال لا تقوى على نطاح الكباش ، والثعالب لا تقدر على لقاء الاسد »[٤٤] . لهذا فإنه لم يكن يعتقد ان طاهراً سيحاربه[٤٥] . وعلى الرغم من كل هذا فإن عامة الناس كانوا يرون ان النصر سيكون لعلي بن عيسى لما له ولجيشه من مهابة واستصغاراً لطاهر[٤٦] .

---

٣٩ ـ السابق ، نفس الصفحة .

٤٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٠٧ .

٤١ ـ السابق ، ٨ / ٤٠٨ .

٤٢ ـ السابق ، ٨ / نفس الصفحة ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٩٠ .

٤٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٠٨ ، انظر ايضاً : المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٩٠ ، الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٧ .

٤٤ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٩٠ .

٤٥ ـ السابق ، ٣ / نفس الصفحة ، الشابشتي ، الديارات ، ١٤٣ .

٤٦ ـ ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١٤ ـ ٢١٥ .

ولما اقترب علي من الري ، وايقن ان طاهراً جاد في حربه إنحاز الى جانب الري متياسراً عن الطريق الذي يسير فيه حيث نزل احد الرساتيق هناك[٤٧] . وقام بتعبئة جيشه ميمنة وميسرة وقلباً ، وجعل له عشر رايات ، تحت كل راية الف جندي . وجعل بين كل فرقة من هذه الفرق العشر والتي تليها رمية سهم . وكانت خطة القتال فيما يخص هذه الفرق ان تقاتل الاولى ، فاذا طال عليها القتال وتعبت منه تتقدم التي تليها فتنسحب الاولى حتى ترجع اليها انفاسها وتنشط للمحاربة مرة اخرى . وجعل امام الرايات اصحاب الدروع والخوذ ، وأوصى جيشه بالمبادرة لان جيش خصمه قليل العدد . ثم وقف هو في القلب مع خاصة جنده ، اما طاهر فقد جعل جيشه كراديس وكتائب ، وأوصى جيشه بالثبات[٤٨] . وهكذا اضحى الفريقان على أهبة الاستعداد للقتال في اية لحظة .

أشار اليعقوبي الى هزيمة علي بن عيسى بن ماهان من غير معركة ، اذ رصده طاهر بن الحسين في نفر يسير من اصحابه يدور حول عسكره ، فهجم عليه وتمكن منه . ثم نودي في عسكر علي ان الامير قد قتل ، مما تسبب في هزيمة الجيش واستيلاء طاهر على معسكر خصمه بما فيه[٤٩] . وهذا امر لا يمكن قبوله ، لأن الروايات أجمعت على قيام معركة شديدة بين الطرفين . وفي بدء المعركة كانت علامات النصر تلوح لصالح علي فميمنة جيشه تغلبت على ميسرة جيش طاهر ، كما أن ميسرة جيشه أزاحت ميمنة جيش طاهر من مكانها . وأمام هذا المجرى الخطير في سير المعركة قرر طاهر ان يغير من تكتيك المعركة ، فأمر قواته بتشديد الهجوم على قلب جيش عيسى[٥٠] . وقال لجنده : « اجعلوها خارجية »[٥١] ثم عمد الى صاحب العلم في جيش خصمه ويدعى حاتم الطائي فتمكن من قتله فاضطرب جيش

---

٤٧ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٩٠ .

٤٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

٤٩ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٣٧ .

٥٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤١٠ .

٥١ ـ السابق ، ٨ / ٣٩٢ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٩٠ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢٤ ، الذهبي ، العبر ، ١ / ٢٤٦ .

علي[٥٢] . ثم حمل جيش طاهر على اوائل رايات القلب فهزمهم وتراجعت الرايات . ولما رأى اصحاب ميمنة وميسرة جيش طاهر ما حل بقلب جيش علي اعادوا الكرة وشددوا الهجوم حتى لحقت الهزيمة بجيش علي الذي جعل ينادي في اصحابه للعودة الى الهجوم ، ولكن دون جدوى . ثم اصابه احد اصحاب طاهر بسهم فقتله . واستمر القتال حتى حال الليل بين الفريقين . كما نودي في اصحاب طاهر بالامان لمن وضع سلاحه . وبعد هذا النصر عاد طاهر الى الري[٥٣] . وعندما كانت الهزيمة قد نالت من جيش طاهر في اول الامر ، فانه صمد في القلب مع سبعمائة من جنده من الخوارزمية . فتقدم اليه من قلب جيش علي العباس بن الليث مولى المهدي فقصده طاهر ، ثم توجه داؤدسياه الى علي بن عيسى بن ماهان ، وقد التحم الفريقان ، فضربه ضربة قاضية[٥٤] . وهو لا يعرفه[٥٥] . فكان ذلك سبب هزيمة جيش علي وكان القتال بينهما شديداً[٥٦] . ثم كتب طاهر بالنصر الى الفضل ابن سهل[٥٧] . الذي لم يتوقع ان يأتيه النصر بهذه السهولة ، لذلك « ذهل » عند ورود الخبر اليه بالنصر[٥٨] .

لقد ترتب على هذه المعركة نتائج خطيرة ، كان ابرزها البيعة للمأمون بالخلافة في خراسان واعلان خلع محمد الامين[٥٩] . . كما قام المأمون بارسال المزيد من المدد الى طاهر بن الحسين تعزيزاً لانتصاره هذا ورفع مرتبات جنده جميعاً الى الثمانين[٦٠] . اما في بغداد فكان للخبر وقعه الخطير ، اذ ارجف الناس ، وربما نتم

---

٥٢ ـ الشابشتي ، الديارات ، ١٤٣ ـ ١٤٤ .

٥٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

٥٤ ـ السابق ، ٨/ ٣٩٣ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٩٠ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٤ .

٥٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩٣ ، الشابشتي ، الديارات ، ١٤٤ .

٥٦ ـ المسعودي ، التنبيه ، ٣١٦ ، ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١٤ ، ابو الفدا ، المختصر ، ٢/ ١٩ .

٥٧ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤١٥ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٩١ .

٥٨ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٧ .

٥٩ ـ ابن خياط ، تاريخ ، ٢/ ٧٥٤ ، الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٣٩٤ ، ٤١١ .

٦٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤١٥ .

الامين على ما بدر منه من محاربة المأمون . في حين رأى عدد من قادة الجيش ان ذلك فرصة مواتية لابتزاز الخليفة ، فشغب الجند وطلبوا مزيداً من المال ، ثم خرج اليهم عبد الله بن خازم مع جنده وفرق من البدو كانوا معه لمقاتلة المشاغبين . واشتد القتال بين الفريقين . ولما سمع الامين بالقتال وعرف سببه امر عبد الله بن خازم بالانصراف ومنح الجند المشاغبين ارزاق أربعة اشهر . ورفع من كان دون الثمانين الى الثمانين ، ومنح الصلات والهدايا الى قادتهم(٦١) . ويعبر هذا الموقف عن اللامبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية الذي مارسه بعض قادة الامين في مثل تلك الظروف ، الامر الذي لابد ان يفرز مضاعفات سلبية في غير صالح الخليفة .

وحال الانتهاء من المعركة تقرر توجيه هرثمة بن أعين الى طاهر بن الحسين ، ليستلم منه ما استولى عليه من مناطق . فأقام في حلوان ووضع في طرقها وجبالها المسالح والارصاد ، في حين توجه طاهر نحو الاحواز(٦٢) . كما وجه الفضل بن سهل (زهير بن المسيب) على طريق كرمان التي اخذها متوجهاً نحو البصرة(٦٣) .

توجيه الحملة الثانية :

ما إن بلغ الامين خبر هزيمة علي ومقتله ، حتى سارع الى تجهيز حملة ثانية بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الابناوي(٦٤) . وتألفت هذه الحملة من عشرين الف جندي من الابناء وجهزه بالاموال والسلاح والخيل . ثم ولاه حلوان الى كل ما يغلب عليه من ارض خراسان وامره : بالاسراع في المسير ، وتقليل فترات الراحة وان يسبق طاهراً الى همذان ويخندق على جيشه هناك ، وترك ما عمل به علي من الاغترار وان يحترس ويتحفظ . فسارع عبد الرحمن حتى دخل همذان واتخذ فيها جملة من

---

٦١ ـ السابق ، ٨ / ٤١٢ .

٦٢ ـ مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢٧ ، انظر ايضاً : ابن خياط ، تاريخ ، ٢ / ٧٥٤ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٢٥ .

٦٣ ـ ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٨٥ .

٦٤ ـ تشير بعض المصادر الى انه الانباري وان جنده من الانبار وليس الابناء ، انظر مثلاً : مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢٦ .

الاجراءات العسكرية اللازمة مثل تحصين الاسوار والابواب وسد ثلمات السور وحشر التجار والصناع اليها ، ثم جهز جيشه بما يحتاج من المؤن والات الحرب . واستعد للقاء قوات طاهر[٦٥] .

ومن ناحية اخرى فان يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان ، الذي نجا من الموت في معركة ابيه مع طاهر ، أقام بين الري وهمذان ، وكان يعيد تجميع وتنظيم فلول قوات ابيه المنهزمة . وقد اعتقد ان الامين سيوليه مكان ابيه ، الى ان بلغه تولية عبد الرحمن بن جبلة ، وكان قد كتب الى الامين يطلب المدد والمعونة ، فأجابه انه ارسل عبد الرحمن بن جبلة ، وامره بالمقام في مكانه . لكنه انضم الى عبد الرحمن بعد مدة من الزمن[٦٦] .

اما طاهر بن الحسين ، فكان يريد مواجهة عبد الرحمن ، لكنه خشي من عامل الامين على قزوين ويدعى كثير بن قادرة ان يتركه خلفه ، فتوجه في الف فارس والف راجل ، فلما رأى ذلك كثير بن قادرة تخلى عن قزوين واستولى عليها طاهر دون قتال ، ثم وضع فيها قوة من جنده وولاها احد اصحابه وامره بمحاربة كل من يريد دخولها من اصحاب عبد الرحمن[٦٧] . ثم توجه طاهر الى همذان ، وبالقرب من ابوابها دارت رحى معركة ضارية بين الجيشين ، حيث لم يتمكن جيش عبد الرحمن من الصمود كثيراً للقتال فانسحب الى داخل مدينة همذان[٦٨] .

وفي هذه المدينة اقام جيش عبد الرحمن حتى التامت جراح الجند واستعد للقتال مرة اخرى . فالتحم الفريقان في معركة ثانية ، كان القتال فيها شديداً ايضاً . ولم تفلح كل محاولات عبد الرحمن في حث جنده على الصمود والمطاولة اكثر . حتى انه نزل للقتال بنفسه ، لكن جيشه انسحب من ميدان المعركة مرة اخرى ودخل همذان ثانية[٦٩] . ففرض طاهر الحصار على المدينة حتى تاذى اهلها ، في حين كان

---

٦٥ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤١٢ - ٤١٣ ، انظر ايضاً : ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٢٩٩ .

٦٦ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤١٣ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٥ - ٣٢٦ .

٦٧ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤١٥ - ٤١٦ .

٦٨ - السابق ، ٨/ ٤١٣ - ٤١٤ ، الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٨ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٢٩٩ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٦ .

٦٩ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤١٤ .

عبد الرحمن يخرج للقتال كل يوم على ابواب المدينة ، وفرق من جنده ترمي جيش طاهر بالحجارة من على الاسوار . فمنع طاهر المؤن من دخول المدينة . وخشي عبد الرحمن ان يثب عليه اهل المدينة ، تحت طائلة الحصار ، فبعث الى طاهر يطلب منحه الامان ، فأمنه[٧٠] . وفتحت ابواب المدينة وتداخل الجيشان مع بعضهما سلمياً ، ثم عسكر طاهر بناحية اسد آباذ[٧١] . وفي هذه الاثناء ارسل الخليفة الامين المدد الى جيش عبد الرحمن بن جبلة تحت قيادة عبد الله واحمد ابني الحرشي ومعهما عدد كبير من الفرسان ، على ان يقيما بقصر اللصوص على مقربة من عبد الرحمن ، وان يمداه بالعون إن طلب ذلك[٧٢] .

واستغل عبد الرحمن الابناوي الهدوء الذي خيم على ميدان القتال وحالة الاطمئنان التي آل اليها طاهر بن الحسين وجيشه فباغتهم . وصمد رجالة جيش طاهر الى ان تمكن الفرسان من اخذ مواقعهم . واشتد القتال للمرة الثالثة بين الطرفين . فانهزم جيش عبد الرحمن ، في حين ترجل هو للقتال مع فئة قليلة من جنده ، فقاتل حتى قتل ورفض الهرب على الرغم من ان ذلك كان متاحاً له . واستبيح عسكره . وانتهت فلول جيشه الى معسكر عبد الله واحمد ابني الحرشي . فدخلهم الوهن والضعف ، فانهزم جيشهما دون ملاقاة احد . واصبحت الان الطرق سالكة امام قوات طاهر ، فتقدم ونزل قرية من قرى حلوان تدعى شلاشان[٧٣] . وكان ذلك في ذي القعدة من عام ١٩٥ هـ/ ٨١١ - ٨١٢ م[٧٤] .

اقام طاهر بحلوان حتى قدم عليه هرثمة بن اعين من عند المأمون حيث انحدر نحو البصرة والاحواز . في حين اخذ هرثمة بالتقدم بطيئاً نحو بغداد[٧٥] .

---

٧٠ - السابق ، ٨/ ٤١٤ - ٤١٥ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٢٩٩ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٦ .

٧١ - الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٨ .

٧٢ - الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤١٦ .

٧٣ - السابق ، ٨/ ٤١٦ - ٤١٧ ، انظر ايضاً : الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٩ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٦ - ٣٢٧ .

٧٤ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٤٣٨ .

٧٥ - الدينوري ، الاخبار ، ٣٩٩ .

الحملة الثالثة :

بعد ورود الانباء بمقتل عبد الرحمن بن جبلة الابناوي ، ارسل الفضل بن الربيع الى اسد بن يزيد بن مزيد . وطلب اليه تولي قيادة الجيوش المزمع ارسالها مرة اخرى لمقاتلة طاهر بن الحسين . غير ان اسداً كان له مطالبيه الخاصة المتمثلة بـ : منح جنده ارزاق ستة اشهر مقدماً . وان يحمل معه ارزاق سنة ايضاً . ويضم الى خاصته اشخاصاً اخرين من اهل البأس والقوة . وابدال المقاتلين المصابين بعاهات مزمنة والضعفاء بعناصر شابة جديدة . وان يجهز بالف فرس اخرى لجنده . كما اشترط ان لا يسأل ولا يحاسب عما يفتح من البلاد والمدن . غير ان الفضل رأى في ذلك اشتطاطاً ومجاوزة للحد . وانه لابد من عرض ذلك اولًا على الخليفة للبت فيه . وعند مقابلته الخليفة اضاف اسد الى شروطه هذه ان يدفع الامين اليه ولدي المأمون رهينة عنده . لكن هذا الشرط الاخير اثار غضب الخليفة وسخطه ، فضلًا على ما في الشروط السابقة من تجاوز وتماد غير معقول ، فأمر بحبسه[٧٦] .

وسأل الامين عما اذا كان في اسرة اسد من يقوم مقامه ، لانه لا يريد اثارة ضغينة هذه الاسرة لسابقتها في الدعوة ، فدلوه على عمه احمد بن مزيد . فطلب ان يحضروه امامه[٧٧] . وعرض عليه قيادة جيوشه ، فوافق على ذلك ، ودفعت اليه سجلات دواوين الجند ليختار منها عشرين الف جندي . ثم اوصاه الخليفة بوصايا تدلل على شهامته وحسن خلقه ، منها : « اياك والبغي ... ولا تشهر سيفاً الا بعد اعذار ... واحسن صحابة من معك من الجند ... ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفة عندي ولا تستبقها فيما تتخوف رجوعه علي .... »[٧٨] كما وجه الامين حملة اخرى بقيادة عبد الله بن حميد بن قمطبة في عشرين الفاً من الابناء على ان يسير الجيشان سوية للنزول بحلوان ، والتصدي لقوات طاهر . فنزلا بخانقين استعداداً للحرب .

---

٧٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤١٨ ـ ٤٢٠ ، انظر ايضاً : الجهشياري ، الوزراء ، ٢٩٤ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢٧ .

٧٧ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

٧٨ ـ السابق ، ٨ / ٤٢١ ـ ٤٢٢ .

وقد اوصاهما الامين باتفاق الكلمة والاستظهار في حرب طاهر[٨٠] .

اما طاهر بن الحسين فقد لجأ الى الخداع في تفتيت هذه الحملة . فبث جواسيسه وعيونه في العسكرين لنشر الشائعات والاراجيف عما يجري في بغداد . وان الامين زاد العطاء لاصحابه ومنحهم كذا وكذا . ثم عمل على زرع الفرقة والاختلاف بينهما حتى اوصل الامر حد الاقتتال بينهما . ورجع الجيشان دون قتال مع طاهر[٨١] . وفي هذه الاثناء بالذات وصلت قوات هرثمة الى حلوان التي كان قد دخلها طاهر من قبل[٨٢] .

تقدم طاهر بن الحسين :

وبعد دخول هرثمة الى حلوان ، تركها طاهر بن الحسين متقدماً نحو الاحواز ، التي كان عليها محمد بن يزيد بن حاتم المهلبي من قبل الامين . وقرب الاحواز شجرت بين الفريقين معركة حامية قتل فيها محمد بن يزيد في استماتته للدفاع عن المدينة التي دخلها طاهر واقام بها حتى وزع عماله على كورها[٨٣] . كما وجه منها عماله الى اليمامة والبحرين وعمان . ثم تقدم على طريق البر نحو واسط ، ووجه احد قادته نحو الكوفة التي استسلمت له . واستمر طاهر في تقدم حتى نزل المدائن ، وانهزم ما كان فيها من قوات للامين ، ومن المدائن تحرك طاهر نحو صرصر واقام فيها[٨٤] .

في هذه الاثناء ، فكر بعض مساعدي الخليفة بضرورة الاستعانة بقوات جديدة لمواجهة طاهر بن الحسين ، لم تكن قد لقيت الهزيمة على يديه بعد . لان قوات الامين ما عادت قادرة على تحقيق اي نصر على طاهر بعد الهزائم المتتالية التي

---

٨٠ ـ مجهول ، العيون ، ٣ / ٤٢٧ .

٨١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٢٣ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢٧ ، انظر ايضاً : ابو الفدا ، المختصر ، ٢ / ١٩ ـ ٢٠ .

٨٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٢٣ .

٨٣ ـ ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٣٠٠ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٠ .

٨٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٤٢٥ ـ ٤٢٨ .

الحقها بها ، حيث ترتب على هذه الهزائم حالة من الانكسار النفسي لم يكن سهلًا تجاوزها . لذا فان عبد الملك بن صالح اقترح على الامين الاستعانة بأهل الشام ، فهم على حد وصفه ذوو خبرة قتالية جيدة فضلًا عن انقيادهم له . وعلى هذا الاساس ولاه الخليفة الشام والجزيرة ومده بالمال اللازم وحثه على سرعة التوجه الى عمله وعززه بالجند ولا سيما الابناء . ومن الرقة انفذ عبد الملك رسله وكتبه الى رؤساء القبائل ووجوه اهل الشام والجزيرة . فتوافد عليه الناس من كل مكان . ولكن يبدو ان العصبية التي كانت تعتمل في دواخل نفوس اهل الشام فعلت فعلها ، فعلى اثر مشكلة تافهة وقعت بين اثنين من الجند ثارت العصبية والفتنة وانتهى الامر بتشتت الجمع وتفرقه . ويبدو عبد الملك نفسه لم يحتمل الصدمة فتوفي في السنة نفسها[٨٥] .

انقلاب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان :

كان الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان احد القادة الذين رافقوا عبد الملك بن صالح في مهمته الى الشام لاعداد الجيش الجديد . وقد يكون رأى في الامر اغاظة له . لان استحداث فرق جديدة يعني ان الثقة والامل بالفرق القديمة ، وهم الابناء بشكل عام ، باتا ضعيفين . لهذا ما ان ثارت الفتنة وتشتت الجمع حتى حمل الحسين بن علي الرجالة من جيشه على متن السفن والفرسان على خيوله وعاد مسرعاً الى بغداد في رجب من عام ١٩٦ هـ/ اذار- نيسان ٨١٢ م[٨٦] .

في بغداد استقبل الحسين بالتعظيم من القادة والجند والاشراف ووجوه اهل بغداد ، ثم بعث اليه الامين يطلبه للمقابلة ، بيد انه أجاب رسول الخليفة بفضاضة بقوله : « ما انا بمغنٍ ولا بمسامر ولا مضحك ، ولا وليت له عملًا ولا جرى له على يدي مال ، فلأي شيء يريدني في هذه الساعة ، إنصرف فإذا اصبحت غدوت اليه ان شاء الله »[٨٧] . ويشير هذا الجواب الى النية التي تبلورت في نفسه وعقد عليها

٨٥- الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٢٥ - ٤٢٨ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٨

٨٦- الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٢٨ .

٨٧- السابق ، ٨/ نفس الصفحة .

العزم وهي العصيان والتمرد ، وقد يكون فكر بذلك منذ وجوده في الشام . كما لا يستبعد اسهامه في خلق الفتنة في الشام لافشال المهمة التي كلف بها عبد الملك هناك . فتوجه في صباح اليوم التالي لقدوم الرسول عليه الى باب الجسر واعلن من هناك تمرده على الخليفة . وبعد ان القى خطبة بالجموع المحتشدة من حوله امرهم بعبور الجسر ، وقد اجتمع اليه ناس كثيرون من مختلف ارباض وأحياء الجانب الغربي . حيث وقع الصدام بين هذه الجماعات وبين حرس الخليفة وهم قوات من البدو . وبعد قتال شديد سيطر الحسين على قصر الخلد ومنه اعلن البيعة للمأمون[٨٨] . كما قام باعتقال الخليفة وامه وابنائه وسجنهم في احد ابراج المدينة المدورة[٨٩] . وكان للعباس ابن موسى بن عيسى دور رئيس في اعتقال الخليفة ووالدته والاساءة اليها في المعاملة[٩٠] .

ومثلما هي عادة الجند عند حصول اي تغيير في السلطة ، فإنهم طالبوا الحسين ابن علي بارزاق جديدة ، فلم يكن لديه ما يعطيهم ولا يعرف كيفية التصرف في مثل هذا الموقف . فاستغل هذا الموقف بعض قادة الابناء ممن بقوا على ولائهم للخليفة الشرعي فحرضوا الناس والجند ضد الحسين ، حيث تم اسره . ودخل أسد الحربي ، احد قادة الجند على الامين وأخرجه من حبسه وجدد له البيعة واعاده الى مجلس الخلافة[٩١] . ونتيجة لتحلي الامين بخلق العفو والكرم والتسامح ، فإنه عفا عن الحسين ، غير انه أخطأ بتوليته قيادة جيش يتوجه به الى حلوان واطلاق يده بصلاحيات واسعة . فقد اعلن الحسين تمرده ثانية وهرب مع جماعة من خاصته قاصداً هرثمة بن أعين . الا ان بعض الجند لحقوا به وقبضوا عليه على مسافة من

---

٨٨ ـ السابق ، ٨ / ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

٨٩ ـ ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٨٥ ، ابن خياط ، تاريخ ، ٢ / ٧٥٦ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٢٥ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢٨ ، ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١٥ .

٩٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٢٩ .

٩١ ـ ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٨٥ ، الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ، المسعودي ، التنبيه ، ٣١٧ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢٨ ، ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١٥ .

بغداد وقتل هناك[٩٢] . وكان مقتله للنصف من رجب عام ١٩٦ هـ / ٢ نيسان ٨١٢ م[٩٣] .

في هذه الاثناء بالذات ، وفي هذه الساعات الحرجة من الازمة التي كان يواجهها الخليفة ، قرر وزيره الفضل بن الربيع الهرب والاختفاء متخلياً عن خليفته الامين بصورة نهائية[٩٤] . ويرى الجهشياري انه قرار الفضل هذا يعود الى انه ادرك قوة المأمون وضعف أمر الأمين وتخلي الناس عنه ونفاد الاموال التي معه[٩٥] . فاتخذ موقفه الانتهازي هذا بالاختفاء عن مسرح الاحداث .

ويظهر ان الامين اراد ان يرمي بسهم آخر في حربه الضروس مع قوات المأمون فجهز حملة اخيرة في شهري رجب وشعبان من عام ١٩٦ هـ / اذار نيسان ٨١٢ م تألفت من اربعمائة لواء . وجعل على رأس هذه الحملة علي بن محمد بن عيسى بن نهيك ، وامره بالمسير نحو هرثمة بن أعين . وفي شهر رمضان / مايس - حزيران التقى الفريقان عند قرية جللتا على مقربة من النهروان . حيث الحقت الهزيمة بقوات الامين واسر قائد الحملة نفسه ، الذي ارسل الى المأمون ، في حين استمر هرثمة بتقدمه حتى بلغ النهروان[٩٦] .

التقدم نحو بغداد :

كان طاهر بن الحسين قد اقام على نهر صرصر وعسكر هناك مستعداً للجولة الاخيرة في تقدمه نحو بغداد . حيث تمكن من الحاق الهزيمة مزات عديدة بقوات الامين التي كانت تتعرض له في معسكره هناك من حين لاخر فقرر الامين ان يعمد

---

٩٢ - ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٨٥ - ٣٨٦ ، الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٣٠ - ٤٣١ ، المسعودي ، التنبيه ، ٣١٧ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢٨ .

٩٣ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٣٢ .

٩٤ - السابق ، ٨ / نفس الصفحة .

٩٥ - الجهشياري ، الوزراء ، ٣٠١ - ٣٠٢ .

٩٦ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٤١ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٢٥ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٢ .

الى اسلوب آخر ، وذلك باستمالة قوات طاهر عن طريق اغداق الاموال والهبات على كل من يستأمن اليه من قوات طاهر ، حتى بلغ عدد من قدم اليه منهم نحواً من خمسة آلاف جندي ، حيث وعدهم ومناهم واثبت اسماءهم في الثمانين . كما وجه كتبه ورسله الى بعض قادة طاهر بن الحسين يرغبهم بالعطاء الوفير حتى شغبوا عليه واستأمنوا الى الامين الذي جعل منهم جيشاً ووجههم للقاء طاهر غير انه تمكن من الحاق الهزيمة بهم ونهب معسكرهم ايضاً(٩٧) . ولم ييأس الامين فأمر بزيادة العطاء واخرج كل ما في خزائنه من اموال وامر بمنح خمسمائة درهم لكل واحد من القادة الجدد مع قارورة من الغالية ، في حين لم يعط القادة والجند القدامى شيئاً ، فأثار ذلك الشغب على الامين في شهر ذي الحجة من عام ١٩٦ هـ / آب - ايلول ٨١٢ م فأمر جنده الجدد (المستأمنين) بمقاتلتهم ، فاضطربت الاوضاع في بغداد ، واخذ طاهر بمراسلة بعض قادة الامين فأخذ منهم رهائن على ان يقدموا له الطاعة مقابل منحهم الامان والمال . ثم تقدم جيشه حتى نزل البساتين التي قرب باب الانبار في حدود منتصف شهر ذي الحجة / وهناك التحق به من هرب من جند وقادة الامين ، وجعلهم طاهر في الثمانين جميعاً وزاد في العطاء للقادة والخاصة ولابنائهم(٩٨) .

وثار الشعب مرة اخرى في بغداد وهرب اهل السجون ، وأصبحت الحالة الاجتماعية في تدهور مستمر ، كما برز دور الفئات الاجتماعية المسحوقة مثل العيارين والشطار ، وكان ذلك اول بروز واسع لقوتهم ، فأثاروا الرعب والاضطراب في الحياة العامة في بغداد . وتدهورت احوال الناس ، في حين كانت الاوضاع في معسكر طاهر تسير بانتظام . الامر الذي دفع الناس الى الهرب اليه(٩٩) . وهكذا اصبحت بغداد بين فكي كماشة احد طرفيها يمثله هرثمة بن اعين الذي تقدم نحو الجانب الشرقي من بغداد . ويمثل طرفها الاخر طاهر بن الحسين الذي اقام بقواته على بعض اطراف الجانب الغربي من بغداد

---

٩٧ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٤٢ .

٩٨ - السابق ، ٨ / ٤٤٢ - ٤٤٣ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٠٠ .

٩٩ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٤٣ - ٤٤٤ .

٢ ـ الاوضاع في بقية اقاليم الدولة

في هذه المرحلة من الصراع بين الطرفين ، بدأت انعكاسات هذا الصراع تظهر في الاقاليم الاخرى التابعة للدولة ، وهو امر متوقع ولابد منه . حيث سعى الامين الى تعزيز مكانته وسلطته في هذه الاقاليم في وقت سعى فيه المأمون الى كسب ولاء هذه الاقاليم لصالحه . ولابد ان نشير هنا الى ان انتصارات جيش المأمون كان لها وقع خطير واثر حاسم في رسم ابعاد الموقف في تلك الاقاليم وجرها لصالح المأمون . ولا سيما الاقاليم التي تمر فيها او بالقرب منها قوات المأمون ، سواء التي كانت منها بقيادة طاهر بن الحسين او غيره من القادة الآخرين .

ففي الموصل ومنذ عام ١٩٥ هـ / ٨١١ م بدأ نفوذ السلطة المركزية يضعف فأجتمع اهل المدينة على علي بن الحسن الهمذاني ليتولى أمر الاشراف على المدينة وعلى اجراءات الحماية والدفاع عنها[١٠٠] . وفي عام ١٩٦ هـ / ٨١٢ م كان الوالي الرسمي على المدينة المطلب بن عبد الله الخزاعي الذي اعلن ولاءه للمأمون وأخذ البيعة له على اهلها وجندها[١٠١] . اما في جنوب العراق ، فأن طاهراً وجه احد قادته الى الكوفة ، في اثناء تقدمه صوب بغداد ، وكان عليها العباس بن موسى الهادي ، الذي سارع الى خلع الامين حال سماعه باخبار تقدم هذه القوة نحوه . وكتب بطاعته الى طاهر واعلن بيعته للمأمون[١٠٢] . وفي البصرة فان عاملها منصور بن المهدي كتب هو الاخر بطاعته الى طاهر والبيعة للمأمون[١٠٣] . وكان عون بن جمهان السعدي قد خرج فيها داعياً للمأمون[١٠٤] . اما الاحواز فان طاهر بن الحسين قد استولى عليها عسكرياً ، اذ كان عليها محمد بن يزيد المهلبي ، الذي نزل بجيشه في جندي سابور لمنع طاهر من التقدم نحو الاحواز ، لكن اضطر للعودة اليها

---

١٠٠ ـ الازدي ، تاريخ ، ٣٢٤ .

١٠١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٣٦ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٢٥ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٠ .

١٠٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٣٥ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٠ .

١٠٣ ـ ابن خياط ، تاريخ ، ٢ / ٧٥٦ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٢٥ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٠ .

١٠٤ ـ ابن خياط ، تاريخ ، ٢ / ٧٥٦ .

حيث اشتد القتال بينهما على اطرافها وانتهى بمقتل محمد ودخول طاهر مع جيشه المدينة[١٠٥] . ومن الاحواز وزع طاهر عماله على كورها . كما قام بتوجيه عماله الى اليمامة والبحرين وعمان[١٠٦] .

اما في الحجاز ففي عام ١٩٦ هـ / ٨١٢ م ادرك داود بن عيسى ابن موسى طبيعة الموقف الذي ترتب على الانتصارات المتلاحقة لقوات طاهر بن الحسين لذا فانه جمع اهل مكة ومن فيها من الفقهاء واعلن فيهم خلع الامين والبيعة للمأمون . ثم كتب الى ابن سليمان ، خليفته على المدينة ، ان يفعل مثل فعله ، ففعل[١٠٧] .

•وفي اليمن فان ضعف السلطة المركزية قاد الى اضطراب الاوضاع فاستولى على السلطة فيها احد احفاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١٠٨] . ثم ان طاهر بن الحسين وجه اليها يزيد ابن جرير بن خالد بن عبد الله القسري والياً عليها ، فدعى اهلها الى البيعة للمأمون وخلع الامين ، وقرأ عليهم كتاب طاهر بذلك فأجابوه[١٠٩] . كما بايع اهل مصر للمأمون على يد عباد بن محمد[١١٠] . وكان الامين قد وجه اليها جابر بن الاشعث في عام ١٩٥ هـ / ٨١١ م وكان ليناً في سياسته محبباً لدى عامة الناس . ثم اختلفت اراء الناس حيث انقسموا بين موال للامين وموال للمأمون . وكتب المأمون اليهم يدعوهم الى طاعته ، ثم استولى عباد بن محمد على مقاليد الامور في مصر ومنح الجند رزقاً يسيراً فبايعوا للمأمون في جمادي الاخرة من عام ١٩٦ هـ / شباط ـ اذار ٨١٢ م ولم تفلح محاولات الامين في اعادة سيطرته على الاوضاع هناك[١١١] .

واضطربت الاوضاع في الشام على إثر وفاة عبد الملك بن صالح ، وصار الناس فيها فريقين ، فريقاً يدعو للامين وآخر يدعو للمأمون ، حتى لم تكن هناك مدينة الا

---

١٠٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٣٢ ـ ٤٣٤ .

١٠٦ ـ السابق ، ٨ / ٤٣٥ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٠ .

١٠٧ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ، مجهول ـ العيون ، ٣ / ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

١٠٨ ـ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق : عبد السلام هارون القاهرة ١٩٦٢ ، ١٥٤ .

١٠٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٤١ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣١ .

١١٠ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٤٠ .

١١١ ـ الكندي ، ولاة ، ١٧٤ ـ ١٧٦ .

نشب القتال فيها على هذا الاساس[١١٢] . كما لم تخل بغداد نفسها من الاضطرابات في مثل تلك الظروف العصيبة ، اذ قام محمد بن ابي خالد ، أحد قادة الابناء ، بعد ان بلغه ان الامين قد عزم على قتله ، فجمع اليه الحربية والابناء ووثبوا بالامين ، فوجه اليهم من يصدهم فجرت معركة حامية عند باب الشام[١١٣] . وسبقت الاشارة الى انقلاب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان . مما يشير الى طابع الاضطراب وعدم الاستقرار الذي ساد بغداد في هذه الحقبة .

وبهذه الصورة نجد ان الاوضاع بدأت تضطرب في أقاليم الدولة كلها وتتحول نحو الولاء للمأمون . ويعود ذلك بالدرجة الرئيسة لرجحان قوته العسكرية متمثلة بانتصارات طاهر بن الحسين . ولا ريب ان تنعكس هذه الحالة على الامين الذي لم يجد في اقاليم الدولة قوة حقيقية تساعده وتسانده في صراعه هذا . الامر الذي ادى الى مزيد من الضعف في موقفه امام خصومه الذين كانت قوتهم تزداد باستمرار .

٣ ـ حصار بغداد ومقتل الخليفة الامين

الشروع في فرض الحصار العسكري على بغداد :

ذكرنا ان قوات طاهر بن الحسين اصبحت تقيم في بعض ضواحي بغداد القريبة ولا سيما في البساتين الواقعة قرب باب الانبار واعتباراً من ذي الحجة عام ١٧٦ هـ / ٧٩٤ م .

ويعني هذا من الناحية العملية بدء الخطوة الاولى في فرض الحصار العسكري على بغداد ، ثم استكمل الحصار بمقدم قوات اخرى . حتى اصبحت المدينة محاصرة من قبل ثلاث مجاميع من القوات العسكرية هي : قوة طاهر بن الحسين وقوة هرثمة بن أعين وقوة زهير بن المسيب[١١٤] .

تمركزت قوات طاهر تحديداً في الجهات الجنوبية الغربية من الجانب الغربي

---

١١٢ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .

١١٣ ـ السابق ، ٢ / ٤٣٨ .

١١٤ ـ ابن خياط ، تاريخ ، ٢ / ٧٥٧ ، الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٤٥ ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي (النجف : ١٩٦٩) ١ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، الذهبي ، العبر ، ١ / ٢٥٠ .

في مناطق الياسرية وباب محول والكناسة[١١٥] . ثم نقل طاهر مركز ثقله الرئيس بعد ذلك الى منطقة قريبة من باب الانبار . حيث كانت منطلقاً لفعالياته العسكرية تجاه انحاء بغداد الاخرى[١١٦] . اما هرثمة بن اعين فكان قد تحرك من حلوان الى النهروان ومنها الى نهر بين على بعد فرسخ او فرسخين من بغداد[١١٧] وهناك خندق على نفسه وبنى حائطاً يحمي قواته ثم نصب المجانيق والعرادات باتجاه الجانب الشرقي من بغداد[١١٨] . ثم ارسل احد قادته وهو عبيد الله بن الوضاح ، مع فرقة من الجيش للنزول في الجهة الشمالية من الجانب الشرقي عند باب الشماسية[١١٩] . كما ارسل هرثمة بن اعين قوة تحت قيادة زهير بن المسيب الذي نزل منطقة تدعى الماطر قرب كلواذى في الجهة الجنوبية من الجانب الشرقي . ونصب هو الاخر المجانيق والعرادات ، حتى تاذى به الناس كثيراً . وخندق على نفسه ايضاً[١٢٠] ولابد ان نشير هنا الى نفاد الاموال التي كانت مع طاهر بن الحسين ، وقد كتب بذلك الى المأمون ، ولم يكن يمتلك هو الاخر ما يعينه به وكتب اليه ان يقترض الاموال اللازمة له[١٢١] .

ومنذ ان بدأ الحصار العسكري على بغداد ، فأنه تم التضييق عليها اقتصادياً ايضاً . اذ ان زهير بن المسيب كان يعشر - اي يأخذ العشر - اموال التجار ويفرض الضرائب على السفن القادمة من البصرة وواسط الى بغداد[١٢٢] . وكان هذا الحصار الاقتصادي يشتد في الاوقات التي يتضرر فيها طاهر بن الحسين عسكرياً . فبعد الخسارة التي لحقت به في وقعة قصر صالح مثلًا منع التجار من ادخال الدقيق وغيره من المواد الغذائية من ناحيته الى المدينة المدورة والشرقية والكرخ من محال بغداد . كما امر بصرف السفن القادمة من البصرة وواسط الى الفرات عبر طرقايا وتحويلها منه - اي الفرات - الى المحول الكبير ثم الى نهر الصراة ومنه الى خندق باب

---

١١٥ - المسعودي ، ، مروج ، ٣ / ٣٩٩ .

١١٦ - السابق ، ٣ / ٤٠٠ - ٤٠١ .

١١٧ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٤٠ .

١١٨ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٤٦ ، ٤٦٤ .

١١٩ - السابق ، ٨ / نفس الصفحات .

١٢٠ - السابق ، ٨ / ٤٤٥ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٠٢ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٢ .

١٢١ - ابن خلكان ، وفيات ، ٢ / ٥١٩ .

١٢٢ - الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٤٥ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٢٣ .

الانبار . ثم يأخذ على كل سفينة ما بين الالف الى الثلاثة الاف درهم . واتخذت اجراءات مماثلة على الطرق المؤدية الى بعض الاحياء والمحال في داخل بغداد نفسها . مما ادى الى ارتفاع الاسعار حتى اشتد الغلاء على الناس[١٢٣] . وبلغ ارتفاع الاسعار حداً كبيراً ، حتى كان ثمن الخبز في المناطق التي يستولي عليها طاهر بن الحسين عشرين رطلًا بدرهم ، في حين كان سعره في المناطق التي لا تزال تحت سيطرة قوات الامين رطلًا واحداً بدرهم ، فتسبب هذا الامر في تفشي الجوع في المدينة[١٢٤] . وكان هدف طاهر من سياسة التضييق والحصار الاقتصادي ، الاستيلاء على بغداد بأقل الخسائر البشرية من جانبه .

الصدامات المسلحة بين الطرفين :

كان لابد ان ينشب صراع مسلح ومحتدم بين قوات طاهر بن الحسين ، التي تحاصر بغداد ، وبين قوات الامين المحاصرة ، داخل المدينة . وكان القتال بينهما يومياً تقريبياً ولمدة تزيد قليلًا على السنة . ومع ان المصادر زودتنا بمعلومات تفصيلية عن بعض جوانب هذا القتال . الا انها كانت مقترة في احيان اخرى في تقديم مثل هذه المعلومات ، فضلًا عن ان معظم هذه المعلومات غير مؤرخة تفصيلياً . الامر الذي يجعل ترتيب الاحداث امراً صعباً . لهذا كان لابد ان نأخذ بالترتيب الذي اعتمده الطبري بصورة رئيسة لوضع تسلسل لمجريات الاحداث ، على الرغم من انه يبدو غير واف .

في الايام الاولى من القتال كان استخدام المجانيق والعرادات التي ترمي الحجارة او النيران على العدو ، الصفة المميزة لهذا القتال . وهو امر كان له تأثيره السيء في المدينة التي لحقها بهذا السبب الكثير من الخراب والتدمير . كما انه ومنذ الايام الاولى للحصار كانت الاوضاع تتجه لصالح طاهر بن الحسين . ولهذا كان هناك دوماً الكثير ممن ينحاز اليه من اصحاب الامين . وكان من بين هؤلاء سعيد بن مالك بن قادم ، حيث ولاه طاهر امر القتال في محلة البغيين والاسواق وشاطىء دجلة القريب منها الى الجسور التي في منطقته هذه . وامره بحفر الخنادق وبناء الحيطان في كل منطقة يستولي عليها . ومده بالاموال والسلاح والفعلة . كما امر باتخاذ

---

١٢٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٦٠ ـ ٤٦١ .

١٢٤ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٠٧ .

الثوائب ـ الحراسات ـ في هذه المناطق لحمايتها باستمرار . واتخذت اجراءات مماثلة في مناطق دار الرقين وباب الشام ، الامر الذي تسبب في تأكيد طابع الخراب الذي اصاب المدينة[١٢٥] . اما المناطق التي بقيت خارج سيطرة طاهر ، فكان اهمها : المدينة المدورة والكرخ والخلد وما يجاورها . حيث دعاها طاهر بـ(دار النكث)[١٢٦] .

اما الامين فقد اتخذ اجراءات مماثلة ايضاً ، اذ امر بحفر الخنادق وبناء الحيطان في المناطق التي تحت سيطرته[١٢٧] . وارسل طاهر الى المناطق التي خارج سيطرته والمحصورة بين باب الكوفة وطريق الانبار ، فمن اجابه من اهلها خندق عليه ومن ابى ذلك شن عليه الحرب والقتال[١٢٨] . وكان مع الامين احد رماة المجانيق يدعى السمرقندي ، كان منجنيقه على سفينة في دجلة ، ويتوجه به الى المناطق التي تمارس ضغطاً عسكرياً قوياً على قوات الامين ومناطقه ، فيرمي بمنجنيقه الذي لم يكن يخطىء[١٢٩] . وبالمقابل فإن (زهير بن المسيب) الذي كان يحاصر بغداد من جهة كلواذى ، قد الحق الاذى الكبير بالناس جراء استخدامه العشوائي للمجانيق والعرادات ، فتصدى له العيارون واهل السجون . وكان هؤلاء يقاتلون عراة في اوساطهم الميازر . وهم قوة يجب ان لا يستهان بها . وليسوا قوة عفوية ، بل هم قوة عسكرية منظمة تنظيماً يكاد يكون جيداً . فعلى كل عشرة منهم عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد امير ، واسلحتهم بسيطة جداً بالقياس الى اسلحة خصومهم المتسلحين والدروع والرماح وغيرها من الاسلحة المستخدمة انذاك . ومع هذا تمكن هؤلاء من الحاق الهزيمة بقوات زهير بن المسيب الى ان اتاه المدد من هرثمة بن أعين ، فلحقت الهزيمة بهم عند ذاك[١٣٠] .

كان القتال يشتد في كل يوم ، والموقف يسير لصالح طاهر بن الحسين ، الذي استولى على الشارع تلو الشارع والمحلة بعد الاخرى . وأخذ سكان المناطق التي

---

١٢٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٤٦ .

١٢٦ ـ السابق ، ٨ / ٤٤٧ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٣ .

١٢٧ ـ مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٢ .

١٢٨ ـ السابق ، ٣ / ٣٣٣ .

١٢٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٩٧ .

١٣٠ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٠٢ .

يستولي عليها يميلون نحوه وينحازون اليه . لذلك كانت قوته تزداد باستمرار في حين كانت قوة الامين في نقص وضعف مستمرين[١٣١] . ومع هذا ظهرت حالات عديدة كان فيها القتال لصالح العيارين اصحاب الامين ، كما حصل في باب الكباش ، حيث كثر القتل في اصحاب طاهر[١٣٢] . وفي موقعة اخرى زحف الالاف من العيارين مع بقية جند الامين نحو قوات طاهر ، وفي معركة احتدمت بين الفريقين ، كان النصر فيها للعيارين حتى الظهر ، ولكن ظهر لمجن انقلب عليهم بعد الظهر فخسروا القتال[١٣٣] . فكان القتال سجالًا بينهم ، غير ان صورته العامة كانت لصالح طاهر بن الحسين .

إن ابرز المعارك التي وقعت بين الفريقين ، وكانت احياء ومحال بغداد وشوارعها ميداناً لها هي : وقعة قصر صالح ووقعة الكناسة ووقعة درب الحجارة ووقعة باب الشماسية ووقعة دار الرقيق .

فأما وقعة قصر صالح فإنالامين كان قد اوكل الى علي فراهمرد حماية مقري صالح وسليمان بن ابي جعفر . فكتب علي هذا الى طاهر بن الحسين يطلب اليه منحه الامان ، مقابل ان يسلم هذين القصرين والجسور القريبة منهما وما معه من مجانيق وعرادات واسلحة واموال ، وقبل طاهر هذا العرض ، فوجه اليه ابا العباس يوسف بن يعقوب ، صاحب شرطته ، مع عدد من القادة لتسلم المنطقة منه ليلًا . وسلمه بالفعل كل ما كان بعهدته . وكان ذلك في منتصف شهر جمادى الاخرة من عام ١٩٧ هـ / شباط ـ اذار ٨١٣ م كما إستأمن اليه في هذه الاثناء محمد بن عيسى صاحب شرطة الامين ، الذي كان يقاتل مع الافارقة والعامة واهل السجون ، وكان من اصحاب القوة والبأس في الحروب ، فأحدث استئمانه لطاهر اثراً خطيراً في صفوف قوات الامين . الا ان اقبال العيارين والعامة والجند ومن كل مكان للقتال داخل قصر صالح وخارجه تسبب في انزال خسائر كبيرة بقوات طاهر ، فقتل ابو العباس الباذغيسي نفسه ومن كان معه من القادة وانهزم علي فراهمرد الى طاهر . فكانت هذه المعركة اشد ما لحق بطاهر من خسائر في هذه المرحلة[١٣٤] . ودفعه هذا الى اصدار اوامره بهدم وتخريب واحراق محال عديدة من بغداد ، ولا سيما محال الذين خالفوه

---

١٣١ ـ السابق ، ٣ / ٤٠٦ .

١٣٢ ـ السابق ، ٣ / ٤٠٧ .

١٣٣ ـ السابق ، ٣ / ٤٠٩ .

١٣٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥ .

ما بين دجلة ودار الرقيق وباب الشام الى باب الكوفة والصراة وريض حميدونهر كرخايا والكناسة ، كما اخذ بنصب الكمائن في كل ناحية للنيل من قوات الامين[١٣٥] .

ومما يذكر بصدد هذه الوقعة ان احد قادة طاهر كان يستخف بالعيارين وبقدراتهم القتالية ، حيث اندفع للقتال في احدى المرات وهو يرمي بسهامه التي كانت لا تصيب الهدف ويلتقطها احد العيارين حتى نفدت ، فضربه هذا العيار بمقلاعه فأصابه في عينه ثم رماه بالاخرى وكاد يصيبه لو لا تحاميه عنها فهرب مولياً[١٣٦] .

وقعة الكناسة : كان طاهر بن الحسين قد وزع عدد من قادته على بعض نواحي بغداد ، فجعل العلاء بن الوضاح الازدي مع جنده في منطقة الوضاحية قرب المحول الكبير . ثم جعل اخاه نعيم مع جنده من الاتراك قرب ريفي ابي ايوب على شاطيء الصراة . ودامت هناك مناوشات بينهما وبين قوات الامين لعدة اشهر . الى ان قاد طاهر بنفسه حملة كبيرة في منطقة الكناسة ، فانزل بقوات الامين خسائر كبيرة[١٣٧] . ثم اعقبتها وقعة درب الحجارة التي انتصرت فيها قوات الامين على قوات طاهر[١٣٨] . وكانت معركة باب الشماسية من ابرز هذه المعارك ايضاً . فقد كان عبيد الله بن الوضاح ينزل الشماسية بأمر من هرثمة ابن اعين ، ويبدو انه لم يكن قد اتخذ تحوطات الامن والاحتراس بصورة جيدة ، لعدم قناعته بهذه الحرب اصلًا . لهذا فأن حاتم بن الصقر ، الذي اصبح احد اشهر قادة الامين واكثرهم اخلاصاً ، جمع عدداً كبيراً من العيارين لمباغتة عبيد الله بن الوضاح ليلًا . وبفعل هذا الهجوم المباغت ، ازيح عبيد الله موقعه منهزماً ، واستولى حاتم على معسكره وعلى منطقة الشماسية . فلما جاء هرثمة بن اعين لنجدته ، أسره أحد العيارين ولم يكن يعرفه ثم انقذه احد جنده . ولكن الخبر وصل الى معسكر هرثمة ، فكان سبباً كافياً لهرب قواته من معسكرهم متجهين الى حلوان . ثم تسبب حلول الليل في وقف القتال بينهما وعدم تتبع القوات المنهزمة . وقد تقوى جند الامين بهذا النصر وبما استولوا عليه من اسلحة[١٣٩] .

---

١٣٥ ـ السابق ، ٨/ ٤٥٩ .

١٣٦ ـ السابق ، ٨/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨ .

١٣٧ ـ السابق ، ٨/ ٤٦١ .

١٣٨ ـ السابق ، ٨/ ٤٦٣ .

١٣٩ ـ السابق ، ٨/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥ .

وأمام هذه الأخبار السيئة ، إضطر طاهر بن الحسين الى عقد جسر على دجلة عند الشماسية . وعبأ قواته للهجوم عليها . وبمعركة سريعة تمكن طاهر من طرد حاتم بن الصقر وقواته من الشماسية واستعادة السيطرة عليها ، واعيد هرثمة بن اعين وعبيد الله بن الوضاح الى اماكنها[١٤٠] . ومن المعارك المهمة الاخرى ، المعارك التي دارت في جزيرة العباس ، وهو مكان بين الصراة السفلى والصراة العليا وخندق طاهر . ولم يجر فيه قتال من قبل . ثم تحولت الى ميدان مستمر للقتال . والقتال الذي دار هناك كان في اول الامر لصالح قوات الامين ، حتى ان قوات طاهر اجبرت على اخلاء اماكن عديدة من مواقعها ، غير ان التعزيزات التي ارسلها طاهر لقواته حسمت الموقف لصالحه وانهزمت قوات الامين[١٤١] .

ومن المعارك الاخرى ، وقعة دار الرقيق ، وهي معركة كبيرة ايضاً كثر فيها القتلى في الطرق والشوارع وكان النصر فيها لقوات طاهر[١٤٢] . وبهذا يكون القتال قد أخذ بالتقدم تدريجياً نحو قلب بغداد في الجانب الغربي ، مما تسبب في انتشار الهدم والتخريب حتى إنمحى الكثير من معالم المدينة . وكان الناس يهربون من مكان الى آخر ومن محلة الى اخرى هرباً من الموت[١٤٣] . وحاول الامين الاتصال بهرثمة بن اعين عن طريق سليمان بن ابي جعفر وابراهيم بن المهدي وجماعة اخرى من بني هاشم لاستمالته الى جانبه واعداً اياه بالاموال والقطائع . لكنه رفض وبشكل قاطع كل هذه الاغراءات[١٤٤] .

في إثناء احتدام هذه المعارك ، سعى طاهر بن الحسين الى استمالة افراد الاسرة العباسية وقادة الامين الى جانبه سواء أكان ذلك بالتهديد أم الاغراء ، فاستجاب له جماعة منهم : عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي واخوته وابناء الحسن بن قحطبة ويحيى بن علي بن عيسى بن ماهان وغيرهم . وكاتبه بعض افراد الاسرة العباسية ايضاً سراً لخشيتهم من الامين[١٤٥] . وارسل طاهر الى القاسم بن

---

١٤٠ ـ السابق ، ٨ / ٤٦٦ .
١٤١ ـ السابق ، ٨ / ٤٦٨ ـ ٤٦٩ .
١٤٢ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٠٥ .
١٤٣ ـ السابق ، ٣ / ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .
١٤٤ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٤١ .
١٤٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٥٦ .

الرشيد يطلب اليه تسليم القصر الذي ينزل فيه وان يخرج اليه ، ففعل[١٤٦] . ومن ناحية اخرى فإنه على الرغم من الضعف الذي آل اليه حال الامين بسبب تفوق قوات طاهر عليه ، فإن الامين نفسه لم يضعف ولم ييأس ، بل أنه كتب الى طاهر رسالة جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إعلم أنه ما قام لنا مذ قمنا قائم بحقنا وكان جزاؤه منا الا السيف ، فانظر لنفسك او دع »[١٤٧] وقد يكون هذا الكتاب محاولة أخيرة لتثبيط همة طاهر بن الحسين ، لكنها لم تفلح .

ولما طال امد الحصار ، فإن طاهراً سعى الى انهائه خشية التطورات غير المتوقعة ، فكتب الى خزيمة بن خازم يستميله اليه وان يقطع كل صلة له بالامين . فاستشار هذا اهله واصحابه فنصحوه ان يلحق بطاهر ويطلب الامان له ولاهله . فكتب الى طاهر يعلمه بطاعته له ، ثم اخبره بامكانية استيلائه على الجانب الشرقي بدلًا من هرثمة بن اعين الذي ليس بمحل ثقة .فكتب طاهر الى هرثمة يلومه ويقصره في قيامه بالامر . وامره بالاستعداد لدخول بغداد . فأجابه هرثمة بأنه طائع وخاضع لكل اوامره . فكتب طاهر بذلك الى خزيمة . وكان طاهر قد كتب الى محمد بن علي بن عيسى بن ماهان بمثل ما كتب به اول الامر الى خزيمة بن خازم . وبعد هذه المراسلات اتفق الاثنان ـ خزيمة ومحمد ـ على خلع الامين والبيعة للمأمون . ففعلا ذلك بأن خرجا الى أحد جسور بغداد وركزا عنده اعلامهما معلنين عن خلع الامين وقطعا الجسر ، فلزم اهل الرصافة السكون والهدوء . عندئذ دخل هرثمة المدينة من جانبها الشرقي[١٤٨] .

اما طاهر بن الحسين فقد بدأ بالهجوم على محال الشرقية والكرخ واسواقهما وهدم قنطرتي الصراة العتيقة والحديثة . ونزل طاهر للقتال بنفسه فانتشرت الحرب في معظم محال الجانب الغربي . وكان اصحاب الامين يحرزون احياناً بعض الانتصارات ، لكن لم يكن لهذه الانتصارات اي طائل . فقد استولى طاهر على قصر الوضاح وعلى الكرخ واسواقها . ثم حاصر المدينة المدورة وطوق قصري زبيدة والخلد ، وتوزعت قواته بين باب الجسر الى باب خراسان الى باب الشام وباب الكوفة وباب البصرة وشاطىء الصراة الى مصبه في نهر دجلة . وكانت هذه القوات بأتم تجهيز من

---

١٤٦ ـ ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٨٦ .

١٤٧ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

١٤٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٣٠١ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٣٥ .

حيث الخيول والعدة والسلاح . وكان حاتم ابن الصقر مع قواته من الافارقة هم الاكثر صمودا بوجه طاهر ، الذي نصب مجانيقه على المدينة المدورة وازاء قصري زبيدة والخلد . فأضطر الامين واهله الى الخروج من قصر الخلد واللجوء الى المدينة المدورة ، التي كانت الحصن الاخير له . وتفرق اكثر الذين كانوا معه ولا سيما من الخدم والجند[١٤٩] . كما ان زهير بن المسيب تقدم من معسكره في كلواذى في السفن حاملًا معه المجانيق والعرادات ، فكان يرمي قصر الخلد بالحجارة لتدميره[١٥٠] وتم فرض حصار شديد على المدينة المدورة ، حتى ان الخليفة نفسه طلب الماء ليشرب فلم يكن موجوداً في خزانة الشراب الخاصة به[١٥١] .

في مثل هذه الظروف العصيبة تكون الخيارات عادة محدودة . وكانت واحدة من هذه الخيارات ما اقترحه بعض قادة الامين وهم : حاتم بن الصقر ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب وغيرهما ، وتتلخص فكرتهم بأن يقوموا باختيار سبعمائة من اخلص جندهم من الابناء ويحملوهم على ما بقي عندهم من خيول ، فيقتحمون الطوق الذي يحاصرهم ويتوجه الجميع نحو الجزيرة والشام حيث تتم اعادة تنظيم الصفوف وتحشيد الجند وجمع الاموال ، ومن هناك يتم الانطلاق نحو المجابهة الجديدة . فوافق الامين على الفكرة[١٥٢] . وما ان علم طاهر بهذه الخطة حتى ادرك طبيعة المخاطر التي قد تترتب عليها في حالة تنفيذها . لهذا فإنه كتب الى عدد من المقربين الى الامين ومنهم : سليمان بن ابي جعفر ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك يأمرهم ان يثنوا الامين عن هذه الفكرة ، مهدداً اياهم بالقتل ومصادرة الاموال في حالة تقصيرهم عن القيام بذلك . لذا فانهم كرسوا جهدهم لاقناع الامين بالعدول عن هذه الفكرة وعدم الانجرار وراء هؤلاء الصعاليك ، وخوفوه من غدرهم به ، اذ قد يتقربون برأسه الى طاهر طالبين به الامان . فعدل الامين عن الفكرة[١٥٣] .

---

١٤٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٧٣ ـ ٤٧٤ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٣٠١ ـ ٣٠٢ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٥ .

١٥٠ ـ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٤١ .

١٥١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٧٦ .

١٥٢ ـ السابق ، ٨ / ٤٧٨ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٣٠٦ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤١٠ .

١٥٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٧٩ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٣٠٦ .

الاتفاق على الامان بين الامين وهرثمة :

بات على الأمين أن يبحث ثانية عن حل للمأزق الذي هو فيه . فأقترح عليه أحد قادته ان يكتب الى طاهر يمنيه ويرغبه ليستميله اليه . فيتمكن عندئذ من مواجهته المأمون والتخلص منه ، لكنه رفض هذه الفكرة معبراً عن عدم امكانية كسب طاهر الان بأية وسيلة[١٥٤] . ثم اقترحوا عليه ان يكتب الى طاهر طالباً اليه ان يمنحه الامان . بيد أنه رفض ثانية ان يفعل ذلك لانه ـ على حد قوله ـ يكره طاهراً اذ رأى في منامه ما جعله يعتقد بأنه سيقتله إن أمسك به . ثم فضل ان يكتب بهذا الامر الى هرثمة ، فهو اكثر ثقة[١٥٥] . ومع ان المسعودي افاد ان الامين كتب فعلًا الى طاهر يطلب الامان لنفسه واهله وخدمه وحاشيته وكل من معه مقابل تنازله عن الخلافة الى المأمون ، الا ان طاهراً رفض هذا الطلب لانه جاء بعد فوات الاوان[١٥٦] . وهو امر لا نميل اليه ، لان عدم ثقة الامين بطاهر امر له مايبرره .

لم تقدم المصادر تفاصيل قيمة عن طبيعة المراسلات التي جرت بين الامين وهرثمة ابن أعين ، عدا اشارات بسيطة تفيد ان هرثمة كان يود الابقاء على حياة الامين وعدم سفك دمه ، وضرورة اصلاح الامور بين الاخوين ، فكتب اليه الامين يسأله ان يقوم بمهمة الاصلاح هذه بينه وبين أخيه متخلياً له عن الخلافة . فكتب اليه هرثمة انه كان ينبغي عليه ان يفكر بهذا الامر قبل هذا الوقت ، ثم وعده بالاجتهاد في الحصول على الامان له ثم طلب اليه ان يحضر عنده ليكتب الى المأمون بخصوص منحه الامان[١٥٧] ويظهر ان هرثمة كتب الى طاهر بن الحسين يعلمه بهذه التطورات ويسأله موافقته على لجوء الامين عنده ـ اي عند هرثمة ـ[١٥٨] كما ان هرثمة وعد رسل الامين بالدفاع عنه حتى الموت اذا ما تعرض لسوء من المأمون[١٥٩] .

---

١٥٤ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٤٠٠ .

١٥٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

١٥٦ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٩٩ .

١٥٧ ـ الدينوري ، الاخبار ، ٣٥٩ ـ ٤٠٠ .

١٥٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٩٠ .

١٥٩ ـ السابق ، ٨/ ٤٨١ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٣٠ .

اما موقف طاهر بن الحسين تجاه هذا التطور الجديد . فيبدو أنه كان غير مطمئن تجاه الذي يجري بين الامين وهرثمة ، حيث قال : « هو في حيزي والجانب الذي انا فيه ، وانا أخرجته بالحصار والحرب ، حتى صار الى طلب الأمان ، ولا أرضى ان يخرج الى هرثمة دوني ، فيكون الفتح له »[160] . ثم قام باتخاذ اجراءات مشددة جداً في محاصرته للمدينة المدورة وقصر الخلد ، فنظم الحراسات على طرقها ومخارجها ووضع نقاط السيطرة (المسالح) حول [illegible] بالسفن والزوارق التي تحمل العرادات والمقاتلة الى ما يقابل هذا المكان من شاطىء دجلة منعاً للامين من ان يفلت قبضته[161] .

وبسبب عدم التوافق في الاراء بين هرثمة وطاهر بن الحسين ، تقرر عقد اجتماع مشترك في منزل خزيمة بن خازم حضره هرثمة وقادته وطاهر وقادته وبعض افراد الاسرة العباسية وعدد من الخاصة مثل محمد بن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك ، وجرى في الاجتماع تداول الامر . وكان رأي هرثمة ان الامين لا يرضى بالاستئمان الى طاهر . واذا ما رفض طاهر استئمان الامين الى هرثمة ، قد يتكرر ما حصل في انقلاب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان . ويقصد هنا في الاغلب انقلاب بعض القادة والجند الى جانب الامين . لذا اقترحوا على طاهر ان يخرج الامين الى هرثمة بشخصه ، في حين تدفع شارات الخلافة ـ الخاتم والقضيب والبردة ـ الى طاهر ، وألحوا عليه بقبول الاقتراح فوافق في النهاية . غير أن أحد أعوان الأمين السابقين ويدعى الهرش اراد التقرب والتودد الى طاهر ، فاخبره ان الاتفاق الذي حصل في الاجتماع المذكور انما هو خدعة له ، ولم يكن امام طاهر الا ان يصدق خشية إفلات شارات الخلافة منه ، فوضع الكمناء المسلحين ومعهم العَتَل والفؤوس حول قصري أم جعفر والخلد للقبض على الامين[162] .

مقتل الخليفة الامين :

تضمنت الروايات عدداً من التفاصيل المتباينة حول مقتل الخليفة الامين فقد

---

١٦٠ ـ الطبري ، ٨/ ٤٨١ ، ابن العبري ، مختصر ، ١٣٣ .

١٦١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٩٠ .

١٦٢ ـ السابق ، ٨/ ٤٨٢ .

اورد الطبري روايتين ، الاولى نقلًا عن الحسن بن ابي سعيد نقلًا عن طارق الخادم وذكر الثانية المدائني نقلًا عن محمد بن عيسى الجلودي وثمة رواية ثالثة اوردها طاهر بن الحسين نفسه وأثبتها في رسالته الموجهة الى المأمون يشرح فيها تفاصيل مقتل الامين ، وضعها لتبرير قيامه بقتل الخليفة وينفي عن نفسه مسؤولية هذا العمل . ولا يختلف ما اورده المسعودي كثيراً عما اورده الطبري .

في رواية الحسن بن ابي سعيد اشار الى ان هرثمة بن اعين حضر الى المكان المتفق عليه ، ويبدو ان حضوره كان مبكراً نسبياً ، فأرسل الى الامين يطلب اليه تأجيل الموعد المتفق عليه الى الليلة التالية ، لان شكوكاً ساورته فيما رآه من اجراءات اتخذها طاهر بن الحسين وانها لا تخلو من مخاطر على حياته . غير ان الامين كان يرى ان بقاءه في المدينة المدورة ، بعد تفرق اصحابه عنه ، بات غير مأمون العواقب ، فرأى ضرورة تنفيذ الاتفاق الذي تم بينهما ، فلم يكن امام هرثمة الا الاستجابة . ودعا الامين ابنيه وقبلهما مودعاً وقد دمعت عيناه ، ثم امتطى فرسه حتى وصل الى الحراقة ، وهي نوع من الزوارق الكبيرة ، فصعد اليها . وفي الحراقة استقبله هرثمة وقادته بكل اجلال واحترام وبما يستحقه الخليفة[١٦٣] .

اما المكان الذي خرج منه الامين ، فيفهم من رواية الحسن بن ابي سعيد ، ان خروجه كان من باب البصرة ، لانه عندما عطش اراد شرب الماء من عند الحرس الذي على باب البصرة ، وينسجم هذا مع ما في الرواية من ان الامين قد قبض عليه عند مصب الصراة في دجلة . وهو قريب من باب البصرة[١٦٤] . اما رواية المدائني فتشير الى ان خروج الامين كان من باب خراسان . وان احد الذين كانوا في الحراقة التي اقلته ، قُبِضَ عليه خلف قصر ام جعفر عند خروجه من النهر ، وهذا المكان قريب ايضاً من باب خراسان[١٦٥] . كما ورد في رسالة طاهر بن الحسين ان خروج الامين كان من باب خراسان ايضاً[١٦٦] . وينسجم هذا مع ما ذكره الازدي من ان حراقة هرثمة

---

١٦٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

١٦٤ ـ السابق ، ٨/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

١٦٥ ـ السابق ، ٨/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥ .

١٦٦ ـ السابق ، ٨/ ٤٩١ .

كانت راسية في مشرعة باب خراسان[١٦٧] . ان هذه القرائن تجعلنا نميل الى الرأي الذي يشير الى ان خروج الخليفة الامين كان من باب خراسان .

وتشير رواية الحسن بن ابي سعيد الى ان اصحاب طاهر ، قد نصبوا الكمين للامين ومعهم طاهر نفسه ، وهاجموا الحراقة بالحجارة والسهام حتى غرقت ، وسقط من فيها الى الماء ثم قاموا بالسباحة الى الشواطىء المجاورة . وهو ما فعله الامين ايضاً حتى وصل الى قرب مصب الصراة في دجلة ، حيث كانت هناك مسلحة لطاهر ضمت عدداً من الاشخاص وقد عرفه احدهم ، فسارعوا الى الامساك به وتوجهوا به الى منزل ابراهيم بن جعفر البلخي[١٦٨] . اما في رواية المدائني فان جند طاهر نزلوا الى الماء لتحطيم الحراقة فضلاً عن رميها بالسهام والحجارة ، وسقط الذين كانوا فيها الى الماء ومنهم الامين[١٦٩] . ولكنه لم يتطرق الى كيفية القبض عليه . ويقول المسعودي ان غواصين ارسلهم طاهر بن الحسين غاصوا تحت الحراقة وقلبوها في الماء[١٧٠] .

وفي رواية الحسن ، ان طاهرا لما راى سقوط هرثمة في ماء النهر وظن انه قد غرق ، خشي ان يتحمل مسؤولية غرقه ، فترك المكان متوجهاً الى معسكره الرئيس عند باب الانبار . وعند باب الشام ادركه احد اصحابه واعلمه ان الامين قد أُسِرَ ، فالتفت الى بعض مرافقيه يخبرهم بالامر ويسألهم عما يجب عمله في مثل هذا الموقف ، فأجابه احدهم بالفارسية ان لا يفعل كما فعل الحسين بن علي مكتفياً بحبسه لما قد يترتب على ذلك من مخاطر . فبعث طاهر بمولى له يدعى قريش الونداني . وامره بقتل الامين[١٧١] . وذكر المسعودي ان بعض اتباع قريش هذا ويطلق عليه قرين الديراني ولابد ان يكون هذا تحريفاً للاسم ، هم الذين قتلوا الامين في الطريق[١٧٢] . اما رواية احمد بن سلام التي تعد مكملة لرواية المدائني ، فذكر أنه

---

١٦٧ ـ الازدي ، تاريخ ، ٣٣٠ .

١٦٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣

١٦٩ ـ السابق ، ٨ / ٤٨٤ ـ ٤٨٥ .

١٧٠ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤١٢ .

١٧١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٨٣ ، انظر ايضاً ، الازدي ، تاريخ ، ٣٣٠ .

١٧٢ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤١٢ .

بعدما قبض على الامين احتجز في احد الدور . وفي تلك الليلة هجم عليه ثلة من العجم من اصحاب طاهر وهو في حجزه ، لكنهم احجموا عن الدخول الى الغرفة التي فيها الامين وترددوا الى ان دخل احدهم ويدعى خمارويه فضرب الامين على رأسه بالسيف وقد حاول الدفاع عن نفسه مما جعل خمارويه يطلب النجدة من اصحابه الذين بادروا الامين بسيوفهم ، ثم ذبحوه ذبحاً وحملوا رأسه الى طاهر[١٧٣] . ثم نصب رأس الخليفة الامين بعد ذلك على باب الانبار[١٧٤] . ولابد ان نشير هنا الى كل الذين كانت لهم علاقة بمقتل الامين منذ ان قبض عليه كانوا يتكلمون الفارسية . مما يشير الى الدور الذي لعبه العجم في هذه الجريمة .

ولابد ان نتطرق هنا الى بعض ما ذكره طاهر بن الحسين في رسالته الموجهة الى المأمون وشرح فيها حيثيات مقتل الامين . فذكره انه ـ اي طاهر ـ خرج على الاتفاق الذي حصل بينه وبين هرثمة بن اعين خوفاً من الفتنة ، فقد يكون الامان فرصة لهرب الامين ، الامر الذي قد يترتب عليه مضاعفات خطيرة تجاه وضع المأمون . ثم عرج على الاجراءات التي اتخذها هو حتى لا يفلت الامين من قبضته . ثم اشار الى ان هرثمة بن اعين كان قد خدعه لانه اراد احتواء الامين دون علمه هو بالتوقيت المحدد لذلك . ولما افلت الامين من الكمين المعد له . فان الجند الذين قاموا بهذا الكمين قبضوا على كوثر خادم الامين ومعه شارات الخلافة . وهوامرٌ كان كافياً بالنسبة الى طاهر ، بقدر تعلق الامر بالاتفاق الذي حصل بينه وبين هرثمة بخصوص استسلام الامين ، في الاقل . غير ان اصراره على القبض على الامين شخصياً ، دلل على النوايا الخبيثة التي كانت تعتمل في داخله . ثم اشار الى هجوم الجند على الحراقة وغرقها ثم هرب الامين وقبضه عليه . وذكر هنا ان الامين حاول اغراء الجند الممسكين به بما قيمته عشرة ملايين درهم مصراً ـ على حد قوله ـ على نكثه وعدم انصياعه ، أما هؤلاء الجند « فأبوا الا الوفاء لخليفتهم ابقاه الله ، وصيانة لدينهم ، وايثاراً للحق الواجب عليهم ، فتعلقوا به ، قد اسلمه الله وافرده ، كل يرغبه ، ويريد ان يفوز بالحضوة عندي دون صاحبه ، حتى اضطربوا فيما بينهم ،

---

١٧٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٨٥ ـ ٤٨٧ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤١٢ ـ ٤١٣ .

١٧٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٨٨ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٤١ .

وهو أمر يخلو من الخلق والانسانية والاحترام لمكانة الخليفة فيقول : « فلما اصبحت هاج الناس واختلفوا في المخلوع ، فمصدق بقتله ، ومكذب وشاك وموقن ، فرأيت ان اطرح عليهم الشبهة في امره ، فمضيت برأسه ، لينظروا اليه فيصح بعينهم .... »[١٧٥] وبهذه الطريقة برر ايضاً جريمته البشعة بنصب رأس الخليفة المقتول على أحد ابواب بغداد . لم يكن ذنب الامين سوى انه طالب بحقه في ان يمارس كامل سلطاته بوصفه خليفة المسلمين .

وتناولوه باسيافهم منازعة فيه » وبهذه الطريقة برر طاهر مقتل الخليفة الامين على يده ويد جنده . اما كيف برر طاهر بن الحسين نصب رأس الخليفة على باب الانبار ،

وقع اختلاف في توقيت مقتل الامين . فذكر ابن خياط انه قتل لليلتين بقيتا من شهر محرم من عام ١٩٨ هـ/ ٢٨ ايلول ٨١٣ م[١٧٦] في حين ذكر الخطيب البغدادي ان ذلك كان لست ليال بقين من محرم / ٢٤ ايلول ٨١٣ م[١٧٧] ويفهم من الازدي ان ذلك حصل في حدود منتصف شهر محرم / ١٥ ايلول ٨١٣ م[١٧٨] ، اما الطبري فذكر روايتين مختلفتين ، جاء في الاولى ان الامين قتل لست ليال بقين من شهر صفر من عام ١٩٧ هـ/ ٦ تشرين الثاني ٨١٢ م[١٧٩] وهو امر غير صحيح . في حين جاء في الرواية الثانية انه قتل ليلة الاحد لخمس ليال بقين من محرم من عام ١٩٨ هـ/ ٢٥ ايلول ٨١٣ م[١٨٠] ولابد ان التنوخي كان مخطئاً عندما اشار الى ان الامين قتل عندما كان يتنزه في سفينة له بدجلة[١٨١] .

وبعد مقتل الامين استتبت الاوضاع في بغداد . والقى طاهر خطبة في الناس حثهم فيها على التمسك بالطاعة مذكراً بمحاسن المأمون معقباً على مساوىء

---

١٧٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٩٠ ـ ٤٩٢ .

١٧٦ ـ ابن خياط ، تاريخ ، ٢ / ٧٥٨ .

١٧٧ ـ الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ٣ / ٣٣٧ .

١٧٨ ـ الازدي ، تاريخ ، ٣٣٠ .

١٧٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٩٨ .

١٨٠ ـ السابق ، ٨ / ٤٩٩ .

١٨١ ـ التنوخي ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق : عبود الشالجي (د / م : ١٩٧٢) ٥ / ٤٣ .

الامين[١٨٢] ثم امر منادياً ينادي بعشرة الاف درهم لمن يقبض على الفضل بن الربيع[١٨٣] . الذي كان قد استتر منذ انقلاب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان . وهكذا تكون خلافة الامين قد انتهت وابتدأت خلافة المأمون .

احوال بغداد في ظل الحصار :

دام الحصار على بغداد ما يقرب من اربعة عشر شهراً وفي خلال هذه المدة الطويلة كان القتال مستمراً بين الطرفين دون توقف . وان الحصار الاقتصادي كان هو الاخر مستمراً بشكل او بآخر . وكان لابد لهذه الحالة ان تترك آثارها السلبية الخطيرة على بغداد في النواحي كافة ، اقتصادية واجتماعية وعمرانية ، وسنحاول هنا استعراض بعض هذه الجوانب :

ففي الجانب العمراني ، تعرضت المدينة الى دمار كبير ، ومن ذلك اعمال الهدم والتخريب والحرق التي تعرضت لها احياء بغداد ومحالها بفعل النار والحجارة التي كانت ترميها العرادات والمجانيق العائدة للطرفين المتحاربين على المدينة[١٨٤] . وتسبب ذلك في خراب حتى المساجد والجوامع فتركت الصلاة في عدد سنها ، ولا سيما في فترات اشتداد القتال[١٨٥] . وكان طاهر يلجأ الى الاعمال الانتقامية من خصومه خصوصاً بعد ان يخسر معركة ما . فيعمد الى حرق وتخريب وهدم الاحياء التي هي خارج طاعته . كما فعل على إثر الهزيمة التي حاقت بقواته في وقعة قصر صالح فأمر بهدم دور مخالفيه في مناطق دار الرقيق وباب الشام وباب الكوفة الى الصراة وربض حميد ونهر كرخايا والكناسة ايضاً[١٨٦] . وقد ساعد بعض اتباع الأمين في زيادة الاثر الذي تركته اعمال طاهر هذه بخلعهم ابواب وشبابيك وسقوف الدور في المناطق التي هدمها اصحاب طاهر[١٨٧] . ولا سيما اذا ما علمنا ان الجانب الاكبر من قوات الامين هم من القوات الشعبية غير المنضبطة ضبط القوات النظامية والمتمثلة

---

١٨٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ .

١٨٣ ـ الجهشياري ، نعومي ، ٥٦ .

١٨٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٤٧ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

١٨٥ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٤٠٤ .

١٨٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٥٩ .

١٨٧ ـ السابق ، نفس الصفحة .

بالعيارين والشطار . فضلًا عن امكانية تسلل اللصوص والسراق بين صفوف هذه القوات . ومن الطبيعي الا يكون هم مثل هذه الفئات منصباً على القتال بقدر جنيها الفوائد منه ، بالقيام بمثل هذه الاعمال .

كما اخذ تخريب المدينة شكلًا آخر ايضاً ، فلما كانت احياء وسكك وشوارع وساحات بغداد ميداناً للقتال ، ولما كانت الخنادق والاسوار من وسائل ذلك القتال لذا فإن كل فريق اتخذ لنفسه مثل هذه الوسائل لحماية قواته من الطرف المقابل ، فحفرت الخنادق وبنيت الحيطان والاسوار الصغيرة في احياء وشوارع وساحات بغداد لتكون فاصلًا بينهما[١٨٨] . واعمال كهذه لابد ان تشوه معالم بغداد تشويهاً خطيراً . فحفر الخنادق يعني تخريب الشوارع والطرقات والساحات ، كما ان بناء الاسوار الصغيرة والحيطان لابد ان يكون على حساب الدور التي كانت تهدم وتنقل مادتها لبناء مثل هذه الحيطان .

ان هذا الحرق والتخريب لم يقتصر على المناطق السكنية ، بل امتد الى دواوين الدولة ايضاً ، مما تسبب في تلف الوثائق الرسمية ، ولا سيما المتعلقة معها بالخراج والضرائب الاخرى[١٨٩] .

اما في الجانب الاقتصادي ، فان الحصار الذي فرض على بغداد ترك مردودات خطيرة على وضع المدينة وسكانها . ففي ظل اوضاع القتال تلك بات من غير الممكن وصول واردات الدولة الى بغداد ، ومن ثم فإن إمكانيات الأمين المالية اصبحت ضعيفة جداً فلجأ الى خزائنه واخرج ما فيها من الامتعة وآنية الذهب والفضة ، فسكها دنانير ودراهم لاعطاء الجند ارزاقهم ولتسديد نفقات القتال[١٩٠] ويلغ من شدة مطالبة جنده بالمال والارزاق ان قال الامين : « وددت ان الله عز وجل قتل الفريقين جميعاً واراح الناس منهم ، فما منهم الا عدو ممن معنا وممن علينا . اما هؤلاء

---

١٨٨ ـ السابق ، ٨ / ٤٤٧ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

١٨٩ ـ قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : د . محمد حسين الزبيدي (بغداد : ١٩٨١) ١٦٢ ، الصابي ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق : ميخائيل عواد بيروت : ١٩٨٦ ، ٢٩ ، ٣٩ .

١٩٠ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٤٦ ، المسعودي ، مروج ، ٣ / ٤٠٣ .

فيريدون مالي . واما اولئك فيريدون رأسي »[191] .

وبلغت اوضاع الامين المالية من الضعف ما دفعه بعد ذلك الى تكليف احد اتباعه بتتبع اصحاب الاموال والودائع والذخائر ، وقام بهذه المهمة شخص يدعى ذريح ويعاونه آخر يدعى الهرش . فجمعا اموالًا كثيرة ، حتى فكر الناس بالهرب بذريعة الحج[192] . ومن ناحية اخرى تشدد طاهر في منع دخول الميرة والمواد الغذائية الى بغداد مما سبب ارتفاع الاسعار بشكل كبير[193] . وفكر التجار في مكاتبته او اللجوء اليه ، لما لحق بهم من ضرر كبير جراء هذه الحرب وخشيتهم من مستقبل الاحداث[194] .

اما في الجانب الاجتماعي ، فان بروز دور العيارين والشطار وبثقل كبير في هذه الفترة ، حتى غدو القوة الرئيسة للامين في مواجهته مع طاهر بن الحسين ، ادى الى ان يبرز من بينها ـ اي جماعة العيارين والشطار ـ عناصر سلبية تحول نتائج عملهم الى اضرار ومخاطر على المجتمع . فمارس بعضهم اللصوصية ، يسلبون من قدروا عليهم من الرجال والنساء والضعفاء[195] . وكان عدد منهم يتعرض للنساء في الشوارع والاسواق دون وازع ولا يستطيع احد منهم ، كما تعرضوا لاولاد التجار من اجل ابتزازهم[196] . ان مثل هذه الممارسات السلبية لابد ان تكون لها نتائج خطيرة على اوضاع المجتمع في بغداد . بل ان مثل هذه الممارسات قد ساهمت في تطور الاوضاع وتحول ولاء الناس لصالح طاهر ابن الحسين ، فكان ذلك من عوامل ضعف الامين .

٤ ـ عوامل فشل الخليفة الأمين :

عندما وقع الأمين في اسر طاهر بن الحسين وبينما كان محجوزاً في احد

---

١٩١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٧٠ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٤٠٩ ، الثعالبي ، لطائف اللطف ، تحقيق : د . عمر الاسعد (بيروت : ١٩٨٠) ٤٠ ـ ٤١ .

١٩٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٦٢ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٤٠٨ .

١٩٣ ـ مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٣٤ .

١٩٤ ـ الطبري، تاريخ ، ٨/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ٤٠٨ .

١٩٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٥٦ .

١٩٦ ـ ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

البيوت ، دار بين الأمين وأحمد بن سلام ، وكان محجوزاً معه ، الحوار الاتي : « .... ثم قال : يا احمد ، ما فعل أخي ؟ قال : قلت : هو حي ، قال : قبح الله صاحب بريدهم ما اكذبه ! كان يقول : قد مات ، شبه المعتذر عن محاربته ، قال : قلت : بل قبح الله وزراءك ! قال : لا تقل لوزرائي الا خيراً فما لهم ذنب ، ولست باول من طلب امراً فلم يقدر عليه ..... »[١٩٧] وتشير هذه المحادثة الى القناعة التي كان عليها الامين من انه قاتل من أجل حقه الشرعي الطبيعي في الخلافة . الا انه ادرك وفي النهاية فقط انه غير قادر على الوصول الى هدفه هذا . وقد اشار عدد من المحدثين الى جانب من عوامل فشل الامين[١٩٨] . فما هي يا ترى عوامل ضعف الامين وفشله الحقيقية في مسعاه هذا :

١ ـ سوء اختياره للقادة : فقد لاحظنا مثلًا ان عصمة بن حماد بن سالم رفض الانصياع لاوامر الخليفة بالدخول الى خراسان واكتفى بالمرابطة عند الحدود . كما ان اختيار علي بن عيسى بن ماهان قائداً للحملة الموجهة لقتال طاهر بن الحسين ، لم يكن موفقاً ، ذلك لان علياً بن عيسى كان قد اساء السيرة في اهل خراسان مما سبب تأليبهم عليه والتفافهم حول قيادة طاهر بن الحسين مما اعطاه زخماً كبيراً في القتال . اضف الى ذلك تحلي علي ابن عيسى بروح التكبر والغرور والغطرسة ، الامر الذي حال دون اتخاذه اجراءات الحيطة والحذر والجد في مواجهة طاهر . فكانت هذه عوامل هزيمته امامه . ولم يدرك عدد آخر من القادة طبيعة الموقف الذي يمر به الخليفة ، وطبيعة مسؤولياتهم كقادة يجب ان يقوموا بدورهم . بأفضل صورة في مثل ذلك الظرف الصعب ، فراحوا يبتزون الخليفة بالمطالبة بارزاق جديدة او لفرض شروطهم عليه . فقد غالى اسد بن يزيد بن مزيد في مطالبه بغية الحصول على مكاسب وامتيازات جديدة له ولجيشه . وامتدت مثل هذه الحالة الى الجند ايضاً فاستغلوا كل مناسبة للمطالبة بمزيد من الارزاق حتى وان كانت هذه المناسبات سلبية ومحزنة مثل مقتل علي بن عيسى بن ماهان . ان مثل هذه الخصال التي طبعت قادة الامين وجندهم جعلتهم غير مؤهلين للاصطدام بقوة كانت تنمو بصورة

---

١٩٧ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٨٦ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٤٠ .

١٩٨ ـ عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، ١٩٩ ـ ٢٠١ ، احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي الاندلسي ، ٦٧ ، فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، ١٩٤ .

مطردة باتجاه القوة والتوسع .

٢ ـ فساد جيش الامين : اعتمد الامين في صراعه مع المأمون على جيش الدولة التقليدي الذي يكون الابناء غالبيته العظمى . وبسبب وجود هذه الفرق في بغداد ولمدة تزيد على النصف قرن منذ تأسيسها في السنوات الاولى بعد الثورة العباسية ، فإنها تعودت على حياة الترف والنعومة والدعة والراحة . وهو امر لابد ان ينعكس على قدرات هذه الفرق القتالية بصورة او بأخرى . فضلًا عن ان هذه الفرق كانت ذات طبيعة انتهازية انانية . فقد تعودت على المطالبة بارزاق اضافية وجديدة في كل المناسبات اياً كانت . وتعودت على عدم التوجه الى ساحات القتال قبل الحصول على مزيد من الارزاق . وبالتالي فان قلة هذه الارزاق او عدم توفرها في بعض الاحيان يعني ان توجه الجند للقتال امر مشكوك فيه . وكان للخليفة الامين نفسه دوره السلبي في هذا المجال . فقد اغدق الكثير من الاموال على جنده وعودهم على المطالبة بالمزيد ، وكان في بعض الاحيان يعطي لفرقة دون اخرى . الامر الذي ادى بطاهر بن الحسين الى استغلال مثل هذه الفرص فنشر عيونه وجواسيسه بين جند الامين يبثون بينهم الفرقة والشقاق واثارتهم على التمرد على الخليفة . ويعني كل هذا ان الامين كان بحاجة ماسة الى تجديد الدماء في جيشه بالاستعانة بفرق جديدة لم يدب الفساد اليها بعد . وكانت محاولته للاستعانة بالاعراب البدو محدودة على ما يظهر . لهذا لم تكن ذات فاعلية كبيرة في صراعه هذا . علاوة على الفشل الذريع الذي لاقاه عند محاولته الاستعانة بأهل الشام .

٣ ـ التأثيرات النفسية على قوات الامين : إن خسارة علي بن عيسى بن ماهان ومقتله في اول معركة واجهها ، مع كونه من مشاهير القادة في الدولة انذاك ، في حين لم يكن طاهر سوى قائداً مغموراً غير معروف . تركا اثاراً سلبية خطيرة اثرت نفسياً في بقية قوات الامين . وباطراد انتصارات طاهر بدأت قوات الامين تعاني من الانهيار وعدم قدرتها على المواجهة . اضف الى هذا ان طاهراً استخدم الجواسيس والعيون لبث الشائعات بين قوات خصومه . فانهزمت بعض جيوش الامين وعادت الى بغداد حتى دون ان تخوض المعركة الموجهة اليها ، بسبب هذه الشائعات والحرب النفسية التي شنها طاهر ضد معسكر الخصوم .

٤ ـ الطابع الانتهازي لمعاونيه ومساعديه وتخلي افراد الاسرة العباسية عنه :

فالعباس بن موسى بن عيسى ، الذي رأس وفداً الى المأمون ، لم يصمد امام اغراءات الفضل بن سهل وتأثيراته فيه ، فكسبه الى جانبه . وعاد الى بغداد جاسوساً على الامين يرسل بالاخبار الى مرو . كما ان الفضل بن الربيع ، وهو الوزير ، هرب واختفى عن مسرح الاحداث ، في واحد من اكثر الظروف حرجاً في الصراع بين الفريقين على إثر انقلاب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ، وعندما ادرك ان سير الاحداث يتجه في غير صالحه ترك الخليفة وهو بأمس الحاجة اليه . ولما كانت مصالحه الهدف الاسمى لديه ، فإنه قاد دفة الصراع بهذا الاتجاه . هذا فضلًا عن انه لم يكن نداً للفضل بن سهل في هذا الصراع لانه ليس كالفضل في قدراته والاعيبه السياسية .

٥ ـ تسامح الامين وتساهله : على الرغم من ان الامين لم يكن بالشخصية الضعيفة المترددة ، بل كان في بعض المواقف حازماً متشدداً . الامر الذي لمسناه في بعض رسائله . فإن تحليه بالتسامح والتساهل والخلق الكريم ، اعطى في بعض الاحيان نتائج سلبية ، كما حصل مع الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان . الذي قاد انقلاباً ضد الامين وبعد فشل المحاولة عفا عنه ، بل اعطاه قيادة الجيش المتوجه لحرب خصومه . فما كان من الحسين الا ان هرب معلناً خلع الامين والبيعة للمأمون . كما أن الامين رفض طلب اسد ابن يزيد بن مزيد في القبض على اولاد المأمون والاستعانة بهم كرهائن ضد خصومه معتبراً ان ذلك يتنافى مع الخلق الكريم . ونلحظ هنا ان الامين لم يكن هو الاخر خبيراً بالاعيب السياسة وفنونها ، وبالتالي فإنه لم يكن قادراً على مواجهة المناورات السياسية للفضل ابن سهل الذي اثبت براعته في هذا المجال .

٦ ـ الموقف السلبي لاقاليم الدولة : اذ لم تتخذ هذه الاقاليم والولايات موقف المساند والمؤيد للامين . بل ما ان بدأ يتضح تفوق المأمون عسكرياً حتى بدأت هذه الاقاليم تغيير مواقفها السياسية لصالح المأمون متخلية عن الخليفة الشرعي . ولما حاول الامين الاستعانة بأهل الشام ، فان ذلك لم يكن مجدياً لان العصبية القبلية كانت قد نخرت فيهم الى حد كبير ، حتى ان الجموع التي احتشدت لتكون القوة الجديدة ، انحلت وتفرقت لسبب تافه ثار بين افراد هذه القوة .

٧ ـ عدم تمكن الامين من التأثير في اهل خراسان : وذلك بسبب الاجراءات

الصارمة التي اتخذها خصومه التي حالت دون اتصال الامين او مساعديه بأهل خراسان للتأثير فيهم ، ومن ثم بقي هؤلاء تحت تأثير دعاية المأمون واعوانه . ولم تكن لدعاية الامين اي تأثير فيهم وحافظ هذا على ولائهم للمأمون والاستمرار في القتال الى جانبه حتى النهاية . ونضيف الى ذلك ان اهل خراسان وجدوا في هذا الصراع فرصتهم للحصول على مكاسب جديدة وامتيازات اضافية ، فقد خفض عنهم ربع الخراج وتعهد المأمون خطياً بحسن السيرة واتباع السنة في سياسته ، مما دعاهم الى الاستماتة في القتال دونه .

٨ ـ نفاد اموال الامين : ويعود ذلك بالدرجة الرئيسة الى انقطاع الاموال عنه ، التي كانت تأتيه من الاقاليم بسبب انقلابها عليه . حتى انه اضطر الى بيع ما في خزائنه من امتعة وتحويل الاواني الذهبية والفضية الى دنانير ودراهم لتمويل عمليات القتال . ان قلة هذه الاموال لابد ان يترتب عليه عدم القدرة على الاستمرار في تمويل هذه العمليات .

٩ ـ القدرات السياسية الكبيرة للفضل بن سهل : فقد تمتع الفضل بن سهل بقدرات كبيرة في مجال السياسة . حيث تولى قيادة العمليات السياسية لصالح المأمون . فرسم الخطط السياسية والمناورات لكسب ولاء اهل خراسان . وافسد رسل الامين بل انه تمكن من التأثير في قرارات خصومه ايضاً . في وقت لم يكن للامين او وزيره الفضل بن الربيع المستوى نفسه من القدرات السياسية هذه .

١٠ ـ طبيعة قوة العيارين والشطار : اثبت سير الأحداث في اثناء الحصار المفروض على بغداد ان قوة العيارين والشطار لا يستهان بها ، بل ان هؤلاء تحلوا بقدر كبير من الشجاعة والاقدام ؛ بحيث الحقوا الهزائم مرات عديدة بقوات طاهر وهرثمة وزهير بن المسيب على الرغم من تفوق هؤلاء عليهم بالعدة والسلاح . لكن افتقاد العيارين والشطار للقيادة العسكرية المجربة والمتمرسة ، وعدم توفر الخطط العسكرية المتكاملة . جعل هؤلاء غير قادرين على استثمار انتصاراتهم وتطويرها لتحقيق النصر النهائي على قوات طاهر . كما لم تذكر مصادرنا ان هذه القوة حظيت برعاية مباشرة من الامين نفسه . علاوة على اندساس بعض الفاسدين واللصوص بين صفوفهم مما جعل وجودهم غير مرغوب فيه من قبل عامة الناس ، لقيام بعضهم باعمال السلب والنهب والسرقة واللصوصية بسبب ضعف الرقابة عليهم .

الفصل الخامس

تقويم شخصية الامين

١ ـ النبوءات الخاصة بمقتل الامين :

لم يكن مقتل خليفة يحمل صفة الشرعية في توليه الخلافة أمراً سهلاً ، بل هو عملٌ يحمل من المخاطر الشيء الكثير . ولابد ان رد الفعل الشعبي سيكون بطبيعته معبراً عن موقف سلبي تجاه القائمين بمثل هذا العمل . ولا سيما ان الذي تسنم الخلافة في المرحلة اللاحقة يقف ، بشكل او بآخر ، وراء مقتل الخليفة الشرعي . ومن ثم فانه لابد من الخروج بصيغة او رواية جديدة ، تكون عادة هي الرواية الرسمية للحدث ، تقلل من أثر الصدمة وتعمل على امتصاص ردة الفعل الشعبية تجاه هذا الفعل ، ويمكن للنبوءات ان تكون خير وسيلة لتحقيق هذه الغاية . خصوصاً ذلك النوع من النبوءات الذي يجعل من مقتل الخليفة قدراً الهياً محتوماً . ومن ثم فإن الاشخاص الذين قاموا بهذا العمل ليسوا سوى ادوات اختارتهم السماء لتنفيذ ارادتها المحتومة . وهم بالتالي لا يتحملون مسؤولية حقيقية تجاه مقتل الخليفة . ويؤكد هذا الاستنتاج ان هذه النبوءات وضعت بتوجيه من السلطات الرسمية التي تولت الحكم على إثر مقتل الامين . لقد روجت مصادر محددة لمثل هذه النبوءات . واذا ما حاولنا وضع ترتيب معين لهذه النبوءات ، فإنها ستكون كما يأتي :

تبدأ هذه النبوءات بتوقع الرشيد قيام صراع دموي بين الامين والمأمون حيث ذُكِرَ على لسانه : « ..... كأنك بهما وقد حُمَّ القضاء ، وَنزلت مقادير السماء ، وبلغ الكتاب أجله ، قد تشتت كلمتهما ، واختلف امرهما ، وظهر تعاديهما ، ثم لم يبرح ذلك بهما حتى تسفك الدماء ، وتقتل القتلى ، وتهتك ستور النساء ، ويتمنى كثير من الاحياء أنهم في عداد الموتى ، قلت : أيكون ذلك يا أمير المؤمنين لامر رؤى في أصل مولدهما أو لأثر وقع لأمير المؤمنين في مولدهما ؟ فقال : لا والله إلا بأثر واجب حملته العلماء عن الأوصياء عن الانبياء »[1] . إن الدرامية التي حملتها هذه النبوءة

---

١ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٥١ ، انظر ايضاً : ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٢٦٣ - ٢٦٦ . الدينوري ، الاخبار ، ٣٨٩ .

مستمدة بما لا يقبل الشك من مجريات الاحداث الدامية التي وقعت فيما بعد ، ثم وضعت على لسان الرشيد ، وان نقلها عن العلماء والاوصياء والانبياء هو من اجل تاكيد مصداقيتها - اي النبوءة - وهو امر لا يمكن الركون اليه والقبول به . وهي تبقى بالتالي نبوءة موضوعة وغير صادقة .

جاءت بعد ذلك نبوءة اخرى ، وضعت هذه المرة على لسان المنصور ، تشير هي الاخرى الى طبيعة الصراع الذي سيدور حول الخلافة ، تقول النبوءة : « ان المنصور جلس ذات يوم ودخل اليه بنو هاشم من اهله ، فقال لهم وهو مستبشر : اما علمتم أن محمداً المهدي ولد البارحة له ولد ذكر وقد سميناه موسى ؟ فلما سمع القوم ذلك وجموا وكأنما حثا في وجوههم الرماد ، وسكنوا ولم يجدوا جواباً ، فنظر اليهم المنصور فقال لهم : هذا موضع دعاء وتهنئة ، واراكم قد سكتم ثم استرجع ، فقال لهم كاني بكم لما اخبرتكم بتسميتي إياه موسى اغتممتم به لان المولود المسمى موسى بن محمد هو الذي على رأسه تختلف الكلمة وتسفك الدماء وتنهب الخزائن ، ويضطرب الملك ، ويقتل ابوه ، وهو المخلوع من الخلافة ، ليس هو ذا ، لا ، ولا هذا زمانه .... »[٢] .

اما النبوءة الثالثة فجاءت هذه المرة على لسان ام الامين زبيدة وعلى شكل رؤيا رأتها في منامها تتحدث عن مثالب الأمين ثم تتنبأ بمقتله . ووردت في ثلاثة مصادر مع تباين بسيط بينها[٣] . يقول نص النبوءة الذي أورده المسعودي : « ...... أمه زبيدة رأت في المنام ليلة علقت بمحمد كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهي بمجلس فقعدت اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها . فدنت احداهن ، فجعلت يدها على بطن ام جعفر ، ثم قالت : ملك فخم عظيم البذل ثقيل الحمل ، نكد الامر ، ثم فعلت الثانية كما فعلت الاولى ، وقالت : ملك ناقص الجد ، مفلول الحد ، ممذوق الود ، تجور احكامه ، وتخونه أيامه ، ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية ، وقالت : ملك قصاف ، عظيم الايلاف ، كثير الخلاف ، قليل الانصاف ، قالت : فاستيقظت وأنا فزعة فلما كان

---

٢ - المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٩٥ .

٣ - السابق ، ٣ / ٣٨٨ - ٣٨٩ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٢٦٦ - ٢٧٠ ، الدينوري ، الاخبار ، ٣٨٧ - ٣٨٨ .

ـي الليلة التي وضعت فيها محمداً دخلن علي وأنا نائمة كما كن دخلن ، فقعدن عند رأسي ، ونظرن في وجهي ، ثم قالت احداهن : شجرة نظرة وريحانة حسنة ، وروضة زاهرة ، ثم قالت الثانية : عين غدقة قليل لبثها ، سريع فناؤها ، عجل ذهابها ، وقالت الثالثة : عدو لنفسه ، ضعيف في بطشه ، سريع الى غشه ، مزال عن عرشه ، فاستيقظت من نومي وأنا فزعة بذلك ، واخبرت بذلك قهارمتي فقالت : بعض ما يتطرق النائم ، وعبث من عبث التوابع ، فلما تم فصاله اخذت مرقدي ليلة ومحمد أمامي في مهده ، اذ بهن قد وقفن على رأسي وأقبلن على ولدي محمد ، فقالت احداهن : ملك جبار ، متلاف مهذار ، بعيد الآثار ، سريع المثار ، ثم قالت الثانية : ناطق مخصوم ، ومحارب مهزوم ، وراغب محروم ، وشقي مهموم ، وقالت الثالثة : احفرو قبره ، ثم شقوا لحده ، وقدموا اكفانه ، واعدوا جهازه فان موته خير من حياته ..... »

ويتضح ان تفاصيل بعض هذه النبوءات يتطابق مع مجريات الاحداث أحياناً . وذلك من اجل تاكيد مصداقيتها وقبولها لدى العامة . إن هذه النبوءات لا يمكن إلا ان تكون بتوجيه رسمي من اجل رسم صورة رسمية للأحداث .

٢ ـ الموقف من مقتل الخليفة الامين :

يعد هذا المبحث محاولة لاستعراض مواقف خصوم الامين والعامة من مقتله ويتمثل الفريق الاول بالمأمون والفضل بن سهل وطاهر بن الحسين ، اما موقف العامة فيتمثل بعدد من الشعراء ، اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن هؤلاء يمثلون اتجاهات الرأي العام بشكل أو بآخر .

موقف خصوم الامين من مقتله :

لقد سعى الثلاثة المشار اليهم قبل قليل الى التنصل من مسؤولية مقتل الامين ، باختراعهم الروايات التي عبروا من خلالها عن أسفهم او ندمهم او تحميل مسؤولية القتل لاشخاص آخرين .

عندما وقعت عينا المامون على رأس أخيه الامين ، وقد أرسله اليه طاهر بن الحسين ، استرجع وبكى واشتد تأسفه عليه ، غير ان الفضل بن سهل قال له : « الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة ،(كذا) فإن محمداً كان يتمنى أن يراك بحيث رأيته »[٤] . ثم أبدى المامون تنصله من مقتل اخيه ، فهو عند سماعه شعراً لزبيدة أم الامين ، قال : « اللهم إني أقول كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان « والله ما قتلت ولا أمرت ، ولا رضيت » اللهم جلل قلب طاهر حزناً »[٥] . اي انه حمل طاهر بن الحسين مسؤولية مقتل الامين . ثم اخترعت قصة اخرى للغرض نفسه . أي تحميل طاهر عملية القتل وأن المامون قتل طاهراً ثأراً لاخيه . وملخص القصة ان طاهراً دخل على المامون فلما رآه الاخير دمعت عيناه وبكى ، وادرك طاهر انه وراء بكاء المامون خطراً يتهدده فتوسل الى بعض المقربين من المامون واغراهم بالمال لمعرفة سبب بكاء المامون ، وكان السبب قول المامون : « اني ذكرت محمداً أخي وما ناله من الذلة فخنقتني العبرة فاسترحت الى الافاضة ولن يفوت مني طاهراً ما يكره » وبناءاً على ذلك توسط طاهر لكي يحوز ولاية خراسان ليكون بعيداً عن المامون ، الذي وافق على الرغم من ادراكه ان طاهراً قد يعلن عصيانه وتمرده على الدولة . فارسل معه خادماً يسمه اذا ما بدر ذلك عنه . فلما كان عام ٢٠٥ هـ/ ٨٢٠ـ ٨٢١م قطع طاهر الخطبة للمامون فقام هذا الخادم بسمه ومات على اثر ذلك[٦] . فظهر المامون وقد أخذ بثأر أخيه من طاهر بن الحسين . وفي مناسبة اخرى فان المامون حمل مستشاري أخيه مسؤولية قتله فهم الذين خذلوه وأضلوه وهم : الفضل بن الربيع وبكر بن المعتمر والسندي بن شاهك[٧] .

---

٤ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣١٤ .

٥ ـ السابق ، ٣/ ٤١٥ .

٦ ـ ابن طيفور ، بغداد ، ١٦ ـ ١٨ ، انظر ايضاً باختلافات بسيطة : الشابشتي ، الديارات ، ١٤٥ ـ ١٤٨ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٣١٥ ـ ٣١٨ ، الاصفهاني ، الاغاني ، ١٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٢/ ٥٢١ .

٧ ـ ابن طيفور ، ١٥ .

أما الفضل بن سهل ، فقد سعى هو الآخر الى تحميل طاهر بن الحسين مسؤولية مقتل الامين ، فعندما جيء برأس الامين الى مرو فانه بكى (كذا) ثم قال عن طاهر بن الحسين : « سل علينا سيوف الناس والسنتهم ، أمرناه ان يبعث به اسيراً فبعث به عقيراً .... »[٨] وبهذه الطريقة نفى الفضل التهمة عن نفسه .

وتنصل طاهر بن الحسين هو الآخر من الجريمة وسعى الى تبرئة نفسه منها ، ففي رسالته التي وجهها الى المأمون وشرح فيها تفاصيل الحادث ، اشار الى أن مقتل الامين كان بسبب اختلاف واضطراب وقع بين الجند الذين اسروه . وأن مقتل الامين كان على اية حال إنهاءً للفتنة التي كان يمكن ان تنشب في حالة نجاته من الموت .

وقد سبقت الاشارة الى ذلك . ثم اخترعت قصة اخرى حمل فيها طاهراً المأمون مسؤولية مقتل اخيه جاء فيها : « كتب طاهر الى المأمون يستأمره في قتل محمد فبعث اليه بقميص غير مغور فعلم أنه يأمره بقتله »[٩] .

وبهذه الطريقة سعى المعنيون بقتل الامين الى ان يلصق كل منهم التهمة بصاحبه ويبعدها عن نفسه . ويعود ذلك الى بشاعة العمل المتأتية من كونه الخليفة الشرعي أولًا وأنه قتل اسيراً ثانياً وبطريقة بشعة ثالثاً ونصب رأسه امام العامة رابعاً . لكننا اذا ما تتبعنا ظروف مقتل الخليفة بطريقة موضوعية نجد أن الامين قتل على يد فريق من الجند كانوا جميعاً من الفرس ويتكلمون الفارسية وبأوامر مباشرة من طاهر بن الحسين الفارسي الاصل وبتخطيط وتدبير من الفضل بن سهل الفارسي أيضاً فضلًا عن كونه مجوسياً الى عهد قريب من هذه الحادثة ، وهذا التخطيط والتدبير كان بعلم من المأمون . وبالتالي فإن هؤلاء جميعاً يتحملون مسؤولية مقتل الخليفة في إطار التآمر الشعوبي المعادي للعروبة والاسلام وكل ما يتصل بهما او يمثلهما .

---

٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٥٠٧ ، الجهشياري ، الوزراء ، ٣٠٤ ، ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٣٠٨ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٤١ .

٩ ـ المقدسي ، البدء ، ٨ / ١١٠ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٢ / ٥١٨ .

موقف العامة :

أما رد فعل العامة تجاه هذا الحدث فلا يمكن ان يكون سريعاً ولصالح الأمين تماماً ، لإعتبارات عديدة منها الظروف القسرية التي فرضها طاهر بن الحسين على بغداد عقب استيلائه عليها بما لا يسمح بظهور حالة مشابهة لما ظهر في اثناء انقلاب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان . كما ان الدور السلبي الذي لعبه بعض اتباع الأمين ضد العامة كان له دوره في تخفيف رد فعل هذه الفئة من المجتمع . ولكن على الرغم من كل هذا فإننا يمكن أن نرى في مواقف بعض الشعراء ما يمثل موقف العامة ، فعندما فخر عبد الله بن طاهر بن الحسين بمآثر أبيه ولاسيما قتل الامين ، أجابه أحد شعراء الشام ، وهو محمد بن يزيد الأموي بابيات من الشعر جاء فيها :

يـــابن بيت النـــار موقـــدهـــا
مـــا لحـــاذيـــه ســـراويـــل
من حسين من أبـــوك ومن
مصعب ! غـــالتكم غـــول
نسب في الفخـــر متـــوشب
وأبـــوات أراذيـــل
قـــاتـــل المخلـــوع مقتـــول
ودم المقتـــول مطلـــول[10]

إن ظهور عدد من القصائد التي ترثي الأمين لابد أنها تعكس تعزية العامة لنفسها بمقتل الخليفة ، ولا سيما ان هذه القصائد ظهرت في وقت كانت السلطة فيه تامة لخصوم الأمين . وأن ظهور مثل هذه القصائد يعد تحدياً لهذه السلطة كما أنه يعرض قائليها للمساءلة ومن المراثي التي قيلت في الامين ما قاله خزيمة بن الحسن :

يـــا ليلـــة يشتكي الاســـلام مـــدتهـــا
والعـــالمـــون جميعـــاً آخـــر الأبـــد

10- الاصبهاني ، الاغاني ، ١٢ ، ١٠٤ .

غـــدرت بـــالملـــك الميمـــون طـــائـــره

ويـــالامـــام ويـــالضـــرغـــامـــة الأســـد

ســـارت اليـــه المنـــايـــا وهي تـــرهبـــه

فـــواجهتـــه بـــأوغـــاد ذوي عـــدد[١١]

وهي قصيدة من ابيات كثيرة تحدثت عن الخسارة التي مُنيت بها الأمة بمقتل الخليفة الامين وببسالته وشجاعته . ومن قصائد الرثاء ايضاً ما قاله الشاعر مقدس بن صيفي :

لقـــد عظمت مصيبتـــه علىٰ من

لـــه في كـــل مكـــرمـــة نصيبُ

علىٰ امثـــالـــه العبـــرات تـــذرىٰ

وتهتـــك في مـــآتمـــه الجيـــوب[١٢]

وقال الشاعر عبد الرحمن بن ابي الهداهد :

خليفـــة الله في بـــريتـــه

تقصـــر ايـــدي الملـــوك عن شيمـــه

يفتـــر عن وجهـــه سَنـــا قمـــر

ينشق عن نـــوره دُجىٰ ظلمـــه

زلـــزلت الارض من جـــوانبهـــا

إذ أولـــغ السيف من نجيـــع دمـــه[١٣]

---

١١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧ .

١٢ ـ السابق ، ٨/ ٥٠٥ .

١٣ ـ السابق ، ٨/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤ .

ومما رثاه به الحسين بن الضحاك :

هـــلا بقيت لســـد فـــاقتنـــا
أبـــداً ، وكـــان لغيـــرك التلف !
فلقـــد خلفت خـــلائفـــاً سلَفُـــوا
ولســـوف يعـــوز بعـــدك الخلف
لا بـــات رهطـــك بعـــد هفـــوتهم
إني لـــرهطـــك بعـــدمـــا شنف
هتكـــوا بحـــرمتـــك التي هتكت
حـــرم الـــرســـول ودونهـــا السجف[١٤]

ولا نريد ان نعرض هنا لكل ما قيل في الامين من مراثٍ ، فهي كثيرة ، وقد قام بعض المحدثين بعرضها وتحليلها وتقصي دلالالتها .[١٥]

٣ ـ شخصية الامين بين السلبية والايجابية :

إن اية محاولة لتقويم شخصية سياسية ما في مرحلة ما بعد سقوطها ، لا بد ان يكون عملًا على قدر كبير من الحذر ، ولا سيما اذا كان سقوط هذه الشخصية في خضم صراع دموي محتدم بين فريقين . لأن المرحلة اللاحقة للسقوط ستشهد سعي الخصوم الى تبرير وصولهم الى السلطة . وبقدر تعلق الأمر بموضوعنا ، فإنه لابد من البحث عن مسوغات قتل الامين ، يقوم بهاخصومه ، ويعني هذا من الناحية العملية تنظيم حملة ودعاية واسعة النطاق تكون لها اهداف محددة ، تتمثل في إضفاء كل ما هو سلبي على شخصية الامين في كل جوانبها الخلقية والدينية والاجتماعية والسياسية والادارية وغير ذلك . ومن هذا المنطلق لا بد من التعامل بحذر كبير مع كل

---

١٤ ـ السابق ، ٨ / ٥٠١ ـ ٥٠٢ .

١٥ ـ واجدة الاطرقجي ، انصاف الخليفة الامين ، ٨٣ ـ ١٠٠ .

الروايات الواردة في هذا الخصوص ليس من قبيل الدفاع المستند الى نظرة مسبقة للموضوع ، بقدر ما بني ذلك على اعتبارات موضوعية صادقة تجاه هذا الموضوع ، اذ تضمنت هذه الروايات كذباً واضحاً ومكشوفاً واخطاءً تاريخية واضحة ايضاً . كما أن هناك روايات فلتت من مخطط الدعاية المضاد للأمين كشفت الاوجه الايجابية له . ثم ان مقارنة سلوكه مع غيره من الخلفاء تكشف عن الجوانب الايجابية له . إن هذه الاعتبارات تمكننا من بناء العديد من الاستنتاجات التي ترسم للأمين صورة غير تلك التي اشيعت في المصادر .

ما الصفات التي الصقت بالامين ؟

في السعي الحثيث من اجل تشويه معالم شخصيته ، فقد الصقت بالأمين العديد من الصفات والسجايا السلبية كان من ابرزها اندفاعه اللامحدود نحو اللهو والغناء والشرب ولا سيما في الاوقات العصيبة التي واجهته في صراعه مع المأمون . ومن امثلة ذلك ما رواه عمه ابراهيم بن المهدي بأن الامين طلب الغناء في ليلة مقمرة وهو محاصر بقوات طاهر بن الحسين فارسل الى جارية له تدعى (ضعف) لتغنيه في تلك الليلة ، لكنه من سوء الحظ غنته شعراً يبعث على الشؤوم أثار غضبه(١٦) . وتتكرر مثل هذه الحكاية اكثر من مرة(١٧) . ومما يدفع على التشكيك بهذه الروايات أمران : أولهما انها صدرت عن عمه ابراهيم بن المهدي ، الذي كان أقرب المقربين اليه ويأنس به كثيراً . ولكن يجب ان لا ننسى أن هذا الشخص نفسه قد حاز على عفو المأمون ورضاه عنه بعد تمرد قاده في بغداد ونصب نفسه خليفة بدلًا من المأمون . ولابد ان هذه الروايات وغيرها مما صدر عنه والتي تشوه صورة الامين ، كانت جزءاً من ثمن العفو الذي ناله . والأمر الثاني أن الصورة السوداوية القاتمة التي وردت في هذه الروايات لا تعدو ان تكون استكمالًا للنبوءات التي وضعت

---

١٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ، الازدي ، تاريخ ، ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ، المسعودي ، مروج ، ٣/ ١٩٢ ؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ٨/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .

١٧ ـ انظر الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٥١٣ ـ ٥١٤ .

لتبرير مقتل الامين . وقد سبقت الاشارة اليها .

ومن الاخبار التي قيلت عن إنغمار الأمين في اللهو في الاوقات العصيبة ما رواه ابراهيم ابن المهدي ايضاً . فقد ذكر انه دخل على الامين يوماً وقد اشتد الحصار عليه فرآه كالواله يبحث مع خدمه عن سمكة له ضاعت في البركة او تسربت الى دجلة[١٨] . ان المعالجة المنطقية لمثل هذه الاخبار تجعلها غير مستساغة البتة . ومثلها ما جاء في الطبري من أن الأمين أقبل على اللهو والشراب بعد وقعة قصر صالح التي كانت من المعارك الضارية التي دارت بين قواته وقوات طاهر بن الحسين في داخل بغداد نفسها[١٩] . إن مما يدعو الى رفض هذه الروايات ان بغداد وهي محاصرة أشد حصار لا يمكن أن يكون فيها مكان للهو واللعب مهما كانت الذرائع .

ومما الصق بالأمين انغماسه في الاستهتار ، ومن ذلك ما رواه عمه ابراهيم بن المهدي ايضاً من ايغاله في السكر ذات ليلة فجعل حارسه طبيباً له وبالعكس[٢٠] . وأنه وُجِدَ في إحدى الليالي يلهو ويرقص في هرج ومرج مع خدمه وجواريه[٢١] . ووصف بأنه شهواني عكف على الدعارة[٢٢] . ان محاولات التهجم والانتقاص واضحة في هذه الاخبار لا تحتاج الى تعليق عليها .

وأشيع عنه انه حال توليه الخلافة وجه رسله الى اقاليم الدولة كافة طلباً للملهين ، حيث أجرى لهم ارزاقاً ومرتبات ثابتة ودائمة[٢٣] . ثم طلب الخصيان وغالى بهم وجعلهم المقربين اليه في خلوته في الليل والنهار حتى رفض النساء[٢٤] . ومن الجدير أن ننوه هنا الى أن ترديد المصادر لمثل هذه الاخبار لا يعني اجماعها عليها

---

١٨ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٩٤ .

١٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٥٦ .

٢٠ ـ ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : د . نزار رضا ، (بيروت : ١٩٦٥) ١٩٧ .

٢١ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٥٢٤ .

٢٢ ـ مجهول ، تاريخ الرهاوي ، ٢ / ٢١ .

٢٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٥٠٨ ، ابو الفدا ، المختصر ، ٢ / ٢١ .

٢٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٥٠٨ ، ابن العبري ، مختصر ، ١٣٤ ، السيوطي ، تاريخ ، ٣٠١ .

بقدر ما يعني الامر أن المتأخرين نقلوا عن المتقدمين ، الامر الذي يتضح من خلال مقارنة النصوص مع بعضها .

كما اشيع عن الامين استهانته بعمله الرسمي واهماله لامور الادارة والخراج وعدم مراجعة البريد ، بل انه في احدى المرات نظر في البريد وأبدى عليه ملاحظات قيمة ، لكنه في النهاية أمر باحراق كل هذا البريد[٢٥] . واثيرت الشبهات حول خلق الأمين وباقذع الالفاظ ـ وليس من المناسب ذكر تفاصيله هنا ـ ومن قبل شعراء كانوا موالين للسلطة آنذاك مثل الشاعر يوسف بن محمد الذي كان من شعراء طاهر بن الحسين[٢٦] . وبلغ الامر حد اتهامه بالزندقة من قبل احد هؤلاء[٢٧] .

ومن ناحية اخرى ، فان المصادر وصفت الامين باوصاف عديدة ، فهو عاجز الرأي ضعيف التدبير لا يفكر في امره[٢٨] . كثير السفك للدماء[٢٩] . لا يصلح للخلافة[٣٠] . ومن طريف ما نشير اليه ان المأمون كان يسأل طاهر بن الحسين عن خلق الأمين فيجيبه هذا بقوله بأنه كان « واسع الطرب ، ضيق الأدب ، يبيح نفسه ما تعافه همم ذوي الاقدار ...... »[٣١] مع ان عرضاً متأنياً لكتاب الأغاني لأبي الفرج يكشف بوضوح أن الامين كان أقل الخلفاء اقبالاً على الغناء ، وأن خلفاء آخرين مثل الرشيد والمأمون نفسه والمعتصم والمتوكل كانوا اكثر شغفاً منه بالطرب والغناء واكثر بذلاً من اجل ذلك . وان هناك شهادات تفند رأي طاهر بخصوص أدب الأمين .

أما ما قيل عن تبذيره الأموال وسخائه بها[٣٢] . وأنه تشاغل ببناء اماكن اللهو واللعب[٣٣] . وشراء أنواع الجواهر[٣٤] . وأنه فرق الأموال والجواهر بين الخصيان

---

٢٥ ـ الجهشياري ، الوزراء ، ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

٢٦ ـ السابق ، ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

٢٧ ـ المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٩٨ ـ ٣٩٩ .

٢٨ ـ السابق ، ٣ / ٣٩٤ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٤٢ ، السيوطي ، تاريخ ، ٢٩٧ .

٢٩ ـ المسعودي ، التنبيه ، ٣١٨ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٤٢ .

٣٠ ـ الذهبي ، العبر ، ١ / ٢٥٤ ، السيوطي ، تاريخ ، ٢٩٧ .

٣١ ـ ابن طيفور ، بغداد ، ١٥ .

٣٢ ـ مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٤٢ ، السوطي ، تاريخ ، ٢٩٧ .

٣٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٥٠٨ ، مجهول ، العيون ، ٣ / ٣٢١ .

٣٤ ـ ابن اعثم ، الفتوح ، ٨ / ٢٨٨ .

والنساء[٣٥] . فأنه يحمل في طياته الكثير من التهويل . وحتى اذا عددنا ذلك صحيحاً فان مقارنته مع ما اشيع عن بعض الخلفاء ، فإن ما فعله الأمين يعد أمراً بسيطاً . فقد ذكر الطبري أن الرشيد صادر اموال محمد بن سليمان بعد وفاته ، وكان من بين ما صودر مبلغاً قدره (٦٠) مليون (درهم او دينار) غير الجواهر والامتعة ، وأمر بادخال جميع ما صودر الى خزائنه عدا المال ، فقد كتب به صكوك وزعت على الندماء ، ثم كتبت صكوك اخرى اقل قيمة للمغنين وزعت عليهم جميعاً ، ثم توجه هؤلاء الى السفن التي كانت راسية عند شواطيء بغدادلتسلم حصصهم من الاموال منها[٣٦] . ومع هذا لم ينعت الرشيد بمثل ما نعت به الأمين من خصال . وفي كل الأحوال لا يمكن ان نسلم بسهولة حتى بما قيل عن الرشيد ، لأن فيه من التهويل والمبالغة ما لايمكن قبوله ، فمثل هذه الاخبار لا تخلو من دس شعوبي لتشويه صورة الخلفاء العباسيين .

نماذج من الدعاية المفضوحة الموجهة ضد الامين :

١ ـ فيما يخص مقتل الأمين : فقد اشارت بعض الروايات الى أن الامين قتل في سفينة كان يتنزه بها في دجلة[٣٧] . وواضح من هذه الرواية ان القصد منها اظهار لا مبالاة الأمين وأنه كان يتنزه في دجلة في أشد ظروف حصاره ، وليس عسيراً تفنيد هذه الدعاية لان ظروف مقتل الامين معروفة في المصادر وقد أتينا عليها .

٢ ـ موقف الأمين من مقتل علي بن عيسى بن ماهان : جاء في عدد من الروايات التي تداولتها المصادر أن الأمين كان متشاغلاً بصيد السمك مع خادمه كوثر ، وفي تلك الاثناء ورد عليه خبر مقتل علي بن عيسى بن ماهان الذي كان يقود

---

٣٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٥٠٨ ، ابن العبري ، مختصر ، ١٣٤ .

٣٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٢٣٧ ، انظر ايضاً : الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، تحقيق : د . محمد حميد الله (الكويت : ١٩٥٩) ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

٣٧ ـ التنوخي ، نشوار ، ٥ / ٤٣ .

احدى أهم الحملات الموجهة ضد المأمون ، إلا أن الأمين لم يأبه بهذا الخبر واستمر مشغولًا بالصيد ولا سيما ان كوثراً الخادم كان قد صاد سمكتين في حين انه لم يصطد شيئاً[٣٨] . في حين جاء في خبر آخر ما يفند هذه الرواية جملة وتفصيلًا ، اذ كانت قد نشبت ازمة بين العباس بن عبد الله بن جعفر بن ابي جعفر ، وكان الامين قد عزم على قتله ، إلا أن ورود خبر مقتل علي بن عيسى بن ماهان جعل الامين ينشغل عن قضية العباس حتى نسيه عشرة ايام[٣٩] . وعليه فإن الأمين لم يكن يصطاد السمك في تلك الظروف ، مما يؤكد زيف الدعاية الموجهة ضده .

٣ ـ اراء الرشيد في الامين : وردت بعض الأخبار التي تحمل رأي الرشيد في ولديه الأمين والمأمون ، منها قدر تعلق الامر بالأمين قوله : « .... وفيه ما فيه من الانقياد لهواه ، والتصرف على طويته ، والتبذير لما حوته يده ،ومشاركته النساء والإماء في رأيه ..... »[٤٠] وقوله ايضاً : « إني أن وليت محمداً مع ركوبه هواه ، وانهماكه في اللهو واللذات خلط على الرعية ، وضيع الامر ، حتى يطمع فيه الأقاصي من اهل البغي والمعاصي . »[٤١] فاذا افترضنا ان ذلك كان قد قيل قبيل توليته الامين العهد ، فإن الامين كان عمره خمس سنوات فقط . اما اذا كان الرشيد قد قال ذلك في اثناء تولية المأمون العهد ، فإن عمر الامين كان انذاك اثني عشر سنة . وفي الحالتين كان الامين من الصغر ، بحيث لا يمكن ان تظهر عليه مثل هذه الصفات ، اذن فهو حديث مزعوم وضع على لسان الرشيد للنيل من الأمين .

٤ ـ رواية صاحب الامامة والسياسة في ولاية العهد : وتمثل هذه الرواية اسوء نموذج للدعاية المضادة ؛ فهي تتضمن بعض الاخطاء التاريخية الواضحة منها ان الرشيد توفي عام ١٩٥ هـ/ ٨١١م مع ان وفاته ، كما هو

---

٣٨ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٩٥ ، مجهول ، العيون ، ٣/ ٣٢٥ ، ابن العبري ، مختصر ، ١٣٤ ، ابن الطقطقا ، الفخري ، ٢١٤ .

٣٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٥١٠ ـ ٥١١ .

٤٠ ـ المسعودي ، مروج ، ٣/ ٣٥٢ ، انظر ايضاً : الاربلي ، خلاصة ، ١١٩ .

٤١ ـ الدينوري ، الاخبار ، ٣٨٩ .

معروف ، كانت في عام ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م ثم تعرج الرواية الى حوار دار بين زبيدة والرشيد تريد فيه زبيدة ولاية العهد لأبنها الأمين في حين يريدها الرشيد للمأمون ، ثم تعريضهما لاختبار يهدف الى معرفة طبيعة شخصية كل منهما . وظهر الامين في هذا الاختبار تافهاً بعيداً عن الذوق والخلق الرفيع في وقت ظهر فيه المأمون بصورة تنم عن خلق رفيع بما ابداه من طاعة واحترام للرشيد وزبيدة . ثم تشير الرواية الى ان الرشيد جعل ولاية العهد للمأمون ومن بعده الامين . وعلى اثر وفاة الرشيد ، فإن الملتفين حول الامين أغروه بالتمرد على اخيه مستعيناً بما معه من جيوش وأموال[٤٢] .ومن خلال الاخطاء التاريخية الواردة في هذه الرواية يتضح عدم مصداقيتها . ومن ثم فإن ما ألصق فيها بالأمين من أوصاف وسجايا لا يمكن ان يكون صحيحاً ويعبر عن طبيعة الدعاية المضادة له .

معالم خلق الأمين الايجابية :

إن ثمة معالم في شخصية الأمين تؤكد النوازع الايجابية التي يتحلى بها ، وتنفي ما ذهبت اليه الدعاية المضادة له ومن هذه المعالم .

* الوصايا التي اوصى به الأمين قادته المتوجهين الى ميادين القتال ، فمما جاء في أحدها : « امنع جندك من العبث بالرعية والغارة على اهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء ... ومن ظهر اليك من جند اهل خراسان ووجوهها فاظهر اكرامه وأحسن جائزته ، ولا تعاقب أخاً بأخيه .... »[٤٣] وجاء في وصية

---

٤٢ ـ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة / منسوب (القاهرة : د / ت) ١٨٣ ـ ١٨٥ .

٤٣ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨ / ٤٠٦ .

اخرى : « اياك والبغي ، فأنه عقال النصر ، ولا تقدم رجلًا إلا باستخارة ، ولا تشهر الا بعد إعذار ، ومهما قدرت باللين فلا تتعده الى الخرق والشدة ، وأحسن صحابة من معك من الجند ، وطالعني بأخبارك في كل يوم ، ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفة عندي ، ولا تستبقها فيما تتخوف رجوعه علي .... »[٤٤] ويتجلى في هاتين الوصيتين حسن الخلق الذي تحلى به الأمين في تعامله مع قادته وجنده وحتى خصومه . وان حسن الخلق هذا لا يمكن ان يكون حالة منفصلة عن مجمل شخصيته ، بل هي جزء من حالة عامة تكون الطابع العام لشخصيته .

* **رفضه استخدام ولدي المأمون رهينة عنده** : فقد طلب أسد بن يزيد بن مزيد من الأمين ان يمنحه صلاحية احتجاز ولدي المأمون لديه ليكونا رهينة عنده فكان جوابه : « .... وتدعوني الى قتل ولديّ ، وسفك دماء اهل بيتي ! ان هذا للخرق والتخليط »[٤٥] ويؤكد هذا الموقف اصالة خلقه ، وان كانت مثل هذه الخلق تتنافى عموماً مع شروط العمل السياسي الذي يتطلب احياناً القفز من فوق المباديء والخلق . وكانت مثل هذه المواقف أحد أسباب فشله .

* **إيثاره العقل على التنجيم** : ففي اثناء توديعه جيش علي بن عيسى بن ماهان طلب اليه أحد المنجمين تأجيل رحيل الجيش لحين (صلاح القمر) لاسباب ذكرها ، فكمان رده : « .... يا سعيد ، قل لصاحب المقدمة يضرب بطبله ويقوم عَلَمَه ، فإنا لا ندري ما فساد القمر من صلاحه ، غير ان من نازلنا نازلناه ..... »[٤٦] فتؤكد هذه الاشارة عدم ميله للاتجاهات المبتذلة في التعامل مع الامور الخطيرة التي تستوجب الحزم والقرار المسؤول .

---

٤٤ ـ السابق ، ٨ / ٤٢٢ .

٤٥ ـ السابق ، ٨ / ٤٢٠ .

٤٦ ـ السابق ، ٨ / ٤٠٧ .

* **اهتمام الرشيد بتربيته :** فقد كان الرشيد يهتم بتربيته اهتماماً كبيراً ، وهو ماأكده الكسائي بقوله : « ولاني الرشيد تاديب محمد وعبد الله ، فكنت أشدد عليهما في الادب ، وآخذهما به أخذاً شديداً ، وبخاصة محمداً ... »[٤٧] ووضع الرشيد منهجاً خاصاً لتربية الامين يتمثل في : قراءة القرآن والحديث والاشعار والسنن والتعرف على قواعد السلوك الصحيح في التعامل مع الاخرين ، ولاسيما بني هاشم والقادة[٤٨] . ويحسب شهادات الكسائي والاصمعي فان هذه الجهود قد أثمرت اثماراً جيداً[٤٩] . حتى قال ابو الحسن الاحمر : « كنت ربما أنسيت البيت الذي يستشهد به في النحو فينشدنيه الامين »[٥٠]

* **جوانب من اهتمامه بعمله :** حيث اهتم بتحصين الثغور والقلاع في مناطق التخوم مع الدولة البيزنطية لزيادة منعتها في مواجهة الاخطار القادمة من هناك[٥١] . كما أنه أجرى بعض التغييرات بين كبار موظفيه في الادارة المركزية والولايات[٥٢] ووجه عند توليه الخلافة بعشرين الف مثقال ذهباً لتكون صفائح على باب الكعبة[٥٣] .

* **وكان الامين :** لا ياكل ولا يشرب الا بأذن طبيبه الخاص جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس[٥٤] . وهو ما يتنافى مع ما اشيع عنه من افراطه بالشراب الى

---

٤٧ - الدينوري ، الاخبار ، ٣٨٧

٤٨ - المسعودي ، مروج ، ٣ / ٣٥١ .

٤٩ - السابق ، ٣ / ٣٤٩ ، الدينوري ، الاخبار ، ٣٨٨

٥٠ - السيوطي ، تاريخ ، ٣٠٣ .

٥١ - البلاذري ، فتوح ، ١٩٩ .

٥٢ - اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٤٣٤ - ٤٣٥ .

٥٣ - السابق ، ٢ / ٤٣٤ .

٥٤ - ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ١٨٩ .

الحد الذي يقوده الى ابتذال نفسه .

* وكانت له مواقف مبدئية : تنم عن معالجة عقلية منطقية للامور ، فكان يرفض القول بخلق القرآن الذي اعتقد به المعتزلة[٥٥] . وسجن ابا نواس لاتهامه بالزندقة[٥٦] .

* وثمة شهادات من عدد من معاصريه : تشير الى حسن أدبه وخلقه ، فقال الحسين بن الضحاك ان للأمين أدباً كثيراً[٥٧] . وقالت عنه عريب جارية المأمون فيما بعد ، انه كان حسن الخلق[٥٨] . وقال اسحاق الموصلي انه كان حسن الادب[٥٩] .

وهذه الاشارات على قلتها ، وقد فلتت من ماكنة الدعاية المضادة للأمين ، ترسم معالم عامة لشخصية ايجابية بعيدة كثيراً عن الصفات والخصائص السلبية التي الصقت بها .

---

٥٥ ـ السيوطي ، تاريخ ، ٣٠٣ .

٥٦ ـ الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٥١٨ .

٥٧ ـ الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ٣/ ٣٣٨ .

٥٨ ـ الشابشتي ، الديارات ، ١٦٦ .

٥٩ ـ السيوطي ، تاريخ ، ٣٠٣ .

الخلاصة والنتائج

في دراستنا المتواضعة هذه ، وبالاستناد الى اسس موضوعية ومحاكمة عادلة للنصوص والروايات المتعلقة بالموضوع ، أمكننا الوصول الى النتائج الآتية :

١ ـ ارتكب هارون الرشيد خطأً فادحاً فيما يتعلق بولاية العهد وما تبعها من اجراءات ، فعلى الرغم من حسن النية المتوفر في اجراءاته هذه ، فإنه ترتب عليها انقسام الدولة وزرع بذور الخلاف بين الاخوين الأمين والمأمون .

٢ ـ كانت للأمين دوافعه المشروعة في مواجهته مع المأمون ، كان من ابرزها حقه في ممارسة كامل سلطاته بوصفه خليفة للدولة وعلى الاقاليم والولايات كافة . وحقه في الحفاظ على وحدة وتماسك الدولة ايضاً ، ولا سيما انها كانت معرضة الى خطر الانقسام .

٣ ـ إن خلع الامين للمأمون من ولاية العهد لم يكن عملًا غير مشروع ، بل كان على قدر كبير من المشروعية اجازه بعض الفقهاء انطلاقاً من أن ولي العهد الذي يتولى الخلافة أولًا تكون له سلطات مطلقة تمنحه حق اقصاء اولياء العهد الذين بعده والاتيان بمن يراه مناسباً وعلى وفق سياسته الخاصة . وان المنطق يفرض للخليفة الجديد ان يرسم سياسته هذه في ضوء معطيات عصره هوولبس من سبقه .

٤ ـ كان للصراع بين الأمين والمأمون أوجه عديدة ، فهو من جانب يعكس مؤامرة شعوبية على العروبة والاسلام ورموزها . ومن جانب آخر فانه صراع على الامتيازات والمصالح بين كتلة الابناء الذين وقفوا الى جانب الخلافة وبين كتلة جديدة كانت تتبلور في خراسان ، تسعى الى تحقيق مكاسب ومصالح على حساب فئة الابناء ، وثمة وجه آخر لهذا الصراع ، كونه صراعاً بين اقليم خراسان واقليم العراق ومنافسة بينهما للحصول على المكانة الاولى في الدولة في الاقل .

٥ ـ ان العناصر التي احاطت بالأمين ، واعتمد عليها في تنفيذ سياسته في هذا الصراع لم تكن بمستوى المسؤولية او الكفاءة او الاخلاص . بما يجعل تنفيذ هذه السياسة تكتنفه الصعوبات الكبيرة ، فانقلب عليه معظمهم او تخلوا عنه في أحلك

الظروف .

٦ - ان الفضل بن سهل المدبر الاول لفريق المأمون كان وراء اللجوء الى استخدام القوة المسلحة في مواجهة الازمة ، لأنه كان السبّاق في اتخاذ الاستعدادات العسكرية للمواجهة بين الطرفين .

٧ - ان مقتل الامين كان مؤامرة شعوبية حاكها ودبرها الفضل بن سهل ومن أحاط به من العجم . ولم يكن الخلاف بين الامين والمأمون سوى فرصة للفضل لكي يمرر اهدافه الشعوبية من خلاله .

٨ - مورست ضد الامين دعاية واسعة النطاق استهدفت تشويه شخصيته باختلاق ووضع الروايات التي كانت تدينه وتنتقص منه تارة . وتارة اخرى بتحريف الوثائق ذات العلاقة بالموضوع بما يقود الى رسم صورة سلبية عنه . هذا فضلًا عن استخدام الشعراء الذين لم يتورعوا عن استخدام اقذع الالفاظ لهذا الغرض . الامر الذي استوجب تمحيصاً وتدقيقاً عاليين لتنقية ما قيل وكتب عن الأمين .

٩ - ولم يكن الامين بالشخصية السلبية المنفعلة . بل كان شخصاً ايجابياً امتاز بالصفات والخصال الاتية : الكرم والشجاعة والحزم والثبات والصبر ، بعكس ما اشيع عنه من ضعف ووهن وطيش وهوى وبخل .

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر

١ ـ ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : الدكتور نزار رضا (بيروت : ١٩٦٥) .

٢ ـ ابن اعثم : كتاب الفتوح (حيدر آباد : د/ ت)

٣ ـ ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (القاهرة : ١٩٦٢)

٤ ـ ابن خلدون : المقدمة (بيروت : د/ ت)

٥ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، تحقيق : الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٧٧)

٦ ـ ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار (دمشق : ١٩٦٨)

٧ ـ ابن الطقطقا : الفخري في الاداب السلطانية (بيروت : د/ ت)

٨ ـ ابن طيفور : بغداد في تاريخ الخلافة العباسية (بغداد : ١٩٦٨)

٩ ـ ابن عباد : عنوان المعارف وذكر الخلائف ، تحقيق : الشيخ محمد حسن ال ياسين (بغداد ؛ ١٩٦٦)

١٠ ـ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول (بيروت : ١٩٥٨)

١١ ـ ابن قتيبة : المعارف ، تحقيق : الدكتور ثروت عكاشة (القاهرة : د/ ت)

١٢ ـ ابن قتيبة : الامامة والسياسة / منسوب (القاهرة : د/ ت)

١٣ ـ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي (النجف : ١٩٦٩)

١٤ ـ ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر (القاهرة : د/ ت)

١٥ ـ الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، تحقيق : مكي السيد جاسم (بغداد : ١٩٦٤)

١٦ ـ الازدي : تاريخ الموصل ، تحقيق : الدكتور علي حبيبة (القاهرة : ١٩٦٧)

١٧ ـ البلاذري : انساب الاشراف جـ ٣ ، تحقيق : الدكتور عبد العزيز الدوري (بيروت : ١٩٧٨)

١٨ ـ البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد (القاهرة : د / ت)
١٩ ـ التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق : عبود الشالجي (د / م : ١٩٧٢)
٢٠ ـ التنوخي : الفرج بعد الشدة (القاهرة : ١٩٣٨)
٢١ ـ الثعالبي : تحفة الوزراء ، تحقيق : حبيب الراوي والدكتورة ابتسام الصفار (بغداد : ١٩٧٧)
٢٢ ـ الثعالبي : لطائف المعارف ، تحقيق : ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي (القاهرة : د / ت)
٢٣ ـ الثعالبي : لطائف اللطف ، تحقيق : الدكتور عمر الاسعد (بيروت : ١٩٨٠)
٢٤ ـ الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (القاهرة : د / ت)
٢٥ ـ الجهشياري : نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق : ميخائيل عواد (بيروت : ١٩٦٤)
٢٦ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى العقاد وآخرون (القاهرة : ١٩٣٨)
٢٧ ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (بيروت : د / ت)
٢٨ ـ الدينوري : الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر القاهرة : ١٩٦٠)
٢٩ ـ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد (بيروت : د / ت)
٣٠ ـ الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ، تحقيق : الدكتور محمد حميد الله (الكويت : ١٩٥٩)
٣١ ـ الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ، تحقيق : الدكتور سامي مكي العاني (بغداد : ١٩٧٢)
٣٢ ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (بغداد : ١٩٨٣)

٣٣ ـ الشابشتي : الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد (بغداد : ١٩٦٦)
٣٤ ـ الصابي : رسوم دار الخلافة ، تحقيق : ميخائيل عواد (بيروت : ١٩٨٦)
٣٥ ـ الطبري : تاريخ الامم والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم (بيروت : د / ت)
٣٦ ـ قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق : الدكتور محمد حسين الزبيدي (بغداد : ١٩٨١)
٣٧ ـ الكندي : ولاة مصر ، تحقيق : الدكتور حسين نصار (بيروت : د /ت)
٣٨ ـ الماوردي : الاحكام السلطانية ، تحقيق : الدكتور محمد امين (القاهرة : ١٩٧٨)
٣٩ ـ المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت : ١٩٨٣)
٤٠ ـ المسعودي : التنبيه والاشراف (بيروت : ١٩٨١)
٤١ ـ المقدسي : البدء والتاريخ ، تحقيق : كلمان هوار (باريس : ١٩١٦)
٤٢ ـ مؤلف مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول (بغداد : ١٨٦٩)
٤٣ ـ مؤلف مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق : تحقيق : دي خويه (ليدن : ١٩٦٩)
٤٤ ـ مؤلف مجهول : اخبار الدولة العباسية ، تحقيق : الدكتور عبد العزيز الدوري (بيروت : ١٩٧١)
٤٥ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي (بيروت : د / ت)
٤٦ ـ اليعقوبي : مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق : وليم ملورد (بيروت : ١٩٦٢)

ب ـ المراجع :

٤٧ ـ احمد الشامي : الدولة الاسلامية في العصر العباسي الاول (الدمام : د / ت)
٤٨ ـ احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والاندلسي (بيروت : ١٩٧١)
٤٩ ـ بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة : نبيه امين فارس ومنير البعلبكي (بيروت : ١٩٧٧)

٥٠ ـ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام (القاهرة : ١٩٦٤)
٥١ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة العربية (طهران : د / ت)
٥٢ ـ شاكر مصطفى : دولة بني العباس (الكويت : ١٩٧٣)
٥٣ ـ شحادة الناطور وآخرون : النظم الاسلامية (اربد : ١٩٨٨)
٥٤ ـ صالح احمد العلي : معالم بغداد الادارية والعمرانية (بغداد : ١٩٨٨)
٥٥ ـ صبحي صالح : النظم الاسلامية (بيروت : ١٩٨٠)
٥٦ ـ عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الاول (بغداد : ١٩٤٤)
٥٧ ـ فاروق عمر : العباسيون الاوائل ، جـ ٢ (بيروت : ١٩٧٠)
٥٨ ـ فاروق عمر : العباسيون الاوائل ، جـ ٣ (عمان : ١٩٨٢)
٥٩ ـ فاروق عمر : التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين (بيروت : ١٩٨٠)
٦٠ ـ فاروق عمر : الفضل بن سهل وزير المأمون ، مجلة آفاق عربية العدد (١) (بغداد : ١٩٨٢)
٦١ ـ فاروق عمر : الجذور التاريخية للوزارة العباسية (بغداد : ١٩٨٦)
٦٢ ـ فاروق عمر : الخلافة العباسية (بغداد : د / ت)
٦٣ ـ فان فلوتي : السيادة العربية ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم (القاهرة : ١٩٦٥)
٦٤ ـ قحطان عبد الستار الحديثي : النقود كوسيلة اعلامية للتهجمات الشعوبية / ضمن وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي (بغداد : ١٩٩٠)
٦٥ ـ كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة : الدكتور بدر الدين القاسم (بيروت : ١٩٧٢)
٦٦ ـ محمد باقر الحسيني : حركة الدس الشعوبي السياسة في العصر العباسي الاول / ضمن وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي (بغداد : ١٩٩٠)
٦٧ ـ محمد الخضري بك : تاريخ الامم الاسلامية / الدولة العباسية (القاهرة : ١٩٧٠)
٦٨ ـ واجدة مجيد الاطرقجي : انصاف الخليفة الامين (بغداد : ١٩٨١)
٦٩ ـ Encyclopedia of Islam , ed ., Gibb and others New edition (Leiden – London : 1960 – 1971).

الفصل الرابع

الصراع في مرحلته العسكرية ٨٩
١ ـ العمليات العسكرية قبل حصار بغداد ٩١
الاستعداد للمعركة الاولى ٩١
تجهيز جيش علي بن عيسى بن ماهان ٩٣
سير المعركة ٩٦
توجيه الحملة الثانية ١٠٠
الحملة الثالثة ١٠٣
تقدم طاهر بن الحسين ١٠٤
انقلاب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ١٠٥
التقدم نحو بغداد ١٠٧
٢ ـ الاوضاع في بقية اقاليم الدولة ١٠٩
٣ ـ حصار بغداد ومقتل الخليفة الامين ١١١
الشروع في فرض الحصار العسكري على بغداد ١١١
الصدامات المسلحة بين الطرفين ١١٣
الاتفاق على الامان بين الامين وهرثمة ١٢٠
مقتل الخليفة الامين ١٢١
احوال بغداد في ظل الحصار ١٢٦
٤ ـ عوامل فشل الخليفة الامين ١٢٨
١ ـ سوء اختياره للقادة ١٢٩
٢ ـ فساد جيش الامين ١٣٠
٣ ـ التاثيرات النفسية على قوات الامين ١٣٠
٤ ـ الطابع الانتهازي لمعاونيه ومساعديه وتخلي افراد الاسرة العباسية عنه ١٣٠
٥ ـ تسامح الامين وتساهله ١٣١

٦ ـ الموقف السلبي لاقاليم الدولة ١٣١
٧ ـ عدم تمكن الامين من التأثير في اهل خراسان ١٣١
٨ ـ نفاد اموال الامين.......... ١٣٢
٩ ـ القدرات السياسية الكبيرة للفضل بن سهل ١٣٢
١٠ ـ طبيعة قوة العيارين والشطار ١٣٢

الفصل الخامس

تقويم شخصية الامين ١٣٣
١ ـ النبوءات الخاصة بمقتل الامين.......... ١٣٥
٢ ـ الموقف من مقتل الخليفة الامين.......... ١٣٧
موقف خصوم الامين من مقتله ١٣٧
موقف العامة.......... ١٤٠
٣ ـ شخصية الامين بين السلبية والايجابية ١٤٢
ما الصفات التي لصقت بالامين ١٤٣
نماذج من الدعاية المفضوحة الموجهة ضد الامين ١٤٦
١ ـ فيما يخص مقتل الامين.......... ١٤٦
٢ ـ موقف الامين من مقتل علي بن عيسى بن ماهان ١٤٦
٣ ـ اراء الرشيد في الامين ١٤٧
٤ ـ رواية صاحب الامامة والسياسة في ولاية العهد ١٤٧
معالم خلق الامين الايجابية ١٤٨
الخلاصة والنتائج ١٥٢
المصادر والمراجع ١٥٤

الفهـرست

المقدمة ٥

الفصل الاول

نظرة في خلفيات الصراع ٧

١ ـ نظرة عامة في ولاية العهد ٩

٢ ـ تولية الامين والمأمون العهد ١٥

دوافع تولية الامين العهد ٢١

دوافع البيعة للمأمون ٢٤

٣ ـ العهود المكية : نظرة تحليلية ٢٦

٤ ـ تولي الامين الخلافة ٣٤

الفصل الثاني

القوى الفاعلة في الصراع ٣٧

١ ـ الشخصيات ٣٩

الامين والمأمون ٣٩

الفضل بن سهل ٤١

الفضل بن الربيع ٤٤

علي بن عيسى بن ماهان ٤٧

طاهر بن الحسين ٤٩

٢ ـ دوافع الصراع وعوامله ٥٠

١ ـ الصراع الحزبي بين العرب والفرس ٥١

٢ ـ النزعات الذاتية للأمين والمأمون ٥٣
٣ ـ سعي الخليفة الامين الى بسط سلطته ٥٤
الشرعية على اقاليم الدولة كافة
٤ ـ اطماع الحاشية وكبار الموظفين ٥٥
والقادة المحيطين بالأمين
٥ ـ التطلعات الانفصالية ٥٥
٦ ـ النزاع الاقليمي بين العراق وخراسان ٥٦
٧ ـ الاختلافات الفكرية بين الامين والمأمون ٥٧
٣ ـ اتجاهات الرأي العام ٥٧
أ ـ الهاشميون او بنو هاشم ٥٨
ب ـ القادة وكبار الموظفين ٦٠
جـ ـ العامة ٦١

الفصل الثالث

الصراع في مرحلته الدبلوماسية ٦٧
١ ـ ظهور الخلاف بين الامين والمأمون ٦٩
الموقف في طوس ومرو ٧٢
عمليات جس نبض المأمون ٧٥
ردود فعل الامين تجاه اجراءات المأمون ٧٨
الاعداد للمواجهة الساخنة ٨٠
٢ ـ المراسلات بين الامين والمأمون ٨١
السفارة الاولى ٨١
السفارة الثانية ٨٢
السفارة الثالثة ٨٣
السفارة الرابعة ٨٤

٩٥٣,٠٤
ع ٨٩٦ عبد المنعم رشاد
الامين الخليفة المفترى عليه : نظرة في طبيعة الصراع بين الامين والمامون / تاليف عبدالمنعم رشاد ، موفق سالم نوري .- بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠١
١٥٩ ص ؛ ٢٤ سم .
١ . العراق - تاريخ - (العصر العباسي الاول أ . موفق سالم نوري (م . م) ب . العنوان
م . و
٢٠٠١/٥٠

المكتبة الوطنية « الفهرسة اثناء النشر »

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٥٠ لسنة ٢٠٠١

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة